المدرسة التاريخية المصرية الحديثة
بين الهواة والأكاديميين

إعداد
د./ عبد المنعم ابراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

التاريخ عربة، والعربة
تجرها الخيول ، والخيول
هم أبطال التاريخ
(توماس كارليل)

الماضى لا يموت أبدا إنه
يعيش فينا بكل ما حدث
فيه من سعادة أو شقاء

القاهرة ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

مقدمـة

لكل شئ تاريخ، وللتاريخ تاريخ ولهذا الكتاب تاريخ وهذا التاريخ يعود إلى عدة سنوات ، فبعد أن وجدت افتقار المكتبة التاريخية المصرية إلى دراسة الاتجاهات الحديثة فى كتابة التاريخ المصرى الحديث، ولا تتعرض للرواد الذين افنوا ذواتهم فى أجل كتابة تاريخ علمى صحيح لمصر قررت الخوض فى هذا المجال حتى تم خروج هذه الدراسة إلى النور، راجيا أن تكون إضافة تنير الطريق للباحثين.

لقد ارتبط محور الكتابة التاريخية فى مصر قبيل ظهور المدرسة التاريخية الحديثة بالاهتمام بذكر سير العظماء وغرائب الحوادث وتاريخ الملوك والساسة والحكام ودورهم فى جلائل الأعمال والإفاضة فى التعرض لمولدهم وذكر سيرتهم الذاتية من حيث بيان نشأتهم ووصف حفلات زفافهم والإسهاب فى ذكر روحاتهم وغدواتهم، وإبراز محاسنهم وتبرير أخطائهم، حتى مظاهر الأبهة والفخامة التى كانوا يحاطون بها عقب وفاتهم لم يغفلوها بل قاموا بطلائها بطلاء مذهب. أما تاريخ الشعوب والبشر الذين يسميهم البعض ملح الأرض، وتصوير مشاعر الناس على أسس من الحق وإبراز إنجازاتهم وسلبياتهم وعدم الإنحياز لإرضاء الحاكمين أو التملق لهم فلم يحظ بمثل هذا الاهتمام ولم تسلط الأضواء على أحوال الناس وبخاصة الاجتماعية والاقتصادية على الرغم من أن الشعوب هى التى صنعت التاريخ وكانت الطاقة الحقيقية له حتى جعلته يتوهج أو يخبو، ولم يكن الحاكم أو البطل إلا واجهة تعبر عن ذلك فهو من صناعة الشعوب التى رفعته على كتفها لينطق بأفكارها ، كما أن الشعوب التى أفرزته قادرة على أن تفرز غيره ، يضاف إلى هذا أن هؤلاء المؤرخين لم يسخروا طاقاتهم لخدمة مصالح وطنهم على أسس من الحق والحكم على الوقائع بطريقة موضوعية.

واستمر الحال على هذا المنوال فترة حتى برزت النهضة التاريخية الحديثة فى القرن التاسع عشر واخذ المؤرخون فى توجيه جهودهم إلى تاريخ حياة الشعوب وأحوالها بما فيها من مباهج ومآس، وإلى اتجاهاتهم الفكرية وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، ومظاهر حياتهم المختلفة بخيرها وشرها حتى صار تاريخ الملوك والحكام لا يذكر إلا

من خلال الحديث عن شعوبهم، وأصبح التاريخ علم دراسة حركة الزمن ورصد اتجاهات التطور، وأصبح من أدوات المجتمعات فى معركة الرقى والتقدم ، كما أصبحت فلسفة التاريخ تسلم بأهمية الشعوب وتنسب إليها الأحداث الهامة خاصة وأنها هى التى صنعت التاريخ ولا تزال تصنعه ، وأن أبطال التاريخ هم فى النهاية بشر يصيبون ويخطئون.

ونتيجة لذلك أصبحت دراسة التاريخ أداة للنقد السياسى، وحافزا على الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى وباعثا على التطور الحضارى، خاصة وأن التاريخ يعد مستودع أمجاد الشعوب، ومعرض آثارها ، والمبكى الذى تندب فيه حظها العاثر وأن الحاكم مثله مثل البشر له عيوب لا يصح أغفالها ومع ذلك فان فكرة توظيف التاريخ لأسباب سياسية ما زالت قائمة، مما جعل البعض يطالب بإعادة كتابة التاريخ بعين فاحصة ومدققة حتى تجلو الحقائق واضحة للعيان.

د. عبد المنعم الجميعى

القاهرة – المهندسين

٧ يناير ٢٠١٤

الفصل الأول

اتجاهات الكتابة التاريخية فى مصر خلال القرن التاسع عشر

*أهمية كتابات الحبرتى فى تاريخ مصر الحديث. كتابات الجبرتى عن محمد على وما ترتب عليها. دور رفاعة الطهطاوى وتلاميذه فى حركة التنوير وفى تطوير الدراسات التاريخية. على مبارك ودراساته حول تاريخ مصر العمرانى والاجتماعى والتعليمى. معاصرو على مبارك وكتاباتهم. ميخائيل شاروبيم ومواكبة الأسلوب الحديث فى الكتابة التاريخية. كتابات الأفغانى وأثرها فى انبعاث الكتابة الوطنية. كتابات رجالات الثورة العرابية كلون من ألوان الكتابة التاريخية.

تبدأ حركة التأليف التاريخى لمصر الحديثة بعبد الرحمن الجبرتى الذى عاش عصر انتقال مصر فى العصور الوسطى إلى العصر الحديث تلك الفترة التى اتسمت بالاضطراب الشديد والتغير السريع، والتى شملت أواخر العصر العثمانى الأول وعصر الحملة الفرنسية ونحو عشرين سنة من حكم محمد على. وهذه الفترة من تاريخ مصر تعد الحد الفاصل بين عصر الركود والهدم والتخريب، وعصر النهضة والإنشاء والتجديد، وقد دون الجبرتى حوادث مصر منذ سنة ١٦٨٩ ميلادية، وكان شاهد عيان لها من سنة ١٧٥٧ إلى سنة ١٨٢١م.

وكتابات الجبرتى فى مؤلفيه "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار[(١)]" ومظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس[(٢)] – أو زوال دولة الفرنسيس فى بعض النسخ – تعد

---

(١)طبع عدة طبعات بعد أن ظل محجوبا لفترة ليست بالقليلة ، وبعد أن أذن الخديوى توفيق بطبعه طبع لأول مرة فى عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م بالمطبعة الأميرية ببولاق ثم تكرر طبعه فطبع بالمطبعة الشرفية فى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥ فى أربعة أجزاء وقامت وزارة التربية والتعليم بتحقيقه تحت إشراف الأستاذ محمد شفيق غربال فى عام ١٩٥٨ كما ترجم إلى الفرنسية فى تسعة أجزاء وإلى جانب ذلك فقد طبعته مكتبة الأسرة أكثرة من مرة.

(٢)يؤرخ هذا الكتاب للحملة الفرنسية على مصر، وكان الجبرتى قد أهداه إلى يوسف باشا القائد العثمانى الذى دخل القاهرة فى أعقاب خروج الفرنسيين منها، وقد قامت وزارة التربية والتعليم بتحقيقه فى عام ١٩٦١ ثم طبع عدة طبعات بعد ذلك والجدير بالذكر ان الجبرتى قد أفاد فى تاريخه من جهود بعض المعاصرين له أمثال اسماعيل الخشاب وحسن العطار كما أفاد أيضا من جهود من سبقه من المورخين.

بمثابة الركائز الأساسية فى كتابة تاريخ مصر الحديث خاصة وأن صاحبها ذكر الحقائق التاريخية دون مواراة أو مجاملة لحاكم أو لغيره، وعالج مشاكل الحياة والمجتمع المصرى معالجة البصير بالأمور وحكم عليها حكما مقبولا كما ترجم لشخصيات مصر فى ذلك العهد مما جعل المؤرخ البريطانى "توينبى" يصفه بأن مثل ثوكيديدس اليونانى الذى وقع عليه عبء كتابه تاريخ حقبة شاذة من حياة الحضارة التى ترعرع فى ربوعها، وان فى وسع مصر أن تفاخر بالجبرتى وان تباهى به سائر المتحدثين بالعربية. (١)

وجعل " شفيق غربال" يصفه بأنه أخذ من كل شئ بطرف، وله فى كل دراسة مقام محمود. (٢)

وجعل " عزت عبد الكريم " يصف ما كتبه بأنه كان على مستوى عال من الدقة والتحرى والإضافة خلال ذلك المنعطف الذى كانت تجتازه مصر. (٣)

وجعل " محمد أنيس" يقول عنه أن أهم ما يميزه هو دقة المؤرخ واستقصاؤه للحوادث، وموضوعيته هذا فضلا عن أنه كتب عن عصور ثلاثة هى مصر العثمانية والحملة الفرنسية وظهور محمد على. (٤)

يضاف إلى ذلك أن البعض وصف ما كتبه بأنه أعظم تواريخ مصر فى القرنين الثانى عشر ، والثالث عشر الهجريين(٥)، وأنه تاريخ ممتاز للحوادث التى وقعت فى

---

(١) أرنولد توينبى: عبد الرحمن الجبرتى وعصره – ضمن كتاب عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث، ص ١٥.

(٢) محمد شفيق غربال : عبد الرحمن الجبرتى – ضمن كتاب عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث ص ٩-١١.

(٣)من تقديم عزت عبد الكريم للدراسات والبحوث التى قدمت خلال ندوة الجبرتى التى أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ابريل ١٩٧٤.

(٤) محمد انيس: الجبرتى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى، دراسة ضمن بحوث الندوة.

(٥) راجع ما كتبه ماكدونالد Macdonald فى ترجمته للجبرتى فى دائرة المعارف الاسلامية مادة " جبرتى" وما كتبه إدوارد وليم لين فى كتابه الأحوال والعادات فى مصر الحديثة
The , Manners , customs of the modern Egyptian , London , 1836.

مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين، وأنه من أعدل وأضبط المؤلفات التاريخية التى تصف أحداث زمانها بصدق[1]، ويمكن أن نرجع ذلك إلى ما يلى:

١- يعد ما كتبه الجبرتى وثيقة تاريخية هامة وفريدة فى تاريخ مصر السياسى والاجتماعى خاصة وأنه يحمل بين جنباته صورة مفصلة عن حياة المصريين الاجتماعية، ويتضمن التأثيرات الموضوعية للحملة الفرنسية على مصر، كما يتضمن فترة هامة من حكم محمد على بما لها وما عليها . فقد عاش الجبرتى عصر انتقال مصر من حال إلى حال، وصور ما تحمله أهلها من مشقات ودون ما رأى وما سمع وما أحس دون أن ينحاز لحاكم أو لسلطة.فعلى الرغم من تكوينه الدينى ، فقد كان رجل دين ودنيا أخذ من كل شئ بطرف فاشاد بالمظاهر الايجابية لسياسة الفرنسيين فى مصر أحيانا وندد بأعمالهم المنافية للشرع والدين فى أحيان أخرى فامتدح رفضهم للسخرة ، وتشكيلهم الديوان، واهتمامهم بتنظيم القضاء وعنايتهم بالنظافة ، ومنعهم دفن الموتى فى المقابر القريبة من المساكن، وعدالتهم فى الأحكام خاصة خلال محاكمتهم لسليمان الحلبى قاتل كليبر حيث لم يبادروا بقتله بل سألوه وحاكموه وناقشوه وناقشوا الشهود، كما أبدى اعجابه بنشاطهم العلمى ورغبتهم فى البحث والمعرفة وتنظيمهم لقاعة لمطالعة التى خصوصها للقراء[2]، وتطلعهم الزائد إلى العلوم فعندما شاهد التجارب العلمية التى أجراها أمامه بعض علماء الفرنسيين قال : لهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق ويدأبون فى ذلك الليل والنهار ، وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها

---

(١) أسدرستم: المحفوظات الملكية المصرية، المجلد الأول ١٨١٠ ــ ١٨٣٢ تحت عنوان "ما لا يستغنى عنه الباحث".

(٢) من المفيد الاشارة إلى ان ما كتبه الجبرتى فى "مظهر التقديس" يختلف عما كتبه فى "عجائب الآثار" ففى مظهر التقديس يخرج الجبرتى عن الموضوعية احيانا ، وينظر إلى الحوادث بعاطفته الدينية والوطنية فيرى كل ما هو فرنسى كريه ، ويكفى ان يكون الحكم غير اسلامى لينتقده ، ولكنه فى عجائب الآثار تخلى عن هاتين العاطفتين.
للتفاصيل انظر : د. محمد انيس : الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار ، مجلة كلية الآداب ، المجلد الثامن عشر ، جـ١، مايو ١٩٥٦، ص ٥٩ ــ ٧٠.

واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أى لغة كانت إلى لغتهم فى أقرب وقت.. وعندهم الالات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن كما أعرب عن دهشته مما شاهده عندما زار المجمع العلمى الفرنسى بقوله " ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا. [1]

وتزداد قيمة ما كتبه الجبرتى من كونه عاصر معظم الأحداث التى كتبها وشارك فى بعضها أحيانا ، وتابع بعضها فى احيان أخرى، وساعده فى ذلك اتصاله بالجهات الرسمية يؤمئذ، وتعيينه عضوا فى الديوان العام الذى أنشأه الفرنسيون بالقاهرة للاستعانة به على ضبط النظام فجاء ما كتبه سجلا حافلا التزم فيه جادة الحيدة والانصاف وقد عبر عن ذلك فى مقدمة كتابه بقوله " لم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق لميل نفسانى أو غرض جسمانى.

وحول موضوعية الجبرتى وعدم انحيازه لارضاء الحاكمين وتغلب الموضوعية على الذاتية فى كتاباته نذكر:

١- على الرغم من دفاع الجبرتى عن العثمانيين فى العديد من المواقف فقد أعرب عن خيبة أمله فى عودتهم إلى مصر عقب خروج الفرنسيين منها لشعوره ان الحكم الفرنسى فى بعض الأحيان كان خيرا من الحكم العثمانى.

٢- على الرغم من كراهية الجبرتى لمحمد على لما رآه من ضروب العنف والاستبداد والقسوة التى وقعت فى عهده، ووضعه لأدوات الانتاج فى يده، وقيامه بالغاء الالتزام الذى أضير منه شخصيا فقد كانت كتاباته عنه فى معظم الأحيان تتسم بالموضوعية فأشاد بمحمد على فى بعض المواقف وانتقده فى مواقف أخرى ، وعن مواقف الاشادة بمحمد على نذكر انه أشاد بفضله فى تعمير الاسكندرية ووصف ذلك العمل بأنه من محاسن الأفعال التى عجز

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣، القاهرة ، المطبعة الأميرية صفحات ٢٦، ٣٤، ٣٥.

السابقون عن القيام بها ، كما أشاد به عندما قام بتشجيع أبناء مصر من النبهاء فذكر أنه عندما ابتكر مصريا يدعى "حسين شلبى عجوة " آلة لضرب الأرز وتبيضه تدور بطريقة سهلة توفر على الناس جهدهم وطاقاتهم وعمل لها مثالا من الصفيح وقدمه لمحمد على أنعم عليه الباشا بالأموال وأمره أن يذهب إلى دمياط ليقيم فيها مصنعا تستخدم فيه هذه الآلة التى اخترعها. (١)

أما عن مواقف انتقاده لمحمد على فعلى الرغم من أنه كان يعلم جيدا أن ذلك سيسبب له المتاعب ، وقد يعرض حياته وحياة أسرته للخطر فانه كان جريئا وأمينا فى اتهامه له فذكر " أن من طبعه الحسد والشره والطمع والتطلع لما فى أيدى الناس وأرزاقهم"(٢)، كما تعرض لموقف محمد على من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية بالنقد فأعرب عن تعاطفه مع رجالات الدعوة واقتناعه بآرائهم ، وأبدى تبرمه من قيام محمد على بإثقال كاهل المصريين بالضرائب لتدبير تكاليف الحملة فقال: " وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية وذكر انها مساعدة على حروب الحجاز(٣)، كما ذكر أن جنود محمد على كانوا يخطفون من الفلاحين" السمن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك(٤)، بحجة سفرهم إلى الحجاز لدرجة أن قل اللحم والسمن والجبن خاصة بعد أن استولى محمد على علي مواشى الفلاحين وأغنامهم. (٥)

وإلى جانب ذلك فانه يمكن القول ان الجبرتى كان وسطا فى بعض الأحيان فى حكمه على محمد على ومن ذلك قوله: " له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار، جـ٤، ص ٢٧٢.
(٢) عجائب الآثار، جـ٣، ص ٣٤٢، ٣٤٤.
(٣) نفسه، جـ٣، ص ٣١٣.
(٤) نفسه، جـ٣، ص ٣٦٩.
(٥) نفسه، جـ٤ ص ٩٠، وللتفاصيل انظر د. عبد المنعم الجميعى : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابات المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى: الرياض ، العدد الأول من مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.
واللافت للنظر انه على الرغم من ان الجبرتى كان قاهريا والريف كان على هامش حياته إلا أنه كان على علم بحياة الفلاحين خاصة وانه كان يمتلك ارضا بقرية " ابيار" بالقرب من كفر الزيات لتفاصيل ذلك انظر دراسة للدكتور رءوف عباس تحت عنوان "تصوير الجبرتى للمجتمع الريفى ندوة الجبرتى"، ص ٤١٣.

فلو وفقه الله لشئ من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه. [١]

وهكذا يتضح أن الجبرتى لم يتجن على محمد على بل كان منصفا فى عرضه لأعماله فذكر ما له وما عليه وهذه هى احدى شيم المؤرخ الحقيقى الذى لا يحابى ولا ينحاز لأحد مهما عظم نفوذه ، ولا يغمط الحقيقة حقها مهما كانت العواقب، وربما لو عاش الجبرتى فترة أطول وشاهد الطور الأخير من حكم مصر فى عهد محمد على لتغير موقفه تجاهه خاصة وان الجبرتى توقف فى كتابته عند عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م أى فى وقت كانت جهود محمد على العمرانية والحضارية لم تكن قد اتضحت بعد.

٣- يرجع الفضل للجبرتى فى تدوين تاريخ مصر وحوادثها وتراجم رجالها فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين وبدون ما كتبه كان المؤرخون يفتقدون العديد من حوادث تلك الحقبة حقيقة هناك كتاب " ذكر تملك الفرنساوية للديار المصرية" للمعلم نقولا بن يوسف الترك اللبنانى[٢]، وهناك كتاب "تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين "للشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر خلال تلك الفترة"[٣]، ولكن هذين المصدرين العربيين يشوبهما الكثير من عوامل النقص والقصور فالأول مال نحو الجانب الفرنسى والجاليات الأجنبية فى مصر فمدح بونابرت ورثى كليبر وما كتبه لا يرقى إلى كتابات الجبرتى، وجل ما يحمد له أنه حفظ لنا بعض المنشورات التى أهملها الجبرتى، والثانى كان أول من استقبل الأتراك العثمانيين بعد خروج الحملة وألف كتيبا بناء على طلبهم ، ولكن ما كتبه ليس فيه عن الحملة الفرنسية سوى صفحات

---

(١) عجائب الآثار، جـ٣، ص ٥٢٨.

(٢) عمل فى خدمة الأمير بشير الشهابى ، وحضر إلى مصر قبل الحملة الفرنسية بزمن قصير، والكتاب طبع فى باريس مع ترجمة فرنسية له.

(٣) كان رئيسا للديوان أيام الفرنسيين وقد ترجم له الجبرتى فى وفيات ١٢٢٧هـ. ومن المعروف ان الشيخ الشرقاوى تعاون مع الفرنسيين وانبهر بتفوقهم لذلك كان اختياره كرئيس للديوان الأول اختيارا مقصودا من جانب بونابرت.

قليلة لا قيمة لها بالنسبة للمؤرخ اللهم إلا من جهة صدورها من رجل كان شيخا للأزهر.

٤- كتب الجبرتى تاريخا بلا عاطفة وكان رائده الصدق فيما كتبه فهو يلم بالشوارد ويدون ويقيد ولكنه لا يلون بشعور ولا يضفى باحساس[١]، فعندما تحدث عن الثورات التى قام بها أهل القاهرة من الفرنسيين اتهم بعض زعمائهم بأنهم من الأغرار الأفاقين كما سمى القائمين بالثورة أحيانا بالذعر وأحيانا بالحشرات مما يؤكد طبيعته البعيدة عن العنف، وعندما تطرق إلى مساوئ الحكم الفرنسى لم يفته الإشادة بعدالتهم خلال محاكمتهم سليمان الحلبى قاتل كليبر.

٥- بساطة الجبرتى وعدم انسياقه إلى التفاخر بنفسه أو باعماله، فعلى الرغم من اشتراكه فى الديوان الذى ألفه "مينو" لم يردد ذلك صراحة فى كتابه، وعندما تعرض لذكر الديوان لم يذكر اسمه صراحة وانما قال كاتبه.

٦- كتب الجبرتى مؤلفه بطريقة الحوليات واليوميات فى إفاضة وتفاصيل ممتعة، وبشكل جعل تعيين الأماكن والمواقع ظاهرة واضحة فى روايته . فلا يورد حدثا من حوادث الحرب أو الثورات أو المواكب والحفلات العامة ولاسميا فى القاهرة إلا قرنه بتحديد الأماكن والمواقع من شوارع وميادين ودروب ومنازل بحيث نستطيع من خلال روايته أن نصور معالم القاهرة فى عصره واضحة جليه.

٧- إن كتابات الجبرتى أشبه بالتلال الأثرية لا تكاد تحفر فيها حتى تجد تحفة أثرية نادرة ، وكلما ازددت فى الحفر عثرت على اللؤلؤ والجواهر، ومع ذلك فان هذا الحفر يحتاج إلى صبر ومثابرة وأناه حتى يمكن استخراج هذه النفائس من الأتربة العالقة بها. [٢]

---

(١) محمود الشرقاوى : دراسات فى تاريخ الجبرتى – مصر فى القرن الثامن عشر، جـ١، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٥٥، ص ٢٩.

(٢) احمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث، ص ٤٣٥ – ٤٣٦.

ومع كل ذلك فمما يلاحظ على كتابات الجبرتى أنه كتب عن القاهرة اكثر مما كتب عن مصر كلها فالحوادث التى تعرض لها عن الوجهين القبلى والبحرى كانت على هامش كتاباته يضاف إلى ذلك ان من يقرأ الجبرتى يرهقه كثرة استعماله للعامية والتعبيرات الشعبية المصرية مثل كلمة "شطح" اى ارتفع وكلمة "قشلان" بمعنى مفلس وكلمة "وثارت كرشة" أى زحام وكلمة "النفخة" بمعنى الغرور كما يرهقه كثرة الأغلاط وعدم الترتيب العلمى، وعدم تناسق الروايات والحوادث التى يتعرض لها وقد لا يعيب هذا الجبرتى بقدر ما يعبر عن طبيعة عصره ومعاييره ، فقد تأثر الجبرتى بطابع عصره من ناحية انحطاط الأسلوب ، وشيوع العجمة فى التراكيب والتردى فى الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية لذلك فالذين لا يأخذون الأمور بظواهرها ، والذين يتعمقون فى البحث عن حوادث تلك الأيام وأحوالها وظروفها لا يسعهم سوى الاعجاب بما كتبه الجبرتى كأثر تاريخى هام ، ويوميات ذات قيمة كبيرة للمؤرخ[١]، بزّبها ما كتبه علماء زمانه أمثال "عبد الله الشرقاوى" و "إسماعيل الخشاب" و "نقولا ترك" وغيرهم لدرجة أن مقارنته بهؤلاء شبهها البعض بمقارنة القمح بالقشور[٢]، وعلى أى حال فإن موقف الجبرتى من " محمد على" قد عرض حياته وحياة أسرته للخطر، وجلب عليه الضرر البليغ ففقد ابنه خليل الذى قتله جنود محمد على فى شبرا بعد صلاة الفجر بأوامر من "محمد بك الدفتردار" صهر محمد على ثم ربطوه برجل حماره ، ولما أصبح الصباح عرفه الناس بما كان يحمله من دفاتر مكتوبة، وآلات لرصد النجوم والكواكب، وأخذ الناس فى تناقل الخبر.

ونتيجة لحزن الجبرتى على ابنه فقد بصره، وترك الكتابة والتأليف، وظل فى داره منزويا حتى مات، يضاف إلى ذلك ان منزله بالصناديقية ومكتبته الحافلة بذخائر

---

(١) الجدير بالذكر انه لا صحة لما يذاع حول ان هناك جزءا خامسا من كتاب عجائب الآثار لم يصرح بطبعه لما فيه من الطعن على محمد على لأنه توجد نسخة خطية من تاريخ الجبرتى فى مكتبة وزارة الحربية الفرنسية بباريس، ولو كان فيها شئ لم ينشر فى الطبعة العربية لما خفى أمره على المستشرقين والباحثين الأوربيين.

انظر عوض: المرجع السابق، ص [illegible].

(٢) جاك كرابس : كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر – ترجمة عبد الوهاب بكر- القاهرة، الألف كتاب الثانى (١١٨) ١٩٩٣، ص ٨٢.

المخطوطات قد أحرقا خشية ان يكون فيهما أوراق أو كتابات معادية لمحمد على[١]، ونتيجة لذلك نفر المصريون من كتابة تاريخهم الحديث حتى لا يقعوا تحت طائلة اضطهاد أسرة محمد على كما حدث للجبرتى، وكرهت أسرة محمد على ايضا ان يشتغل المصريون بدراسة تاريخهم الحديث وخاصة أنهم كانوا يريدون الا يدون من تاريخهم سوى ما يروقهم، وان يكتب المؤرخ التاريخ على الصورة التى ترضيهم ولا تغضبهم ومن هنا ابتعد المصريون عن كتابة تاريخ بلادهم السياسى واخذ بعضهم – خصوصا الذين درسوا فى أوربا – فى تنمية ميوله وثقافته عن طريق ترجمة بعض الكتب التى تغطى تاريخ العالم منذ أقدم العصور او التى تتطرق إلى الأمور الثقافية والتربوية والأدبية كما فعل رفاعة رافع الطهطاوى[٢]، ذلك الرجل الذى وضعت مصر عليه الآمال، وخصصت له دورا كبيرا ليؤديه ، فاضطلع بمهمته بثقة واقتدار واظهر من الجدارة ما يعادل الأمل المعقود عليه واستطاع اضاءه مشاعل الفكر والتنوير بعد ان جاء بمنظومة ثقافية جديدة على المصريين استطاع خلالها ان يمزج حضارة مصر الشرقية بالحضارة الغربية فترجم رفاعة – الذى بدأ يفكر فى مستقبل الدراسات التاريخية فى مصر بعد عودته من فرنسا[٣]، عدة مؤلفات معروفة ومشهورة[٤]، كما حاول قدر

---

(١) يذكر البعض ان جزءا من تاريخ الجبرتى احترق، وكان يتضمن حوادث ما بعد سنة ١٢٣٦هـ.
انظر : الشرقاوى : المرجع السابق، ص ١٦.
ومن المعلوم ان محمد على اوعز إلى بعض الموالين اليه بنقد كتاب الجبرتى وتجريحه فكتب الشيخ خليل الرجبى كتابا بعنوان " تاريخ الوزير محمد على باشا" عرض فيه لمآثر محمد على وأشاد بأعماله، ورد على ما جاء فى كتابات الجبرتى بشأن محمد على.
(٢) للتفاصيل انظر جمال الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٥١ ، ص ١٥١ – ١٥٤ وايضا التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر س ١٩٨- ١٩٩.
(٣) كان ثمرة تفكيره مشروعين علميين الأول ترجمة بعض المؤلفات التاريخية إلى اللغة العربية حتى يضع بين يدى المصريين تاريخا متكاملا يغطى العصور التاريخية المختلفة، والثانى إنشاء مدرسة للتاريخ والجغرافيا ، ويبدو أن هذه المدرسة لم تعش طويلا.
(٤) من هذه المؤلفات :
- نظم اللالى فى السلوك فيمن حكم فرنسا من الملوك وهو تاريخ فرنسا ويشتمل على مقابلة زمنية بالتاريخ الاسلامى.
- مطالع شموس السير فى وقائع كرلوس الثانى عشر وهو تاريخ لشارل الثانى ملك السويد.
- اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى اوربا.
- تاريخ بطرس الأكبر.

الامكان عدم التعرض لواقع مصر المعاصر له وخاصة اسرة محمد على فتطرق للكتابة فى تاريخ مصر القديم، وفى السيرة النبوية فكتب فى التاريخ القديم "انوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل"(١)، وفيه تعرض لعصور الفراعنة والرومان والبطالمة والبيزنطيين وختمه بالفتح العربى لمصر بطريقة جديدة نهج فيها منهجا علميا لم ينقص فيها من قدر أمجاد مصر القديمة أو يلعنها كما كان يفعل سابقوه ، وإنما آمن بأمجاد هذا التاريخ ، ورغب فى ان تستعيد مصر امجادها التى كانت عليها فى عهد الفراعنة ، وكتب عن سيرة الرسول عليه السلام كتابا بعنوان " نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز" تتبع فيه حياة الرسول منذ مولده إلى وفاته، كما قدم دراسة هامة عن المؤسسات السياسية والإدارية والاجتماعية والمالية فى الاسلام فى محاولة منه للخوض فى هذا الموضوع بطريقة علمية ولرفاعة غير هذين الكتابين مؤلفات لها قيمتها التاريخية فحول رحلته إلى باريس كتب "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" أو الديوان النفيس بايوان باريز"(٢)، وهو عنوان مسجع على نحو ما كان شائعا فى ذلك الوقت، وفيه عرض لرحلته فى فرنسا ولحركة الاستنارة الأوربية التى غرستها فيه هذه الرحلة، فتحدث عن قيام الفرنسيين بخلع الملك شارل العاشر فى عام ١٨٣٠ وقيام ملكية يوليو الدستورية ، وتعرض للمبادئ الدستورية التى غرستها الثورة الفرنسية فى نفوس الفرنسيين والتى نصت على مبدأ تكافؤ افرص وما للمواطن الفرنسى من حقوق وما عليه من واجبات كما نصت على حرية العقيدة والعبادة وعلى حرية الرأى فى حدود القانون والصالح العام.

ومع أن رفاعة حاول إدخال مبادئ الثورة الفرنسية فى النهضة المصرية الحديثة وفى تاريخ الفكر السياسى المصرى الحديث فانه كان متحفظا فى ذلك إلى حد كبير وعلى سبيل المثال نذكر انه حين أشار إلى مبدأ فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لدى "مونتسكيو" نجده يتعرض للفكرة الاسلامية التى ترى بأن الشريعة فوق الجميع وان

---

(١) طبع عام ١٨٦٨

(٢) نشر لأول مرة فى عام ١٨٣٤ ثم طبع بعد ذلك ثلاث طبعات، وترجم فيما بعد إلى التركية ولقى قبولا واسعا بين أوساط المثقفين فى استانبول.

على المحكومين طاعة الحاكم، وعلى الحاكم إرضاء المحكومين وإرساء العدالة بينهم وممارسة سلطاته بطريقة سليمة فالحاكم لديه يتمتع بكامل السلطات بشرط احترام القانون. (١)

وحول ما يخص آداب عصره كتب " مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية"(٢)، وهو أول كتاب عربى ينزع إلى الناحية الوطنية(٣)، فيذكر معنى الوطن ومصر ومزاياها ويتعرض لفكرة التسامح الدينى والأخوة فى الوطن، كما يتعرض للمنافع العامة فيخصص لها أكثر أجزاء الكتاب فيذكر الآمال التى يأملها فى المنافع العامة فى كلمات تحفل بمعانى التكريم والولاء لمصر وشعبها فمصر فى نظرة أم الدنيا وروضتها، وأنها دون غيرها من الممالك أعظم تمدينا وتقدما ، كما أن أهلها لديهم درجة عليا من الفنون والمنافع العمومية وهو ما تشهد به الآثار المصرية التى تعد من أكبر مصادر الفخر للمصريين بحكم احتوائها على المقومات الأساسية للحضارة من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وفى خاتمة الكتاب يتطرق رفاعة إلى ما يجب على المصريين تجاه وطنهم بأسلوب جمع فيه بين ثقافته الإسلامية وثقافته الفرنسية.

وحول ما يخص تربية الناشئة كتب رفاعة " المرشد الأمين فى تهذيب البنات والبنين" وهو كتاب أخلاق وتربية للمتعلمين والمتعلمات وقد صدر فى عام ١٨٧٢م.

وإلى جانب ذلك قام رفاعة الطهطاوى بإنشاء مدرسة الألسن إحدى الأدوات الهامة التى أدت إلى ربط الثقافة المصرية بالثقافة الأوربية حيث نقلت العديد من كتب التراث المغربى إلى العربية، كما قام رفاعة بإصدار أول مجلة ثقافية علمية تصدر فى مصر فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بالاشتراك مع على باشا مبارك وهى مجلة

---

(١) الجدير بالذكر ان محمد على قرأ هذا الكتاب بعد أن ترجم له إلى التركية، وطبع بعد ذلك عدة طبعات من أشهرها الطبعة التى أشرفت وزارة الثقافة والإرشاد القومى على اخراجها وكلفت الدكتور مهدى علام وبعض الأساتذة بالتعليق عليها والتقديم لها وكان ذلك فى عام ١٩٥٨.

(٢) نشر لأول مرة فى عام ١٨٦٩.

(٣) نشر حسين المرصفى خلال هذه الفترة وبالتحديد فى عام ١٨٦٩ كتابه " الكلم الثمان" وفيه تعرض لدراسة الكلمات الجديدة التى وفدت على الفكر السياسى المصرى مثل الوطن، والحرية، والأمة، والعدالة، والعلم، والسياسة، والحكومة، والتربية.

" روضة المدارس" المصرية التى صدر العدد الأول منها فى الخامس عشر من المحرم عام ١٢٨٧هـ الموافق ابريل ١٨٧٠ وكانت روضة حقه تحفل بثمار جمهرة من الأقلام البارعة وقد طرحت هذه المجلة عدة تساؤلات أهمها:

على أى منهج يكون تحول مصر الحضارى؟ هل نعود إلى الماضى وننعم بالعيش فى فردوسه المفقود، ونقطع كل صلتنا بالحاضر؟ أم نقفز قفزا إلى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد؟ وكان الجواب حاضرا تجسده شخصية رفاعة الطهطاوى الذى كان ثمرة ناضجة من ثمار امتزاج الماضى بالحاضر، وتكوين مركب جديد فيه أنضر ما فى الماضى من صفحات ، وأعذب ما فى الحاضر من منجزات. (١)

ومع أن رفاعة لم يتخل فى كتاباته عن النظرة التقليدية لمفهوم التاريخ فى بعض الأحيان ولم يستطيع ان يهجر السجع فى كثير من الأحيان فانه قد أضاف إليه لمحات جديدة جديرة بالالتفات والتسجيل منها تقسيمه للتاريخ إلى قديم وحديث وإلى عام وخاص كتاريخ جميع الأمم عامة أو تاريخ امة واحدة كتاريخ المصريين مثلا ، ومنها عاطفته الوطنية القومية وحبه الشديد لمصر الذى ملك عليه نفسه وجعله يشيد بمصر وفضلها على الحضارة العالمية فهو يصفها بأم الدنيا والوطن، وأم أمم الدنيا التى "نازعت قدماء الأمم فى الأقدمية، فسلموا لها أنهم دونها مرتبة فى الأهمية وان لم تسبقها أمة فى ميدان التمدينية" وأنها أيضا "رحيبة الدولة مهيبة الصولة" كما جعله يعتمد الفصول الطوال فى كتبه المتعددة للتغنى بالوطن والوطنية وأهمية التضحية فى سبيلهما.

ومع أن الطهطاوى كتب عن الوطنية فانه لم ينس أنه مسلم قبل كل شئ وأبرز الأدلة على ذلك ما ذكره فى شعره الذى تغنى فيه بمصر وباريس معا حيث يقول:

فكل منهما عندى عروس ... ولكن مصر ليست بنت كفر (٢)

وعلى أى حال فانه يمكن القول ان التسجيل التاريخى أصبح بفضل جهود الطهطاوى ومدرسته تاريخا بالمعنى الحقيقى لكلمة التاريخ وذلك نتيجة للمنهج العلمى

---

(١) محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقى : روضة المدارس، نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص ١٣.

(٢) رفاعة الطهطاوى: تخليص الأبريز فى تلخيص باريز، تحقيق مهدى علام وآخرين القاهرة البابى الحلبى، ١٩٥٨، ص ١٠٥.

الذى اتبعه ، والدقة والموضوعية التى سار عليها فقدم لنا بذلك رؤية حضارية للأطار العام الذى سارت على النهضة المصرية، كما فتح الأذهان لما يدور فى العالم من أحداث مما يجعلنا نعده رائدا من رواد حركة التنوير خاصة وأنه دعا إلى التسامح بين الأديان وناقش عدة قضايا اجتماعية بطريقة موضوعية بعيدة عن الانبهار بالغرب أو التعصب للشرق. كما نجعل مؤلفاته مصدرا رئيسيا خلال كتابتنا للتاريخ ، وقد سبقنا فى هذا الرأى عبد الله النديم الذى طلب خلال فترة اختفائه عن أعين السلطة بعد انكسار الثورة العرابية مجموعة من الكتب للاستفادة منها خلال وحدته كان من بينها مؤلفات الطهطاوى.

وعلى الرغم من ذلك فلم يهنأ رفاعة بما قدمه لبلاده من خدمات فبعد أن تولى عباس الأول أريكة الحكم فى مصر أمر بنفيه إلى السودان نتيجة لوشاية نقلها البعض إليه، واختلفت الآراء فى تعليلها فمنها من قال ان كتاب تخليص الأبريز وما به من آراء ومبادئ لا يرغب فيها الحاكم المستبد كان السبب فى نفيه(١)، ومنها من يقول أن رفاعة لقى معارضة من بعض المشايخ المتعصبين الذين ربما عدوه متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه فكادوا له عند الباشا(٢)، وهناك رأى آخر يقول أن على مبارك الذى عاد من أوربا مليئا بالأطماع الشخصية كان وراء نفى رفاعة إلى السودان. (٣)

وعلى أى حال فقد انكب بعض المعاصرين للطهطاوى على دراسة تاريخ مصر العمرانى والاجتماعى والتعليمى كما فعل على مبارك(٤)، فى كتابه "الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة(٥)، والذى يعد من أهم المصادر

---

(١) الرافعى: عصر محمد على، ص ٤٨٩.
(٢) احمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر- عصر عباس وسعيد القاهرة ١٩٤٥، ص ٥٨.
(٣) احمد بدوى: رفاعة الطهطاوى بك، القاهرة، لجنة البيان العربى، ١٩٥٠، ص ٤٧.
(٤) عن سيرة حياته انظر الخطط التوفيقية، جـ ٩، ص ٣٧- ٦١.
(٥) تشتمل الخطط التوفيقية على عشرين جزءا فى خمسة مجلدات كبيرة، وقد أراد على مبارك أن يكمل بها ما كتبه القريزى فى خططه، وهى عبارة عن موسوعة هامة تضم العديد من التراجم والأعلام، كما تتناول معلومات هامة عن القرى والمدن المصرية بما فيها من مؤسسات دينية وثقافية خلال القرن التاسع عشر وقد سماها بالخطط التوفيقية نسبة إلى الخديو توفيق ، وقد جاءت هذه الخطط فى بعض الوجوه أتم وأوفى من خطط المقريزى خاصة ، أن صاحبها تتبع تاريخ الخطط فى ظلمات العصر العثمانى، وحقق المعالم والمواقع الأثرية القديمة على ضوء الأطلال الدارسة والمنشئات المحدثة التى تفصلها من الماضى قرون طويلة.

فى دراسة تاريخ مصر الاجتماعى فى القرن التاسع عشر هذا إلى جانب أن إنشاء مجلة "روضة المدارس" كانت من وحى على مبارك وثمار تفكيره حين كان وزيرا للمعارف، وهو الذى عهد إلى "رفاعة الطهطاوى" بأن تكون تحت نظارته.

ومن المعروف ان هذه المجلة اهتمت بالتاريخ وحرصت على نشر الجداول التاريخية للوقائع العالمية الشهيرة والحوادث الكبيرة، كما تطرقت فى موضوعاتها إلى بيان سلاطين آل عثمان إلى عهد السلطان عبد المجيد خان.

يضاف إلى ذلك أن "على مبارك" ألف كتبا عديدة فى العلوم والهندسة والثقافة منها "تقريب الهندسة"[١]، ورواية علم الدين[٢]، وكتاب " حقائق الأخبار فى أوصاف البحار[٣]، وكتاب " تنوير الأفهام فى تغذى الأجسام[٤]، وكتاب "نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر"[٥]، وغيره وإلى جانب ذلك فقد قام "على مبارك" بترجمة كتاب تاريخ العرب لسديو.

السؤال المطروح هل قام على مبارك بتأليف كل هذه الكتب العديدة وحده أم ساعده فى تأليفها آخرون، وما هى مصادره التى استعان بها خلال تأليفه لهذه الكتب؟

حقيقة أن على مبارك كان شغوفا بالتاريخ، ولكن هذا لا يعنى أنه قام بتأليف كل ما كتبه فيه بل كان له معاونون خاصة من الذين عملوا تحت إدراته، وقد ألمح على مبارك إلى ذلك فذكر أن أعماله الرسمية الكثيرة جعلت من الصعب عليه ان يكمل مهمة التأليف وحده. [٦]

---

(١) طبع بمطبعة وادى النيل فى عام ١٢٧٩هـ بهدف تعليم الضباط والعساكر أيام سعيد باشا طرق الحساب والهندسة والاستكشافات العسكرية.

(٢) قصة فى اربعة مجلدات قسمت إلى مسامرات بلغت ١٢٥ مسامرة وتدور حول رجل أزهرى تتلمذ عليه مستشرق انجليزى تعلم منه العربية وعلمه الانجليزية وسافر معه إلى انجلترا، ومن خلال ذلك يرصد على مبارك اهمية الاحتكاك الحضارى بين الشعوب.

(٣) طبع بمطبعة وادى النيل ١٢٨٧ هـ ويبلغ عدد صفحاته ٨١ صفحة.

(٤) طبع بمطبعة المدارس فى عام ١٢٨٩هـ.

(٥) وهذا الكتاب يرسم سياسة مستقبلية لمصر تعتمد أولا وقبل كل شئ على الزراعة المصرية وعلى ما يقوم عليها من تصنيع ثم يقدم بعض النتائج المستخلصة من المقارنات.

انظر: محمد أحمد خلف الله: على مبارك وآثاره، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٥٧، ص ٢٠٨- ٢١٤.

(٦) أنظر الخطط التوفيقية ، الجزء الأول، ص ٢.

أمـا عـن مـصادره فقد قـرأ كثيـرا مـن كتـب الأوربيـين والمستـشرقين خاصـة الفرنسيين منهم نظرا لأنه كان يتقن الفرنسية، كما رجع إلى المصادر العربية القديمة وقد أشار على مبارك إلى ذلك بقوله إنه جمع " من كتب العجم والعرب ما يفضى بتأملـه إلـى العجب، مراجعا كتب العرب والافرنج الذين ساحوا تلك الديار ورسومهم التـى بينوا فيها حدود هذه الأقطار.

واستمرت حركة الدراسات التاريخية فى التقدم بفضل رجال مدرسة على مبارك ومعاصريه فعنـى " محمد مختـار" باشا مـأمور الخاصـة الخديوية بالأبحاث والدراسات التاريخية ومن أبرز مؤلفاته فـى هذا المجـال " التوفيقات الإلهاميـة فـى مقارنـة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجيـة والقبطيـة" (من السنة الأولـى للهجـرة إلـى سنة ١٥٠٠هـ[1]) ويتميـز هـذا الكتـاب بالدقـة والتمحـيص فـى رصـد التـواريخ علـى صـحتها وتـدوين أهـم الحـوادث المـصرية مرتبـة بتسلـسل الـسنين والـشهور والأيـام التـى أرخهـا لغايـة سـنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. وكتب اسماعيل باشا سرهنك ناظر المدارس الحربية حقائق الأخبار عن دول البحار. [2]

ويرجع السبب فى تأليف هذا الكتاب إلى رغبة صاحبه فى إفادة أهل بلاده خاصة وأن المؤلفات التاريخية العصرية فـى ذلك الوقت كانت قليلـة خصوصا ما اختص منها بتاريخ الدول البحرية ذات الشأن، واشتمل هذا الكتاب على عرض لتـاريخ الإنسان منذ الخليقة وتوقف عند عصر "عباس الثانى"، وتعرض فيـه سرهنك لبعض الدول البحريـة القديمة والحديثة فتكلم عن موقعها الجغرافى وأرخ لثغورها الحربية والتجارية ثم تعرض لتأسيسها ومشاهير ملوكها، وما عاصرهم من الأحداث.

---

(١) طبع بمطبعة بولاق بالقاهرة فى عام ١٣١١هـ.
(٢) طبع فى ثلاثة أجزاء بمطبعة بولاق.
ويعتبر البعض اسماعيل سرهنك من كتاب القرن العشرين لأنه توفى فى عام ١٩٢٤ ولكننا آثرنا الحاقه بمؤرخى القرن التاسع عشر خاصة وانه ألف الجزءين الأول والثانى من كتابه فـى أواخره وتم طبعها فى عام ١٨٩٦ ، وعام ١٨٩٨.
ومن المعروف ان سرهنك ولد فى عام ١٨٦٧ والتحق بالمدرسة البحرية بعد أن أتم دراسته الابتدائية، وتخرج ضابطا منها، وتولى قيادة كثير من سفن الأسطول المصرى ، وشارك فى العديد من العمليات الحربية والبحرية.

ولعل أهم أجزاء هذا الكتاب هو الجزء الثانى الذى انفرد تاريخ مصر بالقسط الأكبر منه، وترجع أهميته إلى أنه ملئ بالبيانات والاحصاءات والوثائق الهامة هذا إلى جانب تعرضه لتراجم عديدة لمشاهير البحرية والجيش المصرى فى القرن التاسع عشر، وقد ساعد "سرهنك" فى تأليف هذا الكتاب ثقافته العسكرية ودراسته البحرية لعلوم الفلك والجغرافيا والرياضيات وفن الملاحة، هذا إلى جانب استيعابه للعديد من اللغات ومنها العربية والتركية والانجليزية والفرنسية.

وقد أهدى المؤلف هذا الكتاب إلى الخديو عباس الثانى بقوله فى مقدمته للكتاب وقد جعلته هدية إلى سدة مولانا محى الآمال الوطنية، ومعيد النشأة المصرية عزيز مصر وحامى حمى القطر خديوينا الأفخم وملاذنا الأعظم عباس حلمى الثانى. (١)

وعلى أى حال فقد سد سرهنك بعض الفجوات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ القوى البحرية، كما استخدم وثائق تاريخية أصلية مدركا أهميتها فى كتابة دراسته ومع ذلك فان ما كتبه يمكن ضمه إلى التاريخ الحولى التقليدى مثله مثل على مبارك ومجموعته.

فعلى الرغم من أن سرهنك حاول أن يكتب عن القوى البحرية فان ما كتبه شمل العديد من المعلومات فى كل المجالات التى خطرت على باله أثناء كتابته. (٢)

وإلحاقا لهذه المجموعة من كتاب التاريخ الحولى كتب "فيليب جلاد" مندوب قلم قضايا نظارة الحقانية " قاموس الإدارة والقضا"(٣)، فى سبعة أجزاء واشتمل على مجموعة هامة من القوانين واللوائح والفرمانات والمعاهدات الرسمية فى القرن التاسع عشر رتبت وفقا للتسلسل الزمنى مع بعض التعليقات وهذا القاموس يعد مرجعا مفيدا لمؤرخ التاريخ الاقتصادى المصرى فى نهاية القرن التاسع عشر وكتب " يعقوب ارتين" وكيل نظارة المعارف العمومية "القول التام فى التعليم العام"(٤)، باللغة الفرنسية وقام

---

(١) حقائق الأخبار، ص ٣.
والجدير بالذكر ان الجزء الثالث من هذا الكتاب طبع فى عام ١٩٢٣ اى بعد صدور كتاب على مبارك حقائق الأخبار فى أوصاف البحار بربع قرن تقريبا.
(٢) ناقش كرابس ذلك فى كتابه سابق الذكر، ص ١٩٣- ١٩٤.
(٣) طبع الجزء الأول بمطبعة بنى لا غوداكى بالاسكندرية فى عام ١٨٩٩.
(٤) طبع بمطبعة بولاق فى عام ١٨٩٤.

على بهجت المترجم الأول بنظارة المعارف بترجمته إلى العربية وفى هذا الكتاب عرض المؤلف لتطور التعليم فى مصر فأوضح أن عامة المصريين كانوا يهملون تربية أولادهم ويعارضونها فى بداية الأمر ثم ما لبثوا أن قدروا التربية حق قدرها بحيث أصبحت الطلبات ترد إلى نظارة المعارف من جميع أنحاء القطر تطالب بإنشاء مدارس لتربية أولادهم[١]، كما تعرض لتطور ميزانية نظارة المعارف والبرامج والخطط التى اتخذتها النظارة لتحديث التعليم.

وإلى جانب ذلك كتب " يعقوب ارتين" الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية باللغة الفرنسية أيضا وقام " سعيد عمون" بترجمته[٢]، خاصة وأن مؤلفه كان غارقا حتى أذنيه فى الثقافة الفرنسية إلى حد أنه لم يستطع أن يكتب لغة عربية سليمة.

وأرتين كان يفضل فى كتاباته أن تروى الجداول والاحصائيات والوثائق ما يريد أن يقوله مما جعل البعض يعد ما كتبه بأنه دراسة مؤسسة على محتويات الأرشيف الحكومى.

ومن هنا لا يمكن اعتبار جلاد أو أرتين مؤرخين فقد كانا على الأصح مصنفان للعلوم الاحصائية دون إضافة أى جديد إليها. [٣]

واستمرت الكتابة التاريخية فى طريقها تساير طريقة الحوليات وإن كانت نغمة الاعتماد على المحسنات البديعية فى الكتابة قد خفت حدتها بشكل غير كبير فكتب " سليم النقاش[٤] "البيروتى" مصر للمصريين، أرخ فيه لتاريخ مصر منذ محمد على حتى حوادث الثورة العرابية فى تسعة مجلدات الثلاثة الأولى منها فى تاريخ أسرة محمد على حتى خروج اسماعيل من مصر[٥]، والثلاثة الثانية من ولاية توفيق باشا إلى انقضاء

(١) القول التام، ص ٦.
(٢) نشر بالقاهرة عام ١٣٠٦هـ.
(٣) كرابس: مرجع سابق، ص ٢٥٣- ٢٥٤.
(٤) هاجر إلى مصر فى عهد اسماعيل وعمل بالتمثيل والصحافة ولما قامت الثورة العرابية شايع عرابى فترة ثم انقلب عليه واصبح واحدا من أقوى المعارضين له وظل على ذلك الحال حتى توفى فى عام ١٨٨٤.
(٥)هذه المجلدات الثلاثة أوقفت الحكومة طبعها لأنها وجدت فى ترجمة محمد على والخديوى اسماعيل ما يتحتم حذفه انظر جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية، جـ٤، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩١٤، ص ٢٨٧، وبالرغم من أن الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أشار إلى أن الجزء الأول من هذا الكتاب قد صدر فان فهرس الكتب العربية لم يثبت ذلك والجدير بالذكر أن سلسلة تاريخ المصريين التى أصدرتها الهيئة العامة للكتاب قد قامت بنشر الأجزاء من الرابع إلى التاسع فى التسعينات من القرن الماضى(العشرين)حيث أنها لم تعثر على الأجزاء الثلاثة الأولى

حوادث الثورة العرابية أما الثلاثة الأخيرة فشملت محاكمات العرابيين وصور محاضرهم الرسمية.

قد أفاد النقاش تماما من المادة الوثائقية التى توفرت له رؤيتها فبعد أن وافقت دار المحفوظات له على الاطلاع على الوثائق المحفوظة لديها تمكن من رصد الفرمانات العثمانية، والدكريتات الخديوية، وتنظيمات الجيش وأوراق عن الأوضاع المالية، وترتيبات تسوية الديون، وأوراق العرابيين، والمحاكمات التى تمت لهم بعد الهزيمة والعديد من الوثائق الدبلوماسية الأخرى.

وترجع أهمية ما كتبه " سليم النقاش" إلى أنه كان شاهد عيان للعديد من الأحداث، يضاف إلى ذلك أنه لم يهمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى كتاباته فتعرض لبعثة اللورد " دفرين" Dufferin وتجارة الرقيق ، والقبائل البدوية وقيام بعض المصريين بشراء أسلحة وملابس من الانجليز مقابل بيع مشروبات روحية لهم... إلخ.

ومع أننا لا يمكن أن نصف " النقاش" بالحياد تجاه العرابيين، خاصة وأنهم أحرقوا له جريدته، كما أنه يصعب علينا ألا ننتقد أسلوبه فى الكتابة الذى لم يستطع فيه التخلص من السجع والزخارف اللفظية فان ما كتبه يظل مفيدا للمؤرخ الذى يتعرض للثورة العرابية خاصة ولتاريخ مصر الحديث عامة.

وكتب ميخائيل شاروبيم[1] "الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث[2]، وفى هذا الكتاب تعرض المؤلف لتاريخ مصر من بداياته وحتى توليه عباس الثانى أريكة الخديوية بشكل يجمع فى أسلوبه بين طريقة السلف فى الكتابة التاريخية ومحاولة مواكبة الأسلوب الحديث البعيد عن السجع والتكلف وقد استخدم فى كتابته طريقة الحوليات، واستطاع أن يرصد بها قدرا كبيرا من الحوادث والمعلومات التاريخية بشكل أراد به أن يثبت وحده تاريخ مصر واتصاله بشكل لا ينقطع.

ومع أن أسلوب هذا الكتاب وطريقته ينتميان إلى كتابات مؤرخى العصور الوسطى من حيث أن صاحبه لم يهتم بذكر قوائم مراجعه أو المصادر التى استقى منها

---

(١) قبطى مصرى ولد فى حى السقايين بالقاهرة فى عام ١٨٦١، وتقلب فى مناصب عديدة.

(٢) صدر فى أربعة اجزاء بين عام ١٨٩٨- ١٩٠٠ ويتكون من ١٧٣٨ صفحة من القطع الكبير.

كتاباتـه فـان رصـده للوقـائع لـم يخلـو مـن التحليل والتعليـق فـى بعض الأحيـان، كمـا أن تخلصه من الأنماط الأسلوبية القديمة إلى حد كبير وابتعاده عن السجع وتقييمـه للحـوادث يجعله يفترق عن مؤرخى العصور الوسطى.

وعلـى أى حـال فانـه نتيجـة للتطـورات السياسية والاقتـصادية والاجتماعيـة التـى مرت بها مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والاحتكاك المباشر بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب وما اعقبه من تدخل أجنبى فى شئون مصر، ثم حضور جمال الدين الافغـانى، وظهـور الـصحف الـسياسية، وقيـام الثـورة العرابيـة وانكـسارها والاحـتلال الانجليزى لمصر وانبعاث الحركة الوطنية على يد مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم من رجالات مصر اكبر الأثر فى ازدهار الحركة التاريخية خاصة بعد أن بدأ المصريون يكتبون عما يجيش فى صدورهم من موضـوعات سياسية ووطنيـة، وعمـا يعانيـه وطـنهم من آلام وما يجيش فى صدروهم من آمال بهدف حفز الهمم وايقاظ العقول وتقوية الوعى الوطنى لدى أفراد الشعب المصرى.

حقيقـة أن مـا كتبـه معظـم أفـراد هـذه المدرسـة لـم يهـدف إلـى خدمـة الدراسـات التاريخية، أو لإقرار واقع تاريخى بقدر ما كان شغلا لأوقات فراغهم أو إبراز لمواقف معينـة وقـد اسـهمت الـصحافة فـى ذلـك بجهـد كبيـر فـساعدت علـى تكـوين الـرأى العـام، وشجعت المصريين على التحدث عن شئون بلادهم بصراحة، كما دفعتهم إلى التعبير عن آمالهم وأهدافهم.

ومن المعروف أن الصحف المصرية فى ذلك الوقت تجاذبتها تيـارات مختلفـة، فكان هناك التيار الوطنى الثائر الذى تمثل فى كتابـات " جمـال الـدين الأفغـانى" وتلاميذه والتى تمثلت فى العديد من الصحف أمثـال "مصر" والتجـارة "والطـائف" و"الزمـان" و" المفيـد" و "أبـو نظـارة"، وهنـاك الـصحف المناوئـة للحركـة الوطنيـة والتـى تـدافع عـن الانجليز، وتتغنى بمحامدهم ، وتشيد بنعمـة الاحتلال مثـل المقطـم والمقتطـف، والأهرام، كما كان هناك الصحف الموالية للتيـار العثمـانى الذى يستمد قوتـه من الأصـول المتعددة التى تربط مصر بالدولة العثمانية ويتخذ من تيار الجامعة الاسلامية مظهرا لـه مدفوعا

بالولاء الدينى وقد مثلت صحف " مصطفى كامل" هذا التيار أبلغ تمثيل وعلى الرغم من ذلك، وبالرغم من ان الصحافة قد لا يتسم أسلوبها فى بعض الأحيان بالموضوعية فانها كانت عاملا من عوامل النهضة التاريخية الحديثة.

يضاف إلى ذلك ان ما كتبه قادة الثورة العرابية من مذكرات فى أواخر القرن التاسع عشر كان مفيدا إلى حد كبير فى تغذية الروح القومية لدى المصريين، وتفهم وقائع الأحداث وانعاش الحركة التاريخية بوجه عام وأبرز الأمثلة على ذلك ما كتبه "محمود فهمى المهندس" و "عبد الله النديم" و "الشيخ محمد عبده" و "أحمد عرابى" من مذكرات خلال فترة النفى أو الاختفاء فكتب محمود فهمى المهندس(١)، "البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر(٢)"، ذلك الكتاب الذىساير طريقة الحوليات والذى تطرق إلى تاريخ العالم منذ أقدم العصور وامتد إلى أواخر القرن التاسع عشر، وأهم ما فى هذا الكتاب ما كتبه المؤلف عن الثورة العرابية ووجه نظرة تجاهها، وترجع أهمية ما كتبه إلى أنه كان أحد شهود العيان الذين شاركوا فى هذه الثورة، وكان من رجالها البارزين، ومع ذلك يتضح من كتاباته تحامله على عرابى حتى وصل به الأمر إلى التجنى على الحقائق التاريخية وقد يرجع ذلك إلى خصومة حدثت بينهما فى المنفى. (٣)

وإلى جانب ذلك فلمحمود فهمى مذكرات عن الثورة العرابية موجودة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة تحت عنوان " أوراق الحضرة الخديوية والثورة العرابية" وهى عبارة عن مذكراته الخاصة حول ما شاهده أثناء ضرب الاسكندرية والأعمال التى قام بها، ومذكرة عن تسليم نفسه للانجليز ومذكرة للخديو يتنصل فيها من التبعات التى أخذت عليه وتلغراف منه إلى عرابى يخبره فيه بالحالة الحربية، وما وصلت إليه من سوء.

---

(١) توفى فى السابع عشر من يونيو ١٨٩٤ فى منفاه بسيلان، ومما كتبه عنه طبيبه أنه كان نشيطا ويهوى المكتبة ويقوم بترجمة كتب التاريخ من الانجليزية إلى العربية.
انظر لطيفة سالم: عرابى ورفاقه فى جنة أدم ١٨٨٣- ١٩٠١ القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٦، ص ٨٤.

(٢) طبع هذا الكتاب فى عام ١٣١٢هـ فى مطبعة بولاق بالقاهرة اى بعد وفاته بحوالى عام.
(٣) انظر البحر الزاخر ، جـ١، ص ٢١٠ – ٢٣٧.

وعلى الرغم من خروج " محمود فهمى" على الموضوعية فى بعض الأحيان فان ما كتبه يعد من المصادر الهامة فى دراسة تاريخ الثورة العرابية وأحداثها.

وكتب عبد الله النديم مذكراته السياسية تحت عنوان: "كان ويكون(١) أثناء فترة اختفائه عن أعين الانجليز والحكومة من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩١ وتتضمن هذه المذكرات موضوعات دينية وأدبية وتاريخية وسياسية ومقارنات بين الأمم والأجناس الشرقية والغربية فى أحوالهم وأطوارهم واختلاف طرقهم ومناهجهم كما حكى النديم فيها عن أحواله فى الفترة التى كان مختفيا فيها، ومذكراته عن الثورة العرابية، ورسائله إلى عرابى، وإلى جانب ذلك فللنديم مؤلفات عديدة تعرض معظمها للضياع وما تبقى منها مثل كتاب " المسامير"(٢)، الذى كتبه فى هجاء " أبو الهدى الصيادى" وما تم جمعه تحت عنوان " سلافة النديم"(٣) يثبت أن أفكار النديم السياسية والاجتماعية كانت سابقة لأفكار أبناء وطنه، وكانت جديدة عليهم لم يسمعوا عنها من قبل حيث نبه أفكارهم إلى موضوعات جديدة أيقظ بها الرأى العام المصرى بعد فترة رقاد.

وكتب الشيخ محمد عبده "تاريخ أسباب الثورة العرابية"(٤)، بين فيه أسباب هذه الثورة وحوادثها، وتوقف عند مظاهرة عابدين وقد بدأ الشيخ محمد عبده كتابه بوصف أحوال مصر عندما نزل الخديو اسماعيل عن العرش، وظروف تولية الخديو توفيق، كما أوضح ان النهضة الوطنية التى ظهرت فى مصر خلال هذه الفترة ترجع إلى جمال الدين الأفغانى وما له من أثر على ازدهار الصحافة العربية وترقية أفكارها.

وقد اوضح الشيخ "محمد عبده" انه لم يكن راضيا عن حركة العسكريين فى بداية الأمر لأنه كان يرى ضرورة الإهتمام بتربية وتعليم الأمة، ويتوقف الكتاب كما

---

(١) قمنا بنشر هذا الكتاب مع عمل مقدمة تحليلية له بالهيئة المصرية العامة للكتاب عن طريق مركز تاريخ مصر المعاصر.

(٢) قمنا بنشر هذا الكتاب على نفقتنا الخاصة بعد عمل مقدمة تحليلية له ، وتدريسه للطلاب مما أدى إلى تحويلنا إلى مجلس تأديب بعد أن قام الوشاه بالتحريض لدى جامعة القاهرة ضد محتوى الكتاب وما به من شتائم دون فهم لأسباب ذلك، ولكن عين الله الساهرة أنقذتنا.

(٣) قمنا بنشر هذا الكتاب على نفقتنا الخاصة فى عام ٢٠٠٧ بعد عمل مقدمة تحليلية له.

(٤) نشر محمد رشيد رضا هذا الكتاب ضمن كتابه تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، ص ١٥٩ وما بعدها.

ذكرنا عند حادثة عابدين وعزل رياض باشا وتولية شريف مكانه، ولم يتم الشيخ محمد عبده باقى أحداث الثورة نظرا للخلاف الذى حدث بينه وبين الخديو عباس الثانى بسبب ما ذكره عن أسراف جده اسماعيل ، وسوء إدارته للبلاد، وعن نقده للخديو توفيق لعدم تمكنه من وقف التدهور الذى حاق بمصر.

ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة فى دراسة أسباب الثورة العرابية وأحداثها، ووجهة نظر الشيخ محمد عبده فى بعض رجالها، وتبرز أهميته أيضا فى أن الشيخ محمد عبده عبر عن وجهة نظره كأحد تلاميذ الأفغانى الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا أثناء مناداتهم بالاصلاح، وفى أنه أحد شهود العيان الذين شاهدوا الأحداث، وشاركوا فى اتخاذ بعض القرارات الهامة التى اتخذها العرابيون للدفاع عن مصر.

وكتب احمد عرابى "كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية"(١)، وهذه المذكرات تضئ للمؤرخين بعض النواحى، وتذلل لهم سبل البحث، وتزيح الريب والشكوك عن الثورة وزعيمها وقد تعرض عرابى فى هذه المذكرات لنشأته ونسبة والأحداث التى تعرضت لها مصر أيامه، وأبرز ما يمكن ان تستخلصه مما كتبه عرابى أنه استعمل لفظ " المصرين" و "الأمة المصرية" بمعناها الحديث واعتبر غير المصريين أجانب سواء كانوا من الأتراك أو الأرمن او غيرهم ، وسواء كانوا من المسلمين او النصارى كما انه فى حديثه عن الحملة الحبشية إتهم أركان الحرب الأجانب العاملين فى الجيش المصرى بالخيانة وبأنهم كانوا السبب فى المآسى التى تعرض لها الالاف من الجنود المصريين وانتهت بإبادتهم، يضاف إلى ذلك اتهامه للخديو اسماعيل بعد خروجه من مصر بأنه سرق من الخزانة ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات.

وعن الأحكام التى صدرت على زعماء الثورة ذكر عرابى أنه حكم عليه بالإعدام ومعه ستة من زملائه، ولكن استبدل ذلك الحكم بالنفى المؤبد من مصر

---

(١) مخطوط تحت رقم ١٠٤٢ علما بأنه يوجد بدار الكتب نسخة مصورة عن الأصل المخطوط تحت رقم (حـ ٢٤٩٥٥) وقد قمنا بنشر هذه المذكرات مع كتابه مقدمة تحليلية لها ذلك فى ثلاثة أجزاء عن طريق دار الكتب المصرية عام ٢٠٠٥.

وملحقاتها، كما صدرت الأوامر بمصادرة أملاك العرابيين ونفيهم إلى سيلان حتى أمر الخديو بالعفو عنهم فى عام ١٩٠١ بعد غياب دام تسعة عشر عاما اربعة اشهر.

والجدير بالذكر ان عرابى فرغ من مذكراته فى السادس والعشرين من يوليو ١٩١٠.

وعلى الرغم من الأهمية الكبرى لهذه المذكرات من الناحية التاريخية خاصة وأن قائد الثورة العرابية هو كاتبها، فان ما بها من معلومات يحتاج من الباحثين إلى تمحيص وتدقيق للكثير مما ورد فيها. (١)

وجملة القول ان كتابات ومذكرات قادة الثورة العرابية كان لها أبرز الأثر فى تفهم العديد من الأحداث وإيضاح الكثير من الحوادث التى لم يتطرق الآخرون إليها.

وهكذا يتضح أن ما كتبه زعماء الثورة العرابية فى مؤلفاتهم أو مذكراتهم انحصر إلى حد كبير فى تعليل أسباب قيامهم بالثورة وشرح وقائعها والتنصل من تبعاتها وأسباب فشلها ولعل السبب الذى دفعهم إلى هذه الكتابات هو شغل أوقات فراغهم سواء خلال فترة النفى أو الاختفاء لذلك تأثروا جميعهم بأحوالهم غير المرضية أثناء الكتابة وانصب ذلك على قيام بعضهم بالخروج على الموضوعية فى بعض الأحيان.

ومهما يكن من أمر فإن ما كتبوه يعد لونا جديدا من ألوان الكتابة التاريخية عرفته مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ولم تكن لها معرفة به من قبل. (٢)

وعلى أى حال فبعد فشل الثورة العرابية لم تتوقف حركة النضال الفكرى فاشترك الأفغانى مع محمد عبده فى إصدار جريدة العروة الوثقى فى باريس لمهاجمة الاستعمار والدعوة إلى التضامن الاسلامى.

ولم يتوقف الأمر على النواحى السياسية فحسب فقد ظهرت فى مصر بعض الأفكار الاجتماعية المتأثرة بالتيار الليبرالى الأوربى فدعا قاسم أمين إلى تحرير المرأة

---

(١) ربما كانت فترة النفى التى تعرض لها عرابى، وكتابته لمذكراته بعد فترة من زمن الأحداث كانا السبب فى ذلك.

(٢) الشيال : التاريخ والمؤرخون ، ص ١٧٤ .

فى كتابيه " تحرير المرأة"[1] و "المرأة الجديدة"[2]، وأرجع الاضمحلال الذى تعانى منه مصر إلى وضع المرأة المصرية وتخلفها ورأى أن العلاج الناجح لذلك هو التعليم.

وفى نهاية هذا الفصل يمكن القول أن تطور حركة التأليف التاريخى فى القرن التاسع عشر ذلك القرن الذى أخذ فيه الشرق يصحو من ثباته ، وينفض عن نفسه غبار الخمول والتخلف كان لها أثرها الواضح فى ازدهار الحركة التاريخية فى مصر فى القرن العشرين.

حقيقة أن هذه الحركة لم تقم على اكتاف مؤرخين متخصصين وإنما قامت على أكتاف الهواة وعشاق التاريخ الذين قدموا دراسات رائدة وإن كان معظمهم قد اهتم بالجمع والتنسيق والمنمقات البديعية أكثر من التدقيق والتحقيق والذى برز منهم العديد من كتاب التاريخ الثقاة أمثال عبد الرحمن الجبرتى ذلك الشيخ الأزهرى الذى دون الحوادث والوقائع كما رآها بعينه أو سمعها بأذنه من معاصريه، والذى يعد ما كتبه امتدادا لنظام الحوليات، ورفاعة الطهطاوى ذلك الأزهرى المتفرنج الذى تمثل كتاباته نقطة تحول بارزة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى وان كانت معظم كتاباته لا تخلو من السجع الأجوف، وعلى مبارك الذى كان مصنفا وجامعا وكانت اهتماماته بالتاريخ واضحة رغم أنه كان مهندسا ومحمد عبده الذى اشتهر بمحاولاته فى التوفيق بين الدين والعلم الحديث وعبد الله النديم الذى هاجم عيوب مجتمعه بأسلوب يمتزج فيه التبكيت مع التنكيت، وغيره.

وحقيقة ان هذه الكتابات فى مجملها لم يلتزم بها اصحابها بقواعد الكتابة الحديثة، خاصة وانهم عبروا عما كتبوه بطريقة عصرهم ولم تكن الكتابة التاريخية وظيفة أساسية فى حياتهم ومع ذلك فيحمد لهم ما كتبوه خاصة وانهم أضاءوا الطريق لمؤرخى القرن العشرين الذى برزوا بدراساتهم الأكاديمية خاصة بعد افتتاح الجامعة المصرية، وتأسيس المدرسة التاريخية المصرية الحديثة على يد شفيق غربال وغيره من المؤرخين الأكاديميين.

---

(١) نشر لأول مرة فى عام ١٨٩٩.
(٢) نشر لأول مرة فى عام ١٩٠٠.

الفصل الثاني

المؤرخون[1] الهواة وانتعاش الحركة التاريخية في مصر خلال القرن العشرين

*** المجموعة الأوربية   * مجموعة القصر**

*** مجموعة الحركة الوطنية   * مجموعة الكتاب الشوام**

*** مجموعة الكتاب العسكريين.**

من الواضح أن التاريخ الأكثر شيوعاً كتبه المؤرخون الهواة، وأن غير المتخصصين في التاريخ كتبوا التاريخ الشائع أكثر من الأكاديميين، وأنه يحلو للكثيرين من المثقفين الكتابة في التاريخ وهذا أمر محمود، ولكن ليس معناه أن كل من يكتب التاريخ يصبح مؤرخا، أما عن مؤلفات معظم المؤرخين الأكاديمية المليئة بالهوامش والملتزمة بالشكل العلمي فمكانها أرفف المكتبات ولا تهم سوى القارئ المتخصص أو الباحث المتمحص.

ويمكننا تقسيم الاتجاهات التي ساعدت على إنعاش الحركة التاريخية في مصر في أواخر القرن التاسع عشر، وعلى امتداد القرن العشرين وما بعده إلى اتجاهين.

الأول: اتجاه الهواة من المؤرخين، **والثاني:** الاتجاه الأكاديمي لكتابة التاريخ، وبالنسبة للمدرسة الأولى فيمكننا تقسيمها إلى عدة مجموعات.

١- المجموعة الأوربية وتنقسم إلى قسمين:

(أ) مجموعة الموظفين والسياسيين والإداريين الانجليز الذين شاركوا في حكم مصر وإدارتها بعد الاحتلال.

(ب) المجموعة ذات الاتجاهات المناصرة للحركة الوطنية.

---

[1] أطلقنا هذه التسمية تجاوزا، لأن كل من يحاول الكتابة في التاريخ لا يعد مؤرخا بل لابد أن تتوافر فيمن يكتب فيه الصفات والاستعدادات والظروف التي تجعله قادرا على ذلك العمل.

٢- مجموعة القصر ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

(أ) مجموعة الأمراء وكبار الموظفين بالقصر.

(ب) المجموعة الأجنبية التي دعاها الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرته.

٣- مجموعة الحركة الوطنية ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

(أ) المجموعة التي تناولت تاريخ مصر بشكل مباشر.

(ب) مجموعة الأدباء والشعراء الذين تطرقوا لتاريخ مصر.

(ت) المجموعة الصحفية.

٤- مجموعة الكتاب الشوام التي وفدت إلى مصر وشاركت في إثراء التاريخ أمثال سليم النقاش، وجرجى زيدان، وعبد الرحمن الكواكبي وغيره.

٥- مجموعة الكتاب العسكريين الذين تناولوا تاريخ مصر الحديث ومن هؤلاء أحمد حمروش، وجمال حماد وغيره.

وبالنسبة لإتجاهات المدرسة الأكاديمية التي تحملت على عاتقها حركة تمصير التاريخ المصري بداية بشفيق غربال وصبرى السربونى وحسن عثمان وفؤاد شكرى وعزت عبد الكريم ومحمد أنيس وعبد العزيز الشناوي وتلاميذهم فانه يمكن تقسيمها إلى ما يلي اتجاه مدرسة الفرد (البطل في التاريخ) واتجاه مدرسة رانكة الألمانية، واتجاه مدرسة التاريخ الاجتماعى والاقتصادي، واتجاه المدرسة التفسيرية والاتجاه الإسلامي وتيار دراسة التاريخ الأوربي وسنقصر هذا الفصل على المؤرخين الهواة Amateur historian.

١-المجموعة الأوربية:

أ- وتشمل مجموعة الإداريين والسياسيين والموظفين الانجليز الذين شاركوا في تطورات الأحداث بمصر وكانت ليهم اليد الطولي في إدارة شئونها ومراقبة أحوالها ومن أبرز هؤلاء اللورد "كرومر" في كتابيه Abbas II, Modern

Egypt، و "ملنر" Milner في كتابه England in Egypt واللورد " لويد " Lioyd lord في كتابه Egypt Since cromer والميرالاى الجود في كتابه Egypt and the Army.

وقد اعتنق أفراد هذه المجموعة فكرة أن الفوضى كانت سائدة في مصر قبيل وصول الأوربيين إليها وأن الإنجليز قاموا ببذر بذور الحضارة الحديثة فيها، وأن مقدرة الوزراء المصريين ومساعديهم على الحكم لم تتحسن إلا في ظل الإدارة الأوربية، وأن الحزب الوطني في مصر لا يعبر عن آراء المصريين ومصالحهم الحقيقية، وأن الروابط التي كانت تربط مصر بالدولة العثمانية ساعدت على انتشار الفساد والرشوة والحكم الاستبدادي، وأن الانجليز يرغبون في إزالة ذلك الحجاب الكثيف من التعصب الديني لدى المصريين الذين يتمسكون برابطة الجامعة الإسلامية فقد هاجم "كرومر" الفكرة الإسلامية في كتابيه وصور المسلمين في صورة الهمج المتخلفين(١) وهاجم الإسلام واتهمه بأنه دين رجعى لا يصلح لقيام نظام اجتماعي حديث وزعم أن الإنجليز ما جاءوا إلى مصر إلا لرفع الظلم وإحياء العدل، وإليهم يرجع الفضل في إنقاذ مصر من الإفلاس والخراب وإقامة اقتصادها على أساس متين، وإليهم وحدهم يرجع الفضل في رفع الاستعباد عن الفلاح المصري المسلوبة إرادته والمستعبد من جانب الأتراك الشراكسة، وإليهم أيضاً يرجع الفضل في عدم التفرقة بين الناس على أساس الجنسية أو الدين(٢) وأنه يجب على الخديوي أن يدين بالولاء لإنجلترا التي حافظت على مركزه في مصر(٣) يضاف إلى ذلك أن بعض أفراد هذه المجموعة شجعوا على فكرة القومية المصرية المنفصلة عن الدولة العثمانية والفكرة الإسلامية، وتكوين رأي عام يناصر هذا الاتجاه(٤) ويمنع أي تدخل فعلى من جانب الدولة العثمانية في شئون مصر(٥) كما دعوا إلى إصلاح

---

(١) أنظر Modern Egypt vol 2, P.129- 154 وأيضاً Abbas II P.45 – 48.

(٢) Cromer: Modern Egypt VII P.217.

(٣) Ibid P.331- 332.

(٤) Liyod: Egypt since cromer vol 1 P.40.

(٥) Cromer: op, cit, v.II P.324.

أحوال مصر عن طريق الاهتمام بالإنتاج الزراعي حتى تتمكن من تنمية مواردها والوفاء بالتزاماتها الدولية وبذلك يتوطد مركز إنجلترا في مصر وتستطيع منع تدخل الدول الأخرى فيها[1] وإلى جانب ذلك دعا "ملنر" إلى نجلزة المسئولين المصريين من الناحية المعنوية حتى يؤدوا مهامهم بنفس الروح التي يؤديها بها الانجليز[2] وإلى إصلاح النظام الادارى من أصله إلى فروعه وتعليم جهاز من رجال الإدارة للقيام بأعباء الحكم[3] كما دعا كرومر إلى إلغاء التعليم المجانى وأن من يريد أن يتعلم عليه أن يثبت ذلك بدفع نفقات تعليمه.[4]

ب- أما عن المجموعة الثانية ذات الاتجاهات المناصرة للحركة الوطنية فقد عرفت مصر مؤرخين أجانب أبدوا تعاطفهم مع الحركة الوطنية المصرية نذكر منهم John Ninet "جون نينيه" السويسرى صاحب كتاب Arabi Pacha والذى كان صديقا مقربا لعرابى وملازما له منذ قيام ثورته، والذى دافع عن الفلاح المصري دفاعا واضحاً وأشاد بدوره في إمداد عرابى بكل ما يملك من النفس والنفيس.[5]

وعلى الرغم من أن المسيو نينيه دافع عن عرابى وقضى معه الشهر الأول من الحرب في كفر الدوار وكان يعاونه في مكاتباته مع الأجانب إلا أنه اعترف بالأخطاء التي وقع فيها العرابيون فقد ذكر أن بساطة عرابى جعلته يرتكب أخطاء كبيرة ظهرت آثارها فيما بعد فبقدر ما بذل من جهود في الدفاع عن الإسكندرية وتحصين خطوط

---

[1] Milner : England in Egypt P.107.

[2] Ibid P.290.

[3] Ibid : P.23.

[4] Cromer: op.cit. V II P.532.

[5] التفاصيل أنظر:

John Ninet: Arabi Pacha: Egypt 1880 – 1883 Paris 1884 P.216.

والجدير بالذكر أن نينيه شغل منصب عميد الجالية السويسرية في مصر إبان الثورة العرابية.

وعن تفاصيل ذلك انظر عرضنا لكتابه في مجلة السياسة الدولية يناير ١٨٨٢ ص ١٦٦ تحت عنوان مكتبة الثورة العرابية – كتابات الأجانب المعاصرين لثورة عرابى باشا.

الدفاع في كفر الدوار بحيث تعذر على الإنجليز دخولها فقد أظهر غفلة بالغة عندما استمع إلى نصائح المسيو دلسبس حين ذكر له أنه لا يمكن للانجليز اقتحام القناة، وصدق عرابى ذلك ولم يهتم مطلقا بإغلاق القناة في وقت مناسب، مما أدى إلى تغيير الموقف الحربى فى غير صالح العرابيين.

ونتيجة لموضوعية كتابات المسيو "جون نينيه" ومعرفته للكثير مما كان يدور ويجرى فإن كتابه عن عرابى يعد كتابا بالغ الأهمية لدارسى الثورة العرابية خاصة وأن صاحبه كان شاهد عيان للأحداث فكتب عنها كما رآها لا كما سمع عنها وهذا ما يعطى لأقواله قدرا كبيرا من الأصالة خصوصاً وأنه يمثل وجهة نظر محايدة للثورة العرابية، وأن لشهادته قيمة تاريخية خاصة.

وهناك بلنت[1] Bulnt صاحب كتاب "التاريخ السري للاحتلال البريطانى في مصر Secret History of the English occupation of Egypt ذلك الانجليزي الذي وقف بجانب الثورة ورجالاتها والذى يعد كتابه مصدراً رئيسيا للحركة الوطنية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر خاصة وأن صاحبه كان شاهد عيان لأحوال مصر خلال هذه الفترة وعلى صلة مباشرة برجالاتها، كما أنه كان على صلة واضحة أيضاً بمجلس العموم وبالخارجية البريطانية خاصة المتعلق منها بشئون مصر.

ومن المحتمل أنه قام بدور مزدوج من خلال علاقاته بالطرفين وكتابه يعد من المراجع الأساسية والهامة لدراسة أحداث الثورة العرابية وتطوراتها خاصة وأنه يتضمن في ثناياه مجموعة من مذكرات بلنت الشخصية التي تلقى الأضواء على العديد من الأحداث وهناك "برودلى" محامى العرابيين وصاحب كتاب كيف دافعنا عن عرابى

---

(1) زار بلنت مصر لأول مرة في عام ١٨٧٥ ثم عاد إليها في عام ١٨٨١ بعد أن ظهرت الثورة العرابية على مسرح الأحداث بصورة واضحة واتصل بقادتها وعقد صلات شخصية مع بعضهم خاصة الشيخ محمد عبده، وقام بنشر برنامج الحزب الوطنى في مجلة التيمس كما كلف سكرتيره الشرقي صابونجى بموافاته بتطورات الأحداث أولا بأول خاصة خلال سفره إلى لندن.

ورفاقه How we Defended Arabi and his friends A story of Egypt and the Egyptians[1].

وصاحب الدور الأساسي في الدفاع عن قادة الثورة العرابية بعد انكسارهم فبعد أن بدأت محاكمة العرابيين عقب الهزيمة طلبت المحكمة من عرابى الاستعداد للدفاع عن نفسه أو تعيين محام عنه فاختار عرابى المحامى المصري "عبد الكريم ناجى" للدفاع عنه لكن هذا المحامى رفض الدفاع عن عرابى خشية بطش الخديوي به. وقد حدا ذلك بالمستر بلنت Blunt أحد أصدقاء العرابيين إلى الاتفاق مع المحامى الانجليزي "برودلى" للدفاع عن عرابى، وقد وافق عرابى على توكيل "برودلى" في الدفاع عنه، وقدم له مستندات القضية.

كما كشف له عن بعض الوثائق التي كان يخفيها وقد أوضح "برودلى" في كتابه قصة دفاعه عن عرابى وفي ثنايا الكتاب ذكر "برودلى" أن عرابى تعرض في السجن للقسوة والاستجوابات العنيفة، كما أنه منع من الاتصال بأصدقائه وتعرض لصعوبات جمة في محاولاته الاتصال بمحاميه.

وأشاد "برودلي" بمواقف عرابى، كما أشاد بالشيخ محمد عبده ووصفه بالرجل الموهوب والجدير بالذكر أن علاقة العرابيين "ببرودلى" لم تتوقف على الدفاع عنهم فحسب بل استمرت قائمة خلال تواجدهم بالمنفى.[2]

وفي تقديرنا أنه من المفيد أن يقوم الباحثون في أحداث الثورة العرابية بالرجوع إلى ذلك الكتاب الذى يعد شاهد عيان على أحداثها.[3]

---

[1] نشر في لندن عام ١٨٨٤.

[2] للتفاصيل أنظر عرضنا لهذا الكتاب في مجلة السياسة الدولية يناير ١٨٨٢ ص١٧٠- ١٧١.

[3] الجدير بالذكر أن الهيئة المصرية العامة لكتاب قامت بنشر هذا الكتاب عام ١٩٨٧ بعد أن ترجمه عبد الحميد سليم إلى العربية.

وهناك الروسى "تيودور روزشتين"[١] صاحب كتاب خراب مصر Egypt's Ruin والذى ترجم إلى العربية تحت عنوان "تاريخ المسألة المصرية" بواسطة الاستاذين عبد الحميد العبادى المدرس بمدرسة القضاء الشرعى، ومحمد بدران المدرس بالمدرسة الثانوية الملكية، وتم نشره في عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م عن طريق لجنة التأليف والترجمة والكتاب في مجمله يتضمن الإشادة بفضل الخديوى إسماعيل وأعماله، كما يحمل بين جنباته دفاع المؤلف عن القضية المصرية مشفوعا بوثائق رسمية ومستندات فذكر الوسائل القاسية والأغراض الملتوية التي أخذت بها إنجلترا وفرنسا في معاملة الخديوي إسماعيل اثر عجزه عن سداد أقساط الدين وأدت إلى ارهاق المصريين واستفزاز النفوس وقيام الثورة العرابية لمقاومة التدخل الأجنبى ولإنصاف الوطنيين وتصدى الانجليز لاخمادها وتحقيق أغراضهم باحتلال مصر وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن صاحبه عاصر الأزمة المصرية، وكان شاهد عيان لبعض أحداثها.

وهناك "البرت فارمان" القنصل العام للولايات المتحدة بالاسكندرية مؤلف كتاب مصر وكيف غدر بها[٢] Egypt And Its Betrayal والذى يتناول فترة حكم الخديوي إسماعيل ويبرز بشكل واضح المؤامرات الاستعمارية لتقويض استقلال مصر ويفضح النوايا الحقيقية والأهداف الصحيحة للاستعمار.

والجدير بالذكر أن هذه المجموعة من الأجانب لا تنتمى إلى الكتابة التاريخية بصفة المهنة أو التخصص وإنما كتبت ما نشرته بدافع من ضميرها، وإبرازا لوقائع شاهدتها وربما شاركت فيها أو تعاطفت معها مما يعنى أن من يتناول كتابات هؤلاء

---

(١) فر من بلاده هرباً من عسف الحكم القيصرى، وحط رحاله في لندن، وشارك السياسى الانجليزي بلنت في دراسة المسألة المصرية، ونتيجة لتعاطفه مع القضية الوطنية المصرية اختاره مصطفى كامل لرئاسة تحرير جريدة الاجبشيان ستاندار وبعد انهيار الحكم القيصرى وقيام الثورة البلشفية في روسيا اختاره الزعيم الروسي لينين سكرتيرا خاصا له.
أنظر جورج يانج: تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم اسماعيل.

(٢) ترجمه عبد الفتاح عنايت، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في عام ١٩٦٤م.

بموضوعية يرى أنه ليس من المحتم أن يكون كل أجنبى كتب في تاريخ مصر تناوله من وجهة نظر استعمارية.

٢-مجموعة القصر:

أ- مجموعة الأمراء وكبار الموظفين وهذه المجموعة وجدت من فراغها وإمكاناتها المادية ما يسمح لها بالكتابة في التاريخ ومن هؤلاء الأمير "عمر طوسون"[١] و"أحمد شفيق"[٢] و"جرجس حنين"[٣]، و"أمين سامي".[٤]

• أما الأمير عمر طوسون فقد كان له ولع شديد بالدراسات والأبحاث التاريخية خاصة ما يتعلق منها بتاريخ مصر والسودان، كما كان بحاثة منقبا في بطون المخطوطات والكتب التاريخية وساعده على ذلك إجادته للتركية والعربية والفرنسية والإنجليزية،[٥] ونتيجة لذلك قام بتصنيف العديد من المؤلفات التاريخية بالفرنسية والعربية التي تبلغ نحو ٤٠ كتاباً ويبدو أنه استعان على تأليفها ببعض الموظفين العاملين بقصوره وغيرهم[٦] وفي هذه الكتب أبرز إنجازات أسرة محمد علي، والدور الذى قامت به لتطوير مصر في شتى المناحى، والمفاخر التي تحققت على يديها فحول الجيش المصرى وتطوره وانتصاراته في عصر هذه الأسرة كتب صفحة من تاريخ مصر البرى والبحرى في عهد محمد علي باشا، و "الصنائع والمدارس الحربية في عهد "محمد

---

[١] ابن محمد سعيد بن محمد علي، ولد بالاسكندرية عام ١٨٧٢م وتعلم في سويسرا وآزر الحركة الوطنية بقلمه وماله.

[٢] ولد بالقاهرة في عام ١٨٦٠، وتخرج بمدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس، وعين وكيلا للجامعة الأهلية، وتولى رئاسة الديوان الخديوي في عهد عباس الثاني كما تولى منصب مدير عموم الأوقاف.

[٣] ولد بالفيوم، وخدم الحكومة كاتبا فرنيس كتاب، فمراقبا ماليا، ومدرسا لقوانين المالية في مدرسة البوليس والإدارة، وتوفى بالقاهرة عام ١٩١١م. أنظر . الزركلى : الأعلام جـ ٢ ، ص١١٥.

[٤] ولد بإحدى قرى قليوب في عام ١٨٥٧، وتخرج في مدرسة الهندسة بالقاهرة واشتغل بالتعليم وأختير عضوا في مجلس الشيوخ وتوفي بالقاهرة في عام ١٩٤١م.
أنظر الزركلي : الأعلام جـ ٢ ص١٧.

[٥] زكى مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية جـ١، القاهرة، مكتبة مجاهد، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م ص٣٦، ومذكرات قلينى فهمى جـ ٢، القاهرة ١٩٣٤، ص٣٣١.

[٦] خير الدين الزركلى الأعلام جـ٥، ص٤٨.

علي"، و "أعمال الجيش المصري في المكسيك"، و "فتح دارفور" ، و"مديرية خط الاستواء من فتحها إلى ضياعها" وعن النهوض بالتعليم وتطوره كتب "البعثات العلمية في عهد محمد علي وفي عهد عباس وسعيد"، وعن ازدهار أحوال مصر المالية والاقتصادية كتب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، وعن تطور حركة الرى والزراعة كتب "تاريخ خليج الإسكندرية وترعة المحمودية" وعن التوسع المصرى في السودان كتب "مصر والسودان" و "المسألة السودانية".[١]

وعن ما حدث لمصر من نكبات من جراء التدخل الأجنبى في شئونها كتب "يوم ١١ يوليو ١٨٨٢"، يضاف إلى ذلك ان له بحوث عديدة بالفرنسية نذكر منها وادي النطرون ورهبانه واديرته وتاريخ النيل.[٢]

وعلى الرغم من أن هذه الكتابات قد طغى عليها جانب السرد وطريقة القص واللصق فإنه مما يحمد للأمير عمر طوسون أنه لم يتقيد بتقاليد أسرته فتحدث عن الحركة الوطنية في بعض هذه الكتابات يضاف إلى ذلك أنه آزر هذه الحركة ليس بقلمه فحسب ولكن بماله أيضا وكانت له أنشطة علمية متعددة منها عضوية الجمعية الجغرافية والمجمع العلمي بدمشق.

وبالنسبة لأحمد شفيق فقد كتب أيضا عدة مؤلفات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر أبرزها:

"مذكراتى في نصف قرن" و "حوليات مصر السياسية"، و "أعمالى بعد مذكراتى" ومصر الحديثة والمؤثرات الأجنبية L' Egypte Moderne et Les Influences Etrangeres.

---

[١] حول ملفات عمر طوسون وآثاره وأعماله العلمية أنظر قلينى فهمى في كتابه الأمير عمر طوسون، حياته، آثاره، أعماله.

[٢] Etude sur le Wadi Natroun, ses Moines et ses couvents. طبع بالإسكندرية في عام ١٩٣١

وحول مذكرات شفيق نذكر أنها تناولت الفترة الواقعة بين ١٨٧٣ ـ ١٩٢٣ وهي في ثلاثة أجزاء تناول الأول منها نهاية عصر إسماعيل إلى انتهاء حكم توفيق، وتناول الثانى فترة حكم الخديوى عباس الثانى وأبرز الحوادث التي كان لها أثر بارز في السياسة المصرية وعلاقة الخديو بالانجليز حتى عزله، أما الجزء الثالث فقد امتد إلى عام ١٩٢٣ ولقد تميزت هذه المذكرات بالصراحة والوضوح أحيانا، وبمساندة موقف الخديوى والأسرة الحاكمة أحيانا أخرى فلم يستطع أحمد شفيق التخلص من ولائه لأسرة محمد علي فعندما تحدث عن الثورة العرابية إتهم زعيمها بالغرور وبأنه كان السبب في ضياع مصر، وسقوطها في يد الإنجليز. وعلى أي حال فوجهة النظر هذه تبناها البعض في ذلك الوقت. يضاف إلى ذلك أنه كان يرى في "الخديوى توفيق" الحاكم الذى يدافع عن حقوقه الشرعية، وفي "الخديوى عباس الثانى" الحاكم الوطنى الذى تحالف مع الشعب المصرى ضد الإنجليز من أجل تحقيق سيادة مصر ورد اعتبارها.

والمذكرات كتبت في معظمها على طريقة الحوليات، وتميزت بالعديد من ألوان النشاط الاجتماعى والأدبى والسياسى وتناولت فصولا عن رحلات الخديوى في الأقاليم واستقبالاته هناك، وأبرزت الجانب الوطنى بين أفراد الشعب، وإلى جانب ذلك فقد دون شفيق مذكراته عن المشاهدات والحوادث التي وقعت تحت سمعه وبصره، ومدى مشاركته في هذه الأمور بحكم عمله في القصر الخديوى كما كشف للمؤرخين الكثير من الغوامض التي كانت غير معروفة من قبل ومن هنا جاءت مذكراته ذات فائدة هامة لتاريخنا الحديث والمعاصر.

وعن حوليات مصر السياسية فهى تتكون من عشرة أجزاء جمع فيها المؤلف العديد من الوثائق والتقارير والخطب السياسية مع نبذة قصيرة لتاريخ مصر منذ عصر محمد علي حتى قيام الحرب العالمية الأولى، ثم أخذ في سرد الحوادث بعد ذلك من الحرب الأولى إلى عام ١٩٢٣.

وقد قسم شفيق كل حولية في حولياته إلى اثنى عشر بابا كعدد الشهور، تضمن كل باب حوادث شهر من الشهور.

وتفتقر حوليات شفيق إلى المنهج العلمى بشكل لا تصلح به أن تكون تاريخا للفترة التي تعرضت لها وأن كانت تصلح كمادة خام موثوق بها، كما أنه يمكن أن يطلق عليها جريدة الجرائد المعاصرة فهي ليست دراسة ولكنها تسجيل للحوادث الجارية تستهدف تيسير الرجوع إليها.(١)

وعن كتابه "أعمالى بعد مذكراتى" فقد جاء متمما لمذكراته فتضمن العديد من الموضوعات السياسية والثقافية والاجتماعية وقد بدأه بالحديث عن المفاوضات المصرية البريطانية فتناول مفاوضات "سعد زغلول- ملنر" وتبعه بالحديث عن مفاوضات" عدلي- كيرزن" وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وانتقل إلى محادثات سعد ماكدونالد ١٩٢٤ وفشلها، ومشروع محمد محمود هندرسون ومعارضة الوفد له كما انتقل إلى معاهدة ١٩٣٦ وأعلن عن إبتهاجه لتحقيقها.

ويمضى شفيق في الحديث عن الجوانب الاجتماعية في القصر الملكى فتحدث عن الأفراح التي أقيمت بمناسبة زواج الملك فاروق والمصاهرة التي تمت بين الأسرتين الملكيتين في مصر وإيران وانتقل بعد ذلك للحديث عن شئون التعليم في مصر والبلدان العربية فيعرض رأيه بوضوح وصراحة، وأخيرا تطرق إلى النظام الحزبى في مصر موضحاً عيوبه والطرق الكفيلة بعلاجه.

والكتاب في مجمله أضاف إلى تاريخ مصر الحديث والمعاصر إضافات مفيدة خصوصا وأن صاحبه تجرد في الكثير من الأحيان من الانفعال الشخصى وإن كانت الذاتية قد طغت في بعض الأحيان على صاحبه.

---

(١) عبد العزيز رفاعى: أحمد شفيق المؤرخ حياته وآثاره، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٥٤، ص ١٤٨ .

أما عن كتابة مصر الحديثة والمؤثرات الأجنبية فقد وضعه باللغة الفرنسية ليطلع الغربيون على ناحية غير معروفة في تاريخ مصر الحديثة منذ بدء الامتيازات ودخول الفرنسيين مصر وحتى عصر فؤاد وبسط فيه حالة البلاد في كل هذه الأدوار من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وعلى كل حال فإن كتابات احمد شفيق تعد مهمة بصفة عامة خاصة وأن صاحبها يعتبر شاهد عيان للكثير من حوادثها ومع ذلك فإن حكمه على بعض الأحداث قد ارتبط بموقعه كمسئول داخل القصر مما أبعده عن الموضوعية في بعض الأحيان فما كتبه عن العرابيين يعوزه الكثير من إعادة النظر، وما كتبه من موقف عباس الثاني من الحركة الوطنية يعوزه الكثير من الوضوح، أما حديثه عن الحياة النيابية المصرية جاء متبلورا وفى حاجة إلى التفاصيل.

وعن "جرجس حنين" – أحد مديرى الأموال المقررة بنظارة المالية فقد كتب "الضرائب والأطيان في القطر المصري[1] "ويشمل الأوامر واللوائح القديمة المختصة بمسائل الأطيان وقواعد الملكية والتمويل وذلك بغرض الدفاع عن مصالح الحكومة في بعض القضايا التي رفعت ضدها من الأفراد كما يشمل إيضاحا وافيا عن أصول المعاملات بين الحكومة والأهالي في هذه المسائل.

وقد ابتدأ الكتاب بتفصيل أنواع إيرادات الحكومة وقيمة ما يجبى من كل نوع منها بحسب تقدير ميزانية ١٩٠٤ وتاريخ وحدة النقود، وبيان التاريخ الرسمى في حسابات الحكومة، وبيان الضرائب والأموال والرسوم التي تجاوزت عنها الحكومة نوعا وقيمة، وضرائب الأطيان وطريقة تعيين مقادير الأراضى، وتاريخ المقاييس وأقسام أراضى كل بلد، وتاريخ مساحة فك الزمام وأشكال الدفاتر والمطبوعات المستعملة ذلك الوقت.

---

[1] طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق في عام ١٩٠٤م.

وكتب "أمين سامى" كتابيه تاريخ التعليم في مصر بين سنتى ١٩١٤م و١٩١٥م"[١] وتقويم النيل[٢] واهتم فيهما بنشر الوثائق على أساس أنها من أهم المصادر في الدراسة التاريخية.

وبالنسبة للكتاب الأول فقد بين فيه المؤلف مراتب التعليم في القرون الأولى حتى وصل إلى سنتى ١٩١٤ و١٩١٥ وعزز كتاباته بإحصاءات عن التعليم في مصر، كما أن به العديد من الملاحق التي تشمل عدد تلاميذ المدارس الحكومية جملة وتفصيلا من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٩١٥م وتطور خطط التعليم بالمدارس ابتداء من عام ١٨٣٧ حتى عام ١٩١٦، وبه أيضا ملخص للوائح الشهادات الدراسية مثل الابتدائية والكفاءة والثانوية من عهد انشائها حتى تاريخ تأليف الكتاب، كما ارفق به الخطط والرسوم المعدة لإنشاء بعض المدارس، وأسماء المدرسين ونظار المدارس الحكومية وتواريخ تعيينهم وانتهاء خدمتهم منذ عصر محمد علي وحتى عام ١٩١٦ أما عن كتاب تقويم النيل فهو يتكون من مقدمة وثلاثة أجزاء[٣] وملحق استغرق أمين سامى في كتابتها خمسة وعشرين عاما، وفيه تطرق من خلال عرض تاريخي إلى علاقة مصر بالنيل، وعلاقة الفيضان بازدهار أحوال مصر أو تأخرها وأثر ذلك على حياة الشعب المصرى من الناحية الاقتصادية، كما تعرض للأحداث الهامة التي طرأت على مصر، وتطور تعداد السكان خلال الحملة الفرنسية وعصر محمد علي، وعمليات مسح الأرض والتعليم وتطور موارد مصر، كما تابع الصفوة الحاكمة من خلال عرضه لموظفى الادارة، وإحلال المصريين في بعض المناصب الادارية ابتداء من عصر سعيد، وتطور القوة العسكرية المصرية.

---

[١] صدر عن مطبعة المعارف بالقاهرة في عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م.

[٢] صدر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء هي:

تقويم النيل وعصر محمد علي القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٢٨ تقويم النيل وعصر عباس باشا الأول ومحمد سعيد، القاهرة، مطبعة دار الكتب تقويم النيل وعصر إسماعيل في ثلاثة مجلدات القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٣٦.

[٣] ينقسم الجزء الثالث إلى ثلاثة مجلدات كبيرة.

وحول تقسيم أجزاء الكتاب يمكن القول أن المؤلف تعرض في الجزء الأول منه لصفحة من تاريخ مصر منذ الفتح العربى لها وحتى الفتح العثمانى، وفي الجزء الثانى تناول المؤلف تاريخ مصر من الفتح العثمانى حتى عصر محمد علي أما الجزء الثالث بمجلداته الثلاثة فقد اشتمل فترات حكم عباس وسعيد وإسماعيل.

وبالنسبة لمصادر الكتاب فقد اعتمد المؤلف على المصادر الإسلامية المعروفة، ورجع إلى الوثائق المحفوظة بالدفتر خانه المصرية وان كان قد أهمل الاشارة في الهوامش إلى العديد من أرقام المحافظ والدفاتر التي أخذ عنها يضاف إلى ذلك أنه اعتمد على بعض المصادر الأوربية والتركية وقارنها بمثيلتها العربية.

ولأمين سامى دراسة أخرى عن النيل تعرف باسم "مصر والنيل" وهي عبارة عن ملخص لما كتبه من قبل وفي النهاية يمكن القول أن أمين سامى كان من الكتاب الموسوعيين – مثله كمثل على مبارك – الذين وإن كانوا قد اتخذوا من الهندسة مهنة فإنهم اتخذوا من دراسة التاريخ وكتابته هواية، وكانت كتاباتهم شكلا من أشكال الكتابة التسجيلية في التاريخ ويكفى أمين سامى فخرا وصف شفيق غربال له بأنه "شيخ المعلمين وقدوتهم في الدأب على العلم النافع[١] "كما يكفيه فخرا أنه كان باحثا منهجيا أكثر ممن سبقوه.

ب-مجموعة القصر الأوربية التي دعاها الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرته:

بعد أن وصل الأمير أحمد فؤاد إلى الحكم[٢] شجع على بزوغ حركة النهضة التاريخية، وعمل على إماطة اللثام عما احتوته دور المحفوظات والوثائق من المستندات والوثائق الدبلوماسية.

---

(١) أنظر تقديم شفيق غربال لكتاب أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في عصر محمد علي.

(٢) بعد وفاة السلطان حسين كامل في التاسع من أكتوبر ١٩١٧ تولى الأمير أحمد فؤاد عرش السلطنة. للتفاصيل انظر: إقبال على شاه: فؤاد الأول – ترجمة محمد عبد الحميد، القاهرة، ١٩٣٩.

ولا ندرى ما الذى دفع الملك فؤاد إلى القيام بهذه التجربة مع أن ثقافته لم تكن تتيح له التفكير في هذه الخطوة الهامة واللافتة للنظر ويبدو أن الملك فؤاد رأى أن تاريخ أسرة محمد علي بدأ يحترق برمته أمام الشعب المصري بعد ما سببه والده إسماعيل من ديون لمصر تسببت في الأطماع الأجنبية لها، وما سببه أخوه توفيق – بعد استنجاده بالإنجليز لحمايته – في الإحتلال الإنجليزي لمصر، ومن هنا رأى ضرورة إحياء تاريخ أسرته عن طريق الإشادة بجديه إبراهيم ومحمد علي، ووالده إسماعيل، وإبراز دورهم في تأسيس مصر الحديثة فأمر بتشكيل لجنة في عام ١٩٢٥م برئاسة "حسن باشا نشأت" لجمع ما في القصر الملكي، ودار المحفوظات العمومية بالقلعة والدور الحكومية من وثائق تتعلق بتاريخ أسرته[١] واستقدم المستشرق الفرنسى "دينى" Deny في عام ١٩٢٦ لفحص الوثائق التركية وخاصة التي تتعلق بحروب الشام، والفرمانات السلطانية الخاصة بأسرة محمد علي[٢] وترجمتها إلى العربية، واستغل علاقته الشخصية مع رؤساء الحكومات في أوربا، واستنسخ تقارير قناصلهم في مصر في القرن التاسع عشر[٣] كما أمر بنقل الوثائق الخاصة بالفترة ما بين حكم محمد علي وبداية الحرب العالمية الأولى من دار المحفوظات العمومية بالقلعة إلى قصر عابدين في مبنى أطلق عليه" دار الوثائق السرية والمحفوظات التاريخية الملكية" بهدف إتاحة الفرصة لعدد من المؤرخين ليكتبوا تاريخ أسرته وفقا لتوجيهاته ورغباته[٤] بغرض إخفاء أخطاء والده إسماعيل، ونسبة أمجاد مزيفة إليه، ولما كان الملك فؤاد لا يثق في قدرة المؤرخين المصريين على القيام

---

[١] عبد الرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية جـ٢، القاهرة، النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٤٩م ، ص٢٤٨.

[٢] قام المستشرق دينى بالتعريف بهذه الوثائق في كتابه القيم "خلاصة المحفوظات التركية في القاهرة. Sommaire Des Archives Turques du caire.

وقد نشر هذا الكتاب في عام ١٩٣٠، وظل هاديا ومرشداً للباحثين في هذه الفترة خاصة وأنه من المؤلفات النفيسة وبه وصف دقيق للخطة المتبعة في ترتيب المحفوظات المصرية وتنسيقها وعادات الموظفين والكتاب في القيد والضبط.

[٣] محمود عباس حمودة: المدخل إلى دراسة الوثائق العربية، القاهرة دار الثقافة، ١٩٨٠ ص٤٠- ٤١، وأسد رستم المحفوظات الملكية المصرية – بيان وبوثائق الشام – المجلد الأول ١٩٤٠.

[٤] حمودة : المرجع السابق ص ٤١.

بهذا العمل[1] فقد استأجر بعض المتطفلين على موائد التاريخ من الأوربيين والأمريكيين والعرب[2] ووعدهم بالمكافآت السخية إذا كتبوا تاريخ أسرته بالطريقة التي يرتضيها وقد استجاب لطلبه كل من "دوان" Douin الفرنسى وانجلو ساماركو Sammarco ،A الإيطالى، ودودول Dodwell الإنجليزي[3] والقاضى الأمريكى كرابيتس Crabites وشارل رو Charles Roux سفير فرنسا لدى الكرسى البابوى وعضو المجمع الفرنسى وجبرائيل هانوتو[4] Hanotau وغيرهم من الأوربيين أما من استجاب له من المتطفلين والمرتزقة العرب فكان أبرزهم "إلياس الأيوبى".

وعن المؤلفات التي كتبها هؤلاء نذكر كتاب Douin المعنون Histoire Du Regne Du Khedive Ismail والذى نشرته الجمعية الجغرافية الملكية في مصر في أربعة أجزاء في الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩ ومن أبرز ما فيه ما كتبه حول جهود الخديوى إسماعيل في إصلاح القضاء La Reforme Judicaire والصراع الذى خاضه نوبار باشا في العواصم الغربية، وفي الأستانة حتى تحقق له الموافقة على إنشاء المحاكم المختلطة.[5]

وحول أنجلو ساماركو الإيطالى وكتاباته نذكر أن الملك فؤاد وابنه فاروق أغدقا عليه الكثير من مظاهر الرعاية فبعد أن قدمه أحد الموظفين الايطاليين بقصر عابدين إلى

---

(١) كان من أبرز المؤرخين المصريين الذين ظهروا في ذلك الوقت محمد صبرى السربونى الذى عاد إلى مصر في عام ١٩٢٤ بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة السربون ولكنه كان مكروها من القصر الملكى خاصة وأنه وصف الملك فؤاد في كتابه La Revolution Egyptienne بأنه ملك لا شعبية له.

(٢) د. أبو الفتوح رضوان: التاريخ في مناهج الدراسة بمصر، دراسة ضمن كتاب تدريس التاريخ لهنرى جونسون ص١٤٥.

(٣) ذكر الدكتور محمد أنيس أن المؤرخ الإنجليزي دودول ذكر له أثناء دراسته في لندن أن لم يتقاض سوى خمسمائة جنيه من الملك فؤاد على كتابه مؤسس مصر الحديثة وأنه يرى أن هذا المبلغ أقل من الجهد الذى بذل فيه.

أنظر. المجلة، نوفمبر ١٩٦١ مقال تحت عنوان "شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصري الحديث".

(٤) من المعروف أن هانوتو له عدة مقالات طعن فيها الإسلام والمسلمين وأن الشيخ محمد عبده كان قد ردّ عليه في عدة مقالات نشرتها المؤيد في أبريل ١٩٠٠م.

(٥) أنظر الجزء الثانى الفصول من السادس إلى التاسع صفحات ١٨٥ – ٢٨٢.

الملك فؤاد على أنه مؤرخ كبير يمكن الاستفادة منه فيما يريد الملك كتابته أمر الملك فؤاد بضمه إلى مجموعة كبار الأساتذة الأجانب الذين عكفوا على كتابة "موسوعة تاريخ مصر عبر العصور "وعرفت باسم ملخص تاريخ مصر Precis de L' Histoire d' Egypte كما كلفه بالمساهمة في جمع الوثائق التاريخية فقام باعداد سبعة مجلدات من الوثائق المستخرجة من دور المحفوظات الايطالية والنمساوية والخاصة بتاريخ مصر الحديث، وأهم هذه الوثائق ما كان منها خاصا بالحملة المصرية على بلاد الشام.

وقد كتب أنجلو ساماركو الجزء الرابع من ملخص تاريخ مصر وتناول فيه تاريخ عباس وسعيد واسماعيل من الفترة من ١٨٤٨ إلى ١٨٧٩[١] كما كتب مبادئ في تاريخ مصر "وقد وضعه خصيصا للمدارس الإيطالية".

ونتيجة لرضا الملك فؤاد عن ساماركو "كلفه بوضع تاريخ شامل للنهضة المصرية في عدة أجزاء فاعتزم وضع مجموعة ينفرد بتأليفها تتناول تاريخ مصر منذ جلاء الحملة الفرنسية على مصر في عام ١٨٠١ حتى بداية الاحتلال البريطانى في عام ١٨٨٢ ولم يظهر من هذه المجموعة سوى الجزء الثالث الذى يسجل في معظمه سنوات حكم الخديوى اسماعيل من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٨٧٥ وهذا الجزء ليس إلا نسخة مكرره مما ورد في الجزء الرابع الذى كتبه في الموسوعة سابقة الذكر مع اختلاف يسير في الصياغة اللفظية[٢] يضاف إلى ذلك أن الأستاذ "ساماركو" كتب بحثا بالايطالية تحت عنوان "الحقيقة في مسألة قناة السويس". La Verita Sulla Questione Del Canal Di Sues. تكلم فيه عن تاريخ قناة السويس ودور مصر في اتمام هذا المشروع وما اضطلعت به من الأعباء وما تحملته من التضحيات في سبيله.

والمتصفح لما كتبه ساماركو يجده يركز على اتجاهين هما :

١- الإشادة بدور أسرة محمد علي في بناء مصر الحديثة.

---

[١] انجلو ساماركو : الحقيقة في مسألة قناة السويس - ترجمة طه فوزي القاهرة، ١٩٤٠ ص٨.

[٢] عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الرابع، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٦ ص٢٠٥٦ – ٢٠٥٨.

٢- إبراز دور إيطاليا في تحديث مصر.

والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها:

١) تمتعه بثقة الملك لدفاعه عن أعمال جديه محمد علي وإبراهيم ووالده إسماعيل.

٢) محاولاته اثبات أن البنادقة كانوا أول من فكر في شق قناة السويس لكي يصل أحد البحرين بالآخر.[١]

والجدير بالذكر أنه بعد انضمام إيطاليا إلى دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية اصدرت الحكومة المصرية قراراً بابعاد "ساماركو" عن مصر في عام ١٩٤٠.

أما عن القاضى الأمريكى "بيير كرابيتس Pierre crabites " فكان يعمل قاضيا بالمحاكم المختلطة في مصر، وقد كلفه الملك فؤاد بالدفاع عن والده اسماعيل، وتفنيد المزاعم التي ذهب إليها "ملنر"، و"كرومر" و "زيتلند"، و "كولفن" وغيرهم من أنه كان مبذراً ولصا وأن حكمه كان في مجمله مجموعة شرور ومفاسد ومساوئ، وأن سلطانه غير المحدود كان على موارد محدودة.

وحتى يتيسر لكرابيتس ذلك أذن له الملك فؤاد بالاطلاع على الوثائق الدبلوماسية والمستندات المحفوظة في الخزائن الملكية وغيرها.

وقد قام كرابيتس بهذه المهمة خير قيام واخرج كتابه اسماعيل المفترى عليه.[٢]. Ismail the Maligned khedive. الذى أضعف فيه الدعوى الشائعة عن اسماعيل الشهوانى الغارق في ملذاته ودافع فيه عن أعماله، ووصفها بأنها ساعدت على ترقية مصر وخلقها من جديد فعرض بالبيانات والأرقام ما لاقته مصر عن ضروب الاصلاح في المرافق العامة، كما وضع الخديو إسماعيل في مصاف كبار المصلحين الذين قلما

---

[١] أنظر ساماركو: المرجع السابق ص١٩.

[٢] الكتاب كما يتضح من عنوانه يبرز أن هناك ظلما صارخا وقع على الخديوى اسماعيل. وقد صدر هذا الكتاب في لندن في يوليو ١٩٣٣ وقد قال عنه مؤلفه لست أنا مؤلف الكتاب وإن كان اسمي موجودا على صفحة عنوانه .. لأنه في الواقع عبارة عن سلسلة وثائق، ولا فضل لي إلا في جمع المعلومات.

يجود الزمان بمثلهم فقال كان إسماعيل سابقا لأوانه بعدة أجيال، والعالم يسامح الرواد .. وأن حضارة الأمس كحضارة اليوم تصفق للذكاء المتألق، لكنها تتمسك بالعقول العادية المتوسطة، لذلك لم يكن فيها للخديوى الذى كان كبشا للتضحية على هيكل الأنظمة الاقتصادية أي محل لأنه كان أكبر من محيط.(١)

وبالنسبة لما كتبه Charles Roux ذلك الفرنسى الذى عاصر العديد من الحوادث التي جرت في مصر بعد الاحتلال الانجليزي لها نذكر دراسته المعنونة.

L' Egypte de I'occupation Anglaise aI'independence Egyptienne.

وفي هذه الدراسة كتب "شارل رو" موضوعات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر من ١٨٨٢ وحتى معاهدة ١٩٣٦ تلك الفترة المليئة بالتطورات المتلاحقة والأحداث الجسام.

وقد مهد المؤلف لدراسته بالتطرق إلى السنتين السابقتين لعام ١٨٨٢ كما قارن بين حملة "ولسلى" في سنة ١٨٨٢ وحملة "هتشنسون" التي شاركت في اخراج الفرنسيين من مصر ١٨٠١ ومدى استفادة انجلترا من هذه التجربة بإعلانها أنها لن تخرج من مصر قبل أن تطمئن إلى أحوالها وإلى عدم عودة احتلال أجنبي آخر لها.

وقد بين المؤلف النتائج التي ترتبت على الاحتلال البريطانى لمصر وأشار إلى موقف كل من فرنسا والدولة العثمانية من المسألة المصرية وعرج إلى بعثة اللورد "دفرين" ومحاولة تنظيم شئون مصر، وإلى مسألة قناة السويس.

ومن الطبيعي أن يساند موقف فرنسا من المسألة أثناء تعرضه للعلاقات الانجليزية الفرنسية فيما يختص بمصر.

---

(١) اسماعيل المفترى عليه ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

والجدير بالذكر أن لكرابيتس مؤلفات أخرى في تاريخ مصر والسودان نذكر منها كتابه عن ابراهيم باشا Ibrahim of Egypt وكتابه انقاذ السودان Winning of the sudan.

وينتقل "شارل رو" بعد ذلك إلى سياسة اللورد كرومر ومشكلة السودان والثورة المهدية، ويشرح موقف الحكومة الانجليزية ازاء هذه الثورة ثم يتعرض للنواحى الدولية ازاء الأزمة المالية وإلى بعثة السير "هنرى درمند ولف"، وإلى نمو النفوذ الانجليزي في الادارة المصرية.

وتنتهى الفصول السبعة الأولى من هذه الدراسة بموت الخديوى توفيق ويبدأ الفصل الثامن بتولية عباس الثانى والنزاع بينه بين اللورد كرومر وكيف حاولت فرنسا استغلال ذلك النزاع لصالحها ثم يفرد المؤلف فصلا خاصا لاسترداد السودان واتفاقية ١٨٩٩ ويخصص بعد ذلك فصلا لمصطفى كامل ونمو الحركة الوطنية والاتفاق الودى وعزل كرومر ثم ينتقل إلى السير الدون جورست وكتشنر.

وفي الفصل العاشر يتعرض المؤلف لأحوال مصر إبان الحرب العالمية الأولى وتعقد الموقف السياسى نتيجة لانضمام الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والدور الذى قامت به مصر خلال الحرب ويستمر "شارل رو" في التعرض لأحوال مصر في عهد السلطان فؤاد ويتحدث عن نمو الحركة الوطنية وثورة ١٩١٩ وبعثة ملنر ثم الغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر مع وضع التحفظات الأربعة كما يتحدث عن الحوادث العنيفة التي حدثت في مصر مثل مقتل السردار "السر لى ستاك" وغيرها ويصل في نهاية المطاف إلى معاهدة ١٩٣٦.

ومع أن هذه الدراسة في مجملها موجزة، فإنها مهمة وإن كانت تعرض لوجهة النظر الفرنسية بشكل واضح، كما أن صاحبها لم يرجع إلى الوثائق الانجليزية ولم يتعمق في موقف الدول الكبرى ازاء المسألة المصرية أو في شرح تطور الحركة القومية في مصر.

ومع ذلك فقد حاول صاحبها توضيح الحوادث التي مرت بها مصر بشكل أفضل ممن سبقوه من الكتاب.

هذا عن المؤرخين الأوربيين الذين استجابوا لرغبة الملك فؤاد في إعادة كتابة تاريخ أسرته.

أما عن المؤرخين المتطفلين على موائد التاريخ من العرب فكان أبرزهم "الياس الأيوبى" صاحب كتاب "تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل باشا من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩" والذى يتألف من مجلدين مجموع صفحاتهما ١٠٨٤ صفحة وينقسم إلى سبعة أجزاء تشتمل على اثنين وثلاثين فصلا.

قد قدم المؤلف هذا الكتاب إلى الملك فؤاد بمقدمة تتسم بالتزلف والنفاق فقد صور صاحبها الخديوى اسماعيل بأنه أعاد لمصر مكانتها المفقودة في الخارج، وأن عهده امتاز بالتطور الاجتماعى السريع الذى نهض بعقليه القطر المصرى وكاد يرفعها إلى مصاف بلاد الغرب، وأن من حقه أن يفخر بما فعل قائلا "انفصلت بلادى عن افريقيا لأننا أصبحنا جزءا من أوربا" وإلى جانب ذلك خاطب الملك فؤاد بقوله "فلم يكن والدك الجليل نوراً ساطعاً فحسب بل كان شمسا متألقة في سماء مصر، ولا غرو إذا اتجهت رغبتك يا مولاى وأنت أبر أبناء هذا المصلح العظيم الذى تمت على يديه جميع هذه المدهشات الى أن يفصل التاريخ وقائعها .. فلتتفضل جلالتكم وتأذن برفعه إلى سيادتكم الملكية مقدما بين يدى من صادق اخلاصي وعظيم طاعتى وعبوديتى لكم خير شفيع"[١] ونتيجة لأن ما كتبه "الياس الأيوبى" قد حقق للملك فؤاد مبتغاة فقد أمر بتوزيعه على مدرسى التاريخ بالمدارس المصرية مجانا.[٢]

على أي حال وعلى الرغم من استجابة بعض المؤرخين الأوروبيين والأمريكيين والعرب لرغبة الملك فؤاد في تمجيد تاريخ أسرته وتبرير أخطائها، وتصرفات حكامها، وافتقادهم إلى الموضوعية أحيانا وإلى الروح الأكاديمية أحيانا أخرى لا يستطيع أحد أن ينكر أنه بفضل ما كتبه هؤلاء ظهرت مجموعة نفيسة ومجلدات متعددة – ملأت العديد من رفوف المكتبات – كشفت عن العديد من الصفحات المجهولة

---

(١) أنظر المجلد الأول ص ١٩- ٢٤ (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣).

(٢) د. أبو الفتوح رضوان: المرجع السابق ص ١٤٦.

في تاريخ مصر، واستطاعت التأثير على المفاهيم التاريخية في دراسة تاريخ مصر الحديثة والتي تنحصر في أن الفضل في تطور مصر السياسي والاقتصادى والاجتماعى يرجع إلى جهود محمد علي وأسرته ولكن هل هذا يعنى أن كل من كتب عن مصر من الأجانب خلال هذه الفترة كان على شاكلة هؤلاء؟ الواقع أن مصر عرفت بعض الأجانب الذين كتبوا الحقائق التي شاهدوها بأنفسهم بدافع من ضمائرهم، ولم يتملقوا حاكم أو سلطان.

٣- مجموعة الحركة الوطنية:

أ- المجموعة التي تناولت تاريخ مصر والتي تكونت من طبقة المصريين البارزين في مجال الزعامة والسياسية والفكر واتخذت من التاريخ هواية ومن أبرز أفراد هذه المجموعة "مصطفى كامل" و "محمد فريد" و "عبد الرحمن الرافعى".

وهذه المجموعة كان لها أكبر الأثر في تنمية الوعى التاريخى لدى الشعب المصرى خاصة وأنه في أعقاب الاحتلال الانجليزي لمصر تخرج الطلاب من المدارس العالية وهم لا يعرفون من تاريخ بلادهم سوى النزر اليسير، حتى المناهج التاريخية التي لقنت لهم ركزت اهتمامها على الغرب أكثر من عنايتها بتاريخ مصر وحضارتها، وكان التاريخ المصري يعرض على الطلاب عرضا جافا مختصرا بشكل مخل دون تناسق أو ارتباط بين أجزائه المختلفة وبقي الحال على ذلك حتى ظهر "مصطفى كامل" وحزبه فكانت كتاباتهم خير دعاية للقضية المصرية، وخير هداية إلى الطريق الذى يخرج الناس من الذل والعبودية إلى الكرامة واستعادة الأمل، كما كانت في معظمها حججا قانونية تاريخية أما القانون فقد درسوه ومارسوه في دفاعهم عن قضية مصر واستقلالها وأما التاريخ فقد أقبلوا على دراسته ليستعينوا به في تبيان الحقيقة للرأى العام داخل مصر وخارجها واثبات عدم شرعية الاحتلال البريطانى وتبعية مصر للدولة العثمانية ونتيجة لذلك أخذ مصطفى كامل ومحمد فريد في تأليف الكتب التاريخية المتصلة بالمسألة

الشرقية أو الدولة العثمانية أو عدم شرعية الاحتلال[1] فقد ألف مصطفى كامل كتابا من جزئين في تاريخ المسألة الشرقية أوضح فيه إلى حد كبير آراؤه السياسية.

وقد نشر هذا الكتاب في أبريل ١٨٩٨ بمناسبة انتصار الدولة العثمانية في حربها مع اليونان.

والصفة الغالبة في هذا الكتاب هي الدفاع عن الدولة العثمانية وتأكيد حسن معاملتها لرعاياها من غير المسلمين،[2] وأن بقاءها أمر ضروري للجنس البشري وسلامة لأمم الغرب و الشرق، وزوالها يكون مجلبة للأخطار[3] وأكد على ضرورة التفاف المسلمين حول عرش السلطنة حتى لا تقع أوطانهم في مخالب الدول الأوربية وإلى جانب ذلك ألف مصطفى كامل كتابا عن اليابان بعنوان "الشمس المشرقة" بمناسبة انتصار اليابان في حربها مع الروسيا وأنه يجب على المصريين أن ينظروا بعين الاعتبار إلى الأمة اليابانية التي صارت بفضل اتحادها ووطنيتها موضع تقدير وإعجاب العالم وتمنى مصطفى كامل في كتابه أن يحدث هذا الانتصار انقلابا عاماً، وأن يبعث في أمم الشرق روحا جديدة، ويجدد للمسلمين طريقة حياتهم.[4]

وألف "محمد فريد" كتابا في تاريخ الدولة العثمانية اسماه "تاريخ الدولة العلية العثمانية"[5] أوضح فيه تاريخ الأمم الإسلامية عامة والدولة العثمانية خاصة وتوقف عند السلطان "عبد المجيد بن عبد العزيز" آخر سلاطين العثمانيين وتطرق إلى أسباب إنهيار الدولة العثمانية والثورة الكمالية.

---

(١) الشيال: التاريخ والمؤرخون ص ١٧٩.

(٢) المسألة الشرقية، الجزء الأول، القاهرة، ١٨٩٨ ص ٧- ٨.

(٣) نفسه جـ ١ ص ١٦.

(٤) الشمس المشرقة ص ٢١ وحول بقية مؤلفات مصطفى كامل يمكن الرجوع إلى علي فهمي كامل: مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً سيرته وأعماله من خطب ورسائل سياسية وعمرانية ٦ أجزاء في ثلاثة مجلدات، القاهرة ١٩٠٩.

(٥) طبع في القاهرة عام ١٨٩٦ ، ثم نشرته دار النفائس ببيروت بعد أن قام الدكتور احسان حقي بتحقيقه عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

كما ألف فريد كتابا آخر في تاريخ محمد علي عنوانه "البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية"(1) وفيه تحدث عن محمد علي وإصلاحاته في مصر والحروب التي خاضها وإلى جانب ذلك فلمحمد فريد مذكرات يمكن تقسيمها إلى قسمين القسم الأول وفيه سجل يومياته عن الأحداث التي شهدها في الفترة المبكرة من حياته التي تقع بين ١٨٩١ ـ ١٨٩٧ وهي الفترة التي سبقت انضمامه إلى الحركة الوطنية بزعامة "مصطفى كامل".

وتعد هذه المذكرات بمثابة مادة تاريخية هامة في فترة التحضير للحركة الوطنية التي انتعشت كرد فعل للوجود البريطاني في مصر.(2)

أما عن القسم الثاني من المذكرات فقد تولى مركز تاريخ مصر المعاصر نشرها نشراً علمياً محققا في مجلدين، المجلد الأول تحت عنوان "مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ ــ ١٩١٩"(3)، والمجلد الثاني بعنوان "المراسلات"(4) وهو عبارة عن مجموعة خطابات متبادلة بين محمد فريد وبعض الشخصيات المساندة للحركة الوطنية من الأجانب والمصريين.

وفي هذه المذكرات يحدد فريد رؤيته لطبيعة الصراع القائم بين مصر وبريطانيا وتتلخص مطالبه في خروج الانجليز من مصر وإعادة تبعيتها للدولة العثمانية، وتكشف هذه المذكرات عن علاقة الخديوى عباس الثانى بقادة الحزب الوطنى ومحاولاته السيطرة على زمام الأمور في الحزب، كما تتعرض المذكرات لأفكار فريد بشأن استغلال الحركة الطلابية والعمالية في العمل على استقلال مصر، وإلى نشاطه الوطنى في الخارج وفي يقيننا أن هذه المذكرات تعد تراثا أصيلا لا غنى عنه لكل باحث في الحركة الوطنية المصرية في الثلث الأول من القرن العشرين، ولكل من يتطرق للتقديم لثورة ١٩١٩.

---

(1) طبع بالمطبعة الأميرية القاهرة في عام ١٣٠٨م.

(2) قام الدكتور رووف عباس بتحقيق هذه المذكرات ونشرها في عام ١٩٧٥.

(3) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب في عام ١٩٧٨.

(4) نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب الجزء الأول منه في عام ١٩٨٦.

وقد التزم رجالات الحزب الوطنى بالاستمرار في الكتابات التاريخية فكتب "علي فهمي كامل" سيرة أخيه،[1] كما ترجم الرسائل المتبادلة بينه وبين الصحفية الفرنسية "جوليت آدم"[2] وسارت الأمور على هذا المنوال حتى جاء "عبد الرحمن الرافعي"[3] أحد أبناء الحزب الوطنى فأثرى المكتبة العربية بمؤلفاته العديدة في تاريخ مصر الحديث والمعاصر كما كتب العديد من المؤلفات عن الشخصيات الوطنية المؤثرة في مسيرة النضال الوطنى والتي تعبر عن وجهة نظر حزبه.

حقيقة أن مهنة الرافعى الرئيسية كانت المحاماة وأنه لم يتخرج من قسم التاريخ وليست له صلة بالكتابة العلمية ولا يملك الأدوات العلمية لكتابة التاريخ بل كتب التاريخ المصري إشباعا لرغبة لا التزاما بمهنة وينطبق ذلك على غيره من رجالات الحزب الوطنى أمثال عمر لطفى[4] الذى كتب عن "الامتيازات الأجنبية" و "انشاء شركات التعاون" وفتحى رضوان الذى كتب العديد من المؤلفات التاريخية[5] فقد كانا من الحقوقيين أيضا ومع ذلك كتبوا ما أنار الطريق لحقبة هامة من تاريخ الكفاح الوطنى والمتمثلة في تاريخ الحزب الوطنى بصفة خاصة، والأدلة على ذلك واضحة نذكر منها.

---

[1] نشرت في عام ١٩٠٨ تحت عنوان "مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً".

[2] نشرت في عام ١٩٠٩ تحت عنوان "رسائل مصرية فرنسية".

[3] ولد بالقاهرة في عام ١٨٨٩، والتحق بمدرسة الحقوق ونال شهادتها في عام ١٩٠٨ واشتغل محاميا، وصحفيا بجريدة اللواء وساهم في مؤتمر بروكسل ١٩١٠ ثم صحب محمد فريد لحضور مؤتمر السلام بروما عام ١٩١١، و اعتقل خلال الحرب الأولى ثم أفرج عنه كما شارك في ثورة ١٩١٩ وتولى وزارة التموين في عام ١٩٤٩، وفاز بجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦١.

[4] حول حياته ومؤلفاته وأعماله أنظر الزركلى: الأعلام جـ ٥ بيروت، الطبعة السادسة ص٥٩.

[5] لفتحى رضوان العديد من الكتب نذكر منها :

- المهاتما غاندى: حياته وجهاده، القاهرة ١٩٣٢.
- مصطفى كامل القاهرة، دار المعارف ديسمبر ١٩٧٤.
- عصر ورجال القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٦٧.
- مشهورون منسيون القاهرة، كتاب اليوم العدد ٣٧، اخبار اليوم أكتوبر ١٩٧٠.
- كفاحنا الوطنى في نصف قرن، القاهرة. د.ت.

١- أن الرافعى عندما بدأ مشروعه المهم في كتابه موسوعة تاريخ مصر[١] لم يكن يهدف في المقام الأول سوى الترجمة للزعيم الوطنى مصطفى كامل وللحزب الوطنى ومن هنا رأى أن يبدأ بالحركة الوطنية في مصر منذ بدايتها حتى إذا انتهى إلى عصر مصطفى كامل كان من اليسير عليه أن يضعه في مكانه اللائق به بين زعماء الحركة الوطنية فبدأ كتابته بعرض لتطور الحركة القومية منذ بداية الحملة الفرنسية في عام ١٧٩٨م والمقاومة الشعبية الباسلة للاحتلال الفرنسى، وانتهى إلى الكتابة عن ثورة يوليو ١٩٥٢.

وعن نظرة الرافعى للتاريخ فإنه لم ينظر إليه كعلم بمقدار ما هو وسيلة فعالة لتثقيف العقول وتوجيه المواطنين إلى المثل العليا في حياتهم القومية وتعليمهم تاريخ

---

[١] مؤلفات الرافعى في تاريخ مصر الحديث و المعاصر عديدة نذكر منها:

أ- تاريخ الحركة القومية و تطور نظام الحكم في مصر (جزءان) ويتضمن بدايات ظهور الحركة القومية في مصر، والمقاومة الشعبية التي واجهت الحملة الفرنسية وتاريخ مصر القومى إلى ولاية محمد علي.

ب- عصر محمد علي ويشتمل على عرض واف لعصره وأعماله.

ج- عصر اسماعيل (جزءان) ويشتمل على عهد عباس وسعيد واسماعيل.

د- الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي وفيه يعرض الرافعى لأسباب الثورة وتفاصيل أحداثها وأسباب اخفاقها كما يقف من عرابى موقفا عدائياً.

ه- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية وفيه يدرس حياة الزعيم الشاب ويتابعه منذ مولده إلى وفاته.

و- مصر وا لسودان في أوائل عهد الاحتلال ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٨٩٢ إلى ١٩٠٨.

ز- محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩٠٨ إلى عام ١٩١٩.

ح- ثورة سنة ١٩١٩ (جزءان) ويشتمل على تاريخ مصر القومي من ١٩١٩ إلى ١٩٢١.

ط- في أعقاب الثورة المصرية (ثلاثة أجزاء) ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩٢١ إلى ١٩٥١.

ي- مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ك- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ل- مذكرات ١٨٨٩ – ١٩٥١ وفيها عرض لشريط حياته.

م- جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق وقد صدر بعد وفاة الرافعى بسبعة أيام.

وبالاضافة إلى هذه الكتب فقد صدرت له سلسلة تحت عنوان "مصر المجاهدة في العصر الحديث" قرّرتها وزارة التربية والتعليم على طلاب المرحلة الثانوية.

بلادهم[١]. ونتيجة لذلك فهو يستبعد حياد المؤرخ لأن ذلك – على حسب قوله يشبه أن نقول للشاعر لا تكن عاطفيا أو نقول للرسام لا تكن حساسا أو نقول للمطرب لا تهتز أثناء الغناء.[٢]

وطريقة الرافعي في الكتابة التاريخية هي تتبع الحوادث تتبعا زمنيا واقتصاره في معالجته التاريخية على الجانب السياسي أكثر من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية معا يجعل القارئ المتخصص لا يحس على الاطلاق بوجود علاقات انتاج ولا قوى انتاج لدى المجتمع المصري، ويجعل كتاباته مبتورة في بعض الأحيان.

يضاف إلى ذلك أن الرافعى يحكم على الأحداث بطريقة انتقائية يستخدم فيها عملية الميزان ذى الكفتين فيضع الايجابيات في إحدى كفتى الميزان والسلبيات في الكفة الأخرى ثم يضع نفسه في موقع القاضى[٣] ومما يؤخذ على هذه الطريقة أن العدالة في الأحكام التاريخية لا تتحقق بالسهولة التي يراها الرافعي ومن هنا اتسمت أحكامه أحيانا بالبعد عن الموضوعية والانصاف كما اتسمت كتاباته بالاستطراد وعدم الترابط في بعض الأحيان على سبيل المثال نذكر أن اعجاب الرافعى بمصطفى كامل أدى إلى التحيز في مشاعره الشخصية تجاه هذا الزعيم فعلى الرغم من أن حركة مصطفى كامل اتسمت بطابع دفاع محام عن قضية وطنية وليست إعداد الأمة للنضال، وعلى الرغم من أن مفهوم مصطفى كامل للوطنية كان مفهوما فكريا من الطراز الأول يتسم بالأسلوب العاطفى لتزكية مشاعر طوائف المثقفين وحماسهم مستغلا في ذلك مواهبه الخطابية و رومانسيته الواضحة في الترنم بالوطن.

---

(١) حمادة إسماعيل: صناعة تاريخ مصر الحديث – دراسة في فكر عبد الرحمن الرافعى، القاهرة، سلسلة مصر النهضة ص ٢٠٦.

(٢) بهاء الدين علوان: عبد الرحمن الرافعى مؤرخ مصر الحديثة، القاهرة أعلام العرب ١٩٨٧ ص ٦١.

(٣) الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية جـ ٢، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٨٥ – ١٩٦٦ ص ٦.

وعلى الرغم من أن هناك العديد من المصريين كانوا قد سبقوا مصطفى كامل في الحركة الوطنية فإن الرافعى غلبت عليه النزعة الحزبية فاعتبر مصطفى كامل منشئا للحركة الوطنية يضاف إلى ذلك أن كتابات الرافعى تأثرت بلون من ألوان عدم الانصاف التاريخي[1] فكل ما فعله الحزب الوطنى من وجهة نظره صحيح وما سواه من الأحزاب فإنه يعامل حسب مواقفه من الحزب الوطنى وزعاماته وآرائه فمثلا لم يكن الرافعي منصفا في تقويمه للثورة العرابية بل ظلم عرابى ظلما كبيرا في كتابه الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي خاصة وأن الحزب الوطنى كان يرى فيها هوجه هوجاء تسببت في الإحتلال فوصف شخصية زعيمها بأنها كانت السبب في إنكسار الثورة وإخفاقها وخضعت تفسيراته للثورة للمناخ السياسى والاجتماعى الذى أرخ فيه لها، كما خضعت لظروف بيئته وعصره والفكرة التي يؤمن بها، وربما أخضع تفسيراته لرؤية وطنية من وجهة نظره ومع ذلك فإن عاطفته تجاه الحزب الوطنى الذى ينتمى إليه وإلى ذاتيته كانت بارزة فيما كتبه فقد تبنى مثلا الفكرة القائلة بأن الفترة من ١٨٨٢ ـ ١٨٩٢ كانت فترة خمول اختفت فيها الحركة الوطنية بعد تعرضها لصدمة الاحتلال وأنها عاشت فترة خضوع على الرغم من أن عبد الله النديم حاول في كتاباته بمجلة الاستاذ العمل على انعاش الوعى الوطنى وهذا ما أوضحه في كتابه مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال وحتى يظهر أن مصطفى كامل هو باعث الحركة الوطنية.

وبالنسبة لموقف الرافعى من الوفد فقد أنكر عليه الرأى القائل بالمفاوضة لتسوية العلاقات المصرية البريطانية وعاتبه احيانا وعنفه أحياناً أخرى ولم يتعاطف مع سعد زغلول في كتابه ثورة ١٩١٩ لأن أحد مبادئ الحزب الوطنى كانت لا مفاوضة إلا بعد الجلاء، وإلى جانب ذلك كان الرافعي ينظر إلى حزب الأحرار الدستوريين على أن رجاله وصوليون ونفعيون ورجعيون مما يعنى أنه كان منحازاً لوجهة نظر معينة في السياسة المصرية بوصفه أحد أقطاب الحزب الوطنى وأحد تلاميذ مصطفى كامل.

---

[1] الجدير بالذكر أن معظم الكتابات التاريخية في ذلك الوقت تأثرت بانتماءات أصحابها وميولهم فالعقاد أحب الوفد في شخص سعد زغلول، وهيكل عبر في كتاباته عن رأى ومواقف الأحرار الدستوريين.

ويؤخذ عليه أيضا حذفه لبعض الكلمات التي وردت في المراسلات التي تمت بين مصطفى كامل ومحمد فريد بغرض اضفاء طابع المثالية عليهما، وقيامه باجراء بعض التعديلات في مذكرات محمد فريد لكي يخدم الصورة البراقة التي رسمها في كتاباته عنه علما بأنه ليست من مهمة المؤرخ أن يحجب عن الأجيال المتعاقبة أخطاء الأجيال الماضية، بل عليه أن يشير إليها.

وإذا كان البعض قد أخذ عليه أيضا مجاملته لثوار يوليو ١٩٥٢ وأنه كان المؤرخ الأثير لديهم بتجاهله لمحمد نجيب في كتابه "ثورة يوليو ١٩٥٢- تاريخنا القومى في سبع سنوات ١٩٥٢- ١٩٥٩ فالحقيقة لم تكن كذلك فقد ذكر الرافعى نجيب وتعرض لدوره في الثورة، ولكن الرقابة على المطبوعات هي التي أمرت بحذف هذا الدور ومحو اسم صاحبه.[١]

ومع ذلك فمن الانصاف أن نذكر أن الرافعى كان حريصا على الوقائع التاريخية من الزيف والتحريف في معظم الاحيان[٢] كما يحمد له أنه كان أول من اهتم بذكر أسماء الشهداء والضحايا من أبناء الشعب المصري خلال مقاومتهم للاحتلال[٣] ويحمد له أيضاً ما ذكره من أن الشعب هو الصانع الحقيقى للتاريخ، وأن التاريخ الصحيح هو تاريخ الشعوب لا تاريخ الملوك[٤] وإذا كان البعض قد أخذ عليه أنه لم ينصف الثورة

---

(١) ذكر لي السيد / حامد إبراهيم الذى كان يعمل بمطبعة السعادة بباب الخلق التي طبع فيها هذا الكتاب أن الرافعى لم يتجاهل نجيب في كتابه وإنما الرقابة على المطبوعات هي التي حذفت معظم ما كتبه عنه.

(٢) اتهمت صحيفة كوكب الشرق الرافعى أنه استعان بكتاب صاحبها أحمد حافظ عوض – والذى تولى ادارة جريدة المؤيد عقب وفاة مؤسسها الشيخ علي يوسف – المسمى "فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر" في تأليف كتابه المسمى "تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم" دون الإشارة من الرافعى إلى ذلك، ولكن يبدو أن تشابه مصادرهما عند الكتابة كانت متقاربة وان كان الرافعي قد تعرض لهذه الفترة بالدراسة والتوضيح أكثر من حافظ عوض ومع ذلك فنحن نؤكد على ما ذكرناه من قبل بأن الرافعى قام باجراء بعض التعديلات في مذكرات محمد فريد.

(٣) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ١، القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٢ ص١٥.

(٤) أنظر في أعقاب الثورة جـ ٢ ص٥.

العرابية، وأنه أعطى للبرجوازية المصرية الدور القيادى للثورة ضد الاحتلال فإنه لم يكن وحده المؤيد لهذا الرأى في ذلك الوقت.[١]

وعلى الرغم من كل ذلك فالرافعى يُعد وبحق مؤرخ النهضة القومية الحديثة لأنه أرخها في مرحلتها التي بدأت بالحملة الفرنسية، وأرخها في مرحلتها التي بدأت بفترة حكم محمد علي لحكم مصر وما صحبها من مراحل وتطرق للثورة العرابية والاحتلال والحركة الوطنية وتتبع وقائعها.

وإلى جانب ذلك فمن المنطقى أن نعترف بالدور البارز الذى أثار به الرافعى طريق المعرفة التاريخية لجيل من الشباب المصريين، وبالمجهود الضخم الذى قدمه من أجل تاريخ أمته لدرجة أن مؤلفاته ظلت أكثر من نصف قرن تقريبا مرجعا هاما لكل من يرغب في التعرف على الوطنية المصرية أو يتعلم منها كما أن تأثيرها بلغ درجة كبيرة بشكل يمكن معه القول أن صاحبها يعد من كبار صناع الكتابة التاريخية المصرية في العصر الحديث.

ويكفى الرافعى فخرا أنه لم شتات التاريخ المصري الحديث وجمع أطرافه وكون منها مؤلفاته العديدة.

وعلى أي حال فقد تابع زعماء مصر السياسيون وقادتها كتابة مذكراتهم فكتب محمد فريد، وسعد زغلول، وإسماعيل صدقى، وعبد الرحمن فهمي، ومحمد حسين هيكل، وإبراهيم الهلباوى وغيرهم مذكراتهم ولكن هل هذه المذكرات يمكن أن ينطبق عليها الوصف العلمي للمذكرات أم أن معظمها تختلف درجة ابتعاده عن هذا الوصف من ناحية القرب أو البعد.

---

[١] من المعروف أنه بعد عودة عرابى من منفاه إلى وطنه استقبلته معظم الصحف وبعض الناس شر استقبال، فوجهوا إليه تهمة الخيانة وحاولوا الحط من قيمته ومن ثورته، ولكن هناك من استقبله بموضوعية مثل لطفى السيد فقال ان له حسنات وله سيئات وأن الخيانة أمر لم نعرفه في زعمائنا المصريين.

الواقع أن هذه المذكرات يعد بعضها أقرب إلى التقارير، وبعضها أقرب إلى التاريخ منه إلى المذكرات خاصة وإن شرط المذكرات هو تصوير الحادث وقت وقوعه أو تسجيل الرأى عند تكوينه، ولكن إذا ما تم استعادته بعد وقوعه أو تكوينه فإن صاحب المذكرات يتأثر بحالته وقت الكتابة كما يتأثر بالنتائج التي ترتبت على الحادث إن سلبا أو إيجاباً، ومن هنا ينبغى إعادة النظر فيما كتبه هؤلاء السياسيون ووضعه في مكانه الصحيح من الكتابة التاريخية.(١)

ومن المذكرات ننتقل إلى التراجم فقد ظهرت لأول مرة بصورتها العلمية الحديثة في كتاب الدكتور هيكل "تراجم مصرية وغربية" ثم ترجم "العقاد" لسعد زغلول في كتابه "سعد زغلول سيرة وتحية" وترجم "الرافعى" لمصطفى كامل في كتابه "مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية كما ترجم لمحمد فريد في كتابه "محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية" وكتب الدكتور "الشيال" عن رفاعة الطهطاوى، و "سمير طه" عن أحمد عرابى و " عبد المنعم الجميعى " عن عبد الله النديم وتوالت بعد ذلك العديد من التراجم لزعماء مصر السياسيين وغيرهم.

ومن المعروف أن فن الترجمة للشخصيات التاريخية لا يعد من الأمور السهلة بل تحتاج في العديد من الأحيان إلى شخص متمكن من الدراسات السيكولوجية والتحليل النفسي يرسم من خلالها صورة عامة للشخصية التي يترجم لها من جميع جوانبها كما تحتاج إلى من يراعى التطور الداخلى للشخصية من خلال الأحداث التي يعرضها والعوامل المختلفة التي أثرت فيها وفي اتجاهاتها.

ومع أنه يتحتم على كُتّاب التراجم تحاشى الوقوع تحت تأثير الشخصية التي يكتبون عنها حتى لا تتناقض أحكامهم وينحرفون عن الحق فان الكثيرين ممن كتبوا عن سير العظماء لم يتمكنوا من تفادى ذلك.

---

(١) غربال: المرجع السابق ص١٢.

ب- المجموعة الأدبية:

العمل الأدبى ميزان دقيق يزن فنا رفيعا صبت فيه الانسانية خلاصة تجاربها وخبراتها، وعبرت فيه عن مشاعرها وأحاسيسها، يضاف إلى ذلك أن للأدب والشعر أبلغ الأثر في إذكاء الروح الوطنية في نفوس الناس خاصة وأن الأدباء غالبا مرآة صادقة لعصرهم ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنيهم، حيث يسجلون بطريقتهم الأدبية الحوادث المؤثرة والهامة التي ربما لا يجدها المؤرخ في الوثائق أو المادة الأصلية المتاحة أمامه.

ونتيجة لذلك سنتعرض لبعض الأدباء الذين تركوا بصماتهم على تاريخ مصر الحديث وخير من يمثلهم في هذا المجال "حافظ إبراهيم"، و "إبراهيم المويلحى"، وعبد الحميد جودة السحار، وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وبالنسبة لحافظ إبراهيم فقد تبرم في اشعاره بالحياة الاجتماعية والسياسية في مصر بأسلوب لاذع، وكان جريئا في مواجهة أبناء جلدته بذلك، صريحا في أن يجهر به في عدة قصائد.[١]

كما كتب حافظ إبراهيم "ليالى سطيح"[٢] التي تعد بمثابة "بانوراما" متسعة الأبعاد لكل مناخات مصر السياسية والاجتماعية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، وقد نحا فيه نحو كتاب "عيسى بن هشام" لمحمد المويلحى وان لم يبلغ مبلغه، والأرضية الزمنية لهذا الكتاب تمتد ما بين عامى ١٨٨٢ – ١٩٠٦ أي فترة بداية الاحتلال وحتى مأساة دنشواى ومن هنا فانها تعرض لأحداث وشخصيات الفترة ذاتها مثل الثورة المهدية في السودان وتدفق النفوذ الأجنبى، والاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا، ومأساة دنشواى كما تعرض لعظماء مصر من المصلحين والمفكرين والكتاب في مجمله يرتكز على الإدانة المباشرة للاحتلال، ويعرض لأخلاق المصريين وعاداتهم وآرائهم وسياستهم وغفلتهم عن مصالحهم وإهمالهم لحقوقهم مما يحتاج إلى استثارة الهمم واستفزاز النفوس خاصة وان حافظ قد خالط الناس جميعا فنراه في كل بيئة وفي كل

---

[١] للتفاصيل أنظر عبد المنعم الجميعى: شاعر النيل حافظ إبراهيم، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، ٢٠١٢.

[٢] اسم كاهن بنى ذئب في الجاهلية، وقد تخيله حافظ وكأنه يتكلم معه.

مكان نراه في حديقة الأزبكية يقرض الشعر ونراه في الشوارع يماشى أصحابه ضاحكا، ونراه بائسا ليرى بؤس الناس من حوله.

وكتب "إبراهيم المويلحى" حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن بطريقة تتسم بالتواصل التاريخي، وقام ينقد الواقع الاجتماعى للأمة المصرية بشكل يخاطب العقل ويتعامل مع اللغة العربية بأسلوب يتميز بالسيولة والتحرر من المحسنات اللفظية، فقارن بين عادات الشرقيين والغربيين ابتداء من الأسرة حتى العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتعرض لآفات الطبيعة البشرية مثل الحسد والنفاق والتملق وتحدث عن المجتمع المصري في تناقضاته من خلال تحليله الاجتماعى لجوانب السلوك الاجتماعى للشخصية المصرية، وسجل معالم جيله وسماته وأحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقارنها بحالة الجيل الذى سبقه في صراحة وواقعيه مما أبرز مشكلة من أهم مشاكل المصريين الاجتماعية في ذلك الوقت وهي أن استيرادنا للمدينة الأوربية لا يعنى إقتلاعنا من جذور حضارتنا الشرقية.[١]

وكتب عبد الحميد جودة السحار " قلعة الأبطال" الذى تدور أحداثها في الفترة ما بين عصر إسماعيل إلى قيام الثورة العرابية وبداية الاحتلال، والتي صور فيها أن الجنسية المصرية داخل الجيش كانت دليل زراية واحتقار ووصمة عار حتى جاء عرابي الذى ثار في وجه الظلم فأحس الجنود لأول مرة زهوا بأنفسهم، كما صور الشعب المصري بالبقرة الحلوب التي كانت تدر لبنها لإشباع رغبة الحكام، وأبرز الصحوة التي تجلت في تعاليم الأفغانى، ووجدت أرضا رخوة في نفوس المثقفين المصريين.

وكتب توفيق الحكيم "يوميات نائب في الارياف" صور فيه فترة من حياة أديب اندمج في غمرة الناس ووسطهم ليدرس حياتهم ويتبين نقائصها ويرسم صورها المختلفة، فبين مساوئ الإدارة الحكومية فى قرى الريف، وما يقترن بها من مساوئ ومظالم قاسية.

---

(١) أنظر د. أحمد الهوارى: نقد المجتمع فى حديث عيسى بن هشام القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ١٩٩٣.

وهذا الكتاب يعد لونا جديدا من ألوان الكتابة الاجتماعية التي تجمع بين المتعة والطرافة إلى جانب الفائدة والقيمة وإلى جانب ذلك فإن رواية "عودة الروح" التي تعد ثانى الاعمال الادبية التي ظهرت لتوفيق الحكيم بعد أهل الكهف كانت رواية مصرية بأبطالها وبوقائعها، مصرية بدمها الذى يجرى في شرايينها دما مصريا خالصا، مصرية بما كتبه المؤلف عن الفلاح المصري وحياة الريف والتضامن القوي بين الفلاحين، والثورة المصرية، وعن كل شخصية تعرض لها فقد مثلت حياة الشعب المصري ابدع تمثيل كما لمست روح الجماعة في كل حادثة ومشهد فيه، فروح مصر هي روح الكل في واحد وقلب مصر هو ذلك القلب الذى يحس بآلام وهواجس كل مصري نبت على أرضها.

نضيف إلى ذلك ما كتبه نجيب محفوظ في ثلاثيته، وتعرض فيه لواقع المجتمع المصري الملئ بالمتناقضات ووصفه لمجتمع القاهرة في فترة ما بين الحربين، وتسجيله لواقع البيئة المصرية بشقيها الاجتماعى والسياسى وما عبر عنه طه حسين وأحمد أمين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم بشأن ضرورة الأخذ بأسلوب الحضارة الأوربية واعتناق مفهوم الدولة القومية، وصبغ قضية الاستقلال القومى بالليبرالية الغربية.

والسؤال المطروح هو هل التاريخ الأدبى يمكن أن يصلح كمادة يعتمد عليها في كتابة التاريخ، وما هي الخيوط التي يلتمسها المؤرخ في وصف أديب للمجتمع الذى يكتب عنه. الواقع أن الأديب أو الروائي ليس مطالبا بعمق الدرس أو بدقة التحليل العلمى بقدر ما هو مطالب بأن يكون أصيلا في تعبيره عن العاطفة الاجتماعية، واسعا في مشاعره وخياله ومن هنا فعلى المؤرخ أن يتقبل ما يكتبه الأدباء بحرص وحذر شديدين خاصة أن العمل الروائى يعتمد على الخيال بجانب الواقع، وبمعنى آخر يمكن للمؤرخ أن يستقى معلوماته التي ربما لا يجدها في الوثائق أو المصادر الأصلية بشكل يحمل موضوعية العلم وفيه ذاتية الأدب.

ج-المجموعة الصحفية:

ومن مزايا هذه المجموعة أنها استطاعت أن تسهم في تكوين الرأي العام المصري فتحدث أبناء مصر صراحة عن شئون بلادهم على صفحات الجرائد، وعبروا عما يدور في نفوسهم من آمال وأهداف في وقت تجاذبت فيه البلاد تيارات سياسية مختلفة فكان هناك التيار الوطنى الثائر الذى ظهر جليا إبان الثورة العرابية وفي أعقابها وتمثل في العديد من الصحف نذكر منها الطائف والمفيد والمؤيد وصحف الحزب الوطنى.

وهناك التيار العثمانى الذى يستمد قوته من الأصول التي تربط مصر بالدولة العثمانية ويتخذ من تيار الجامعة الإسلامية مظهرا له وتمثل ذلك في جريدة اللواء وهناك التيار الموالى لفرنسا والذى تمثل في جريدة البوسفوراجبسيان والتيار الموالى لبريطانيا والمتمثل في جريدة المقطم.

ومن الملاحظ أن الزعامة والصحافة في مصر في أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالي كانت شيئا واحدا يضاف إلى ذلك أن معظم الأحزاب المصرية نشأت في أحضان الصحف المعبرة عنها فمصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى كان مؤسسا للواء، وعلى يوسف رئيس حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية كان مؤسسا للمؤيد وأحمد لطفى السيد أحد أقطاب حزب الأمة كان مؤسسا لصحيفة الجريدة.

يضاف إلى ذلك أنه في خلال النصف الثاني من القرن العشرين برزت مجموعة من الكتابات التاريخية بأقلام مجموعة من الصحفيين كان الغرض من بعضها خدمة موضوعات بعينها وكان لأصحابها فكرة مسبقة. أما بعضها الآخر فيخلو من الأهداف السياسية ومن الأغراض الأخرى إلى حد ما ليس بكبير وأبرز هؤلاء محمد التابعى في كتابه من أسرار الساسة والسياسة، وصبرى أبو المجد في سنوات ما قبل الثورة وموسى صبرى في قصة ملك وأربع وزارات ومصطفى أمين الذى نشر مجموعة من المقالات في جريدة الأخبار حول أسرار ثورة ١٩١٩ في عام ١٩٦٣ بهدف إثبات أن

هذه الثورة كانت ثورة شعبية أصيلة خرجت من القرى والكفور قبل أن تخرج من المدن والبنادر، وأن "سعد زغلول" كان زعيما يفوق في تضحياته ونضاله كل ما سبق من زعماء مصر، ونتيجة لأن بعض الأجهزة المعنية برصد مؤشرات الرأي العام المصري قد أبلغت الرئيس "جمال عبد الناصر" بأن هذه الكتابات تهدف إلى تحريض الشعب بالانقضاض على الثورة صدرت الأوامر بوقف نشر هذه المقالات، وعدم اصدارها في كتاب، وظلت الأمور على حالها، ودخل مصطفى أمين السجن بعد ذلك، إلى أن صدرت هذه المقالات في كتاب في عصر الرئيس السادات. وبعد خروج مصطفى أمين من السجن وكان عنوانه "الكتاب الممنوع – أسرار ثورة ١٩١٩[١] " في جزءين وحول هذا الاتجاه. وإلى جانب ذلك فهناك من ركز تركيزاً كاملا على الشعب مثل أحمد بهاء الدين في كتابه "أيام لها تاريخ" عندما حكى قصة جمهورية زفتى بشكل مبسط. ومحمد حسنين هيكل ومحسن محمد اللذان يحمد لهما الاعتماد على الوثائق البريطانية والأمريكية وغيرها. بالنسبة للأستاذ هيكل فرغم اعترافه بأن كتاباته لم تكن بحوثا في التاريخ، وأنه ليس كاتبا له فقد خدم التاريخ بما لديه من وثائق مصرية رسمية يحتفظ بها، ووثائق أمريكية وبريطانية وغيرها استعرض من خلالها لوقائع تاريخ مصر في فترات متعددة، وأطلق العديد من الأحكام التي تمتزج بين الفن الصحفى والروائى أكثر من مسايرة المنهج العلمي.[٢]

أما عن كتابات محسن محمد فتكمن في أنه استمد معظم مادتها التاريخية من الوثائق الأصلية خاصة الأمريكية والبريطانية. ففي كتابه "تاريخ للبيع"[٣] قدم العديد من الأسرار الهامة التي أحاطت بمصر خلال الحرب العالمية الثانية منها موقف القصر والحكومة من الألمان، والقصة الكاملة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ من خلال الوثائق

---

[١] أصدرته دار المعارف في عام ١٩٧٤.

[٢] عاصم الدسوقى: هيكل مؤرخا وقراءة التاريخ خارج المنهج الهلال، عدد يناير ٢٠٠٤، ص١١ – ١٧.

[٣] نشرته أخبار اليوم في العدد ٥٥ من كتاب اليوم يوليو ١٩٧٢م.

البريطانية خاصة وثائق وزارة الخارجية في لندن، والتقارير التي كتبها السفير البريطاني في مصر إلى حكومته.

وفي كتابه "أصول الحكم"[١] تعرض محسن محمد لتاريخ مصر من خلال الأحداث التي أثارت الرأي العام المصري لفترة طويلة بعد أن أصدر الشيخ علي عبد الرازق كتابه "الاسلام وأصول الحكم" في أبريل من عام ١٩٢٥ والأحداث المتتابعة التي أعقبت ذلك من خلال الوثائق البريطانية المحفوظة في دار الوثائق العامة في لندن والوثائق الأمريكية المحفوظة في الأرشيف الوطنى في واشنطن.

وفي كتابه "الشيطان – تاريخ مصر بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية[٢] تعرض محسن محمد للمندوب السامى اللورد لويد بالدراسة فأوضح أنه خلال خمسة وأربعين شهراً حكم فيها مصر حاول اتباع سياسة الحزم والقهر مع المصريين، وأن يجعل من نفسه الحاكم الحقيقي لمصر وألا يكون للحكومة المصرية سوى سلطة اسمية فقط، كما حاول تحقيق مصالح الامبراطورية البريطانية في مصر أولا وقبل أي شئ آخر.

وفي كتابه "سعد زغلول مولد ثورة – شرارات ثورة ١٩١٩ بالوثائق الأمريكية والانجليزية"[٣] تعرض محسن محمد لدور سعد زغلول في السياسة المصرية قبيل ثورة ١٩١٩ وذلك من خلال توليه وزارتى المعارف والحقانية وعلاقته بكل من اللورد كرومر، واللورد كتشنر والمستشارين الانجليز وعلاقته أيضا بالسير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا.

وإلى جانب ذلك فلمحسن محمد مؤلفات أخرى تعرضت لفترات هامة من تاريخ مصر المعاصر من خلال الوثائق السرية البريطانية والأمريكية نذكر منها "سرقة واحدة

---

(١) نشرته دار المعارف في عام ١٩٨٠.

(٢) نشرته دار المعارف في عام ١٩٨٢.

(٣) نشرته مكتبة غريب بالقاهرة في عام ١٩٨٨.

مصرية"[١] و "التاريخ السرى لمصر"[٢] و "انفدينا يبيع مصر"،[٣] و "خمسة أيام هزت مصر"[٤] و "من قتل حسن البنا"[٥] و "عندما يموت الملك".[٦]

ومع أن هذه الكتابات اعتمدت على الوثائق الأصلية في معظمها فإنها تفتقد إلى روح المؤرخ وبصماته في النقد والتحليل، ومع أنها كانت عاملا من عوامل النهضة الثقافية الحديثة، وبث الوعى لدى المواطنين بتاريخهم فإن أسلوبها الصحفي تغلب عليها.

٤- مجموعة الكتاب الشوام التي وفدت إلى مصر:

وهي التي تكونت من بعض الكتاب الشوام الذين جاء بعضهم إلى مصر فرارا من بطش الحكم العثماني، وجاء البعض الآخر إليها إما للدراسة أو التجارة، واستقروا فيها وساهموا في كتابة تاريخها بطريقة فعاله ومن هؤلاء "سليم النقاش" و"جرجى زيدان"، و"عبد الرحمن الكواكبى" و"محمد رشيد رضا" وغيرهم فكتب سليم النقاش مصر للمصريين الذى طبع في عام ١٨٨٤ والكتاب في جملته يعد من أهم المراجع التي تناولت الأزمة المصرية خلال الثورة العرابية خاصة وأن صاحبه كان شاهد عيان لمعظم أحداثها والجدير بالذكر أن سليم النقاش هاجم في الجزءين الخامس والسادس الثورة العرابية هجوما عنيفا وتطاول على زعمائها لدرجة أن تصوره البعض بأنه كان مأجورا من قبل وزارة الخارجية البريطانية. وكتب جرجى زيدان " بعض المؤلفات في تاريخ مصر الحديث وغيره نذكر منها " تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم[٧]" و "تاريخ التمدن الإسلامي"، و "تاريخ الماسونية العام" و"تراجم مشاهير

---

[١] نشرته أخبار اليوم ضمن سلسلة كتاب اليوم ١٩٨٠.

[٢] نشرته دار المعارف.

[٣] نشرته مؤسسة الأهرام.

[٤] نشرته مؤسسة الأهرام.

[٥] نشرته دار الشروق في مارس ١٩٨٧ وفيه اعتمد محسن محمد على أوراق قضية الاغتيال المحفوظة في متحف دار القضاء العالى وعلى غيرها من الوثائق.

[٦] نشرته دار التعاون.

[٧] طبع بمطبعة المقتطف في عام ١٨٨٩.

الشرق" في القرن التاسع عشر[١] و "التاريخ العام منذ الخليقة إلى الان" كما أن له العديد من الروايات التاريخية منها استبداد المماليك، و"المملوك الشارد" يضاف إلى ذلك أنه أصدر مجلة الهلال في أواخر عام ١٨٩٢ وتولى تحريرها بنفسه، وكتب فيها العديد من المقالات التاريخية التي تتبع فيها النهضة الأوربية الحديثة وتطورها وحاول التوفيق بين النظامين الأوروبى والعربي، والموائمة بين التاريخ العربي ومستقبل المدينة الحديثة.

ومع أن كتابات زيدان كانت ذات أثر في تنشيط الروح القومية والحياة الثقافية في مصر خاصة في الفترة ما بين الاحتلال البريطانى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى فإن بعض ما كتبه في تاريخ مصر يعوزه الدقة ويحتاج إلى التصويب.[٢]

وكتب عبد الرحمن الكواكبى ذلك الداعية المصلح الوافد على مصر عدة كتب من أبرزها "أم القرى" و "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " ذكر فيهما بأسلوبه المتحرر من المحسنات البديعية أفكاره الجريئة لتحرير المسلمين من قيود الحكام المستبدين فبسط في الأول رأيه في إصلاح ما أعوج من أمور الإسلام وجمع كلمة المسلمين. وجمعية أم القرى اسم أطلقه الكواكبى على مؤتمر عام تخيل انعقاده في مكة المكرمة، وجمع فيه مندوبون ينوبون عن أمم العالم الإسلامى في مشرقه ومغربه، وألقى على لسان كل منهم خطابا يشرح فيه أحوال المسلمين كما رآها في بلده وسمع عنها بالنسبة لبعض البلدان الإسلامية.

---

(١) نشرته مطبعة الهلال في عام ١٩٠٢ كما نشرت باقى مؤلفاته الأخرى، والجدير بالذكر أن لجرجى زيدان كتابا بعنوان مصر العثمانية ألفه في عام ١٩١١ ولم ير النور، وكان قد قدمه للجامعة المصرية وتقاضى مكافأة عنه، في نظير قيامه بتدريسه للطلاب ضمن مادة التاريخ الإسلامى ثم عدلت الجامعة عن ذلك خشية إن يدرس غير المسلم التاريخ الإسلامي.

(٢) من أبرز الأدلة على ذلك خلطه بين الكعبة المشرفة والحجرة النبوية، فذكر أن الوهابيين حين فتحوا الحجاز نهبوا الكعبة والحقيقة أنهم استولوا على ما كان في الحجرة النبوية من النفائس والأموال، فالكعبة لم يكن بها أموال حتى يستولوا عليها ومن المعروف أن محمد علي قد استرد بعض هذه الأموال أنظر ص ٢٢٩ من كتاب تاريخ مصر الحديث.

ولتفاصيل ذلك انظر مقالنا المنشور تحت عنوان "دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابات المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي.

وفي هذا المؤتمر أنكر الكواكبى الخلافة على آل عثمان ودعا إلى الخلافة العربية والكتاب في مجمله يتطرق إلى العلل التي أصابت الأمة الإسلامية والطريق الناجح لعلاجها.[١]

أما عن الكتاب الثاني[٢]والذى يعد أول صيحة انطلقت في المشرق العربي لإيقاظ النوام فقد أوضح فيه الكواكبى ماهية الاستبداد بقوله أنه " صفة الحكومة مطلقة العنان التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين " وأعلن أنه أراد بكتابه "تنبيه الغافلين لمورد الداء عسى أن يعرف الشرقيون أنهم المتسببون لما هم فيه"[٣] وهدد فيه الأمم التي لا تحسن سياسة نفسها بسيطرة أمة أخرى عليها بقوله "إذا لم تحسن أمة سياسة نفسها أذلها الله لأمة أخرى تحكمها كما تفعل الشرائع بإقامة القيم على القاصر أو السفيه[٤] يضاف إلى ذلك أن الكواكبى حصر مشكلة الأخلاق في موضع واحد خلاصته أنها "حرب إرادات بين الحاكم المطلق والرعايا المحكومين " وتمكن من حسم المشكلة بتقسيم الأخلاق إلى قسمين مختلفين قسم لمصلحة الحاكم المستبد والآخر لمصلحة الرعايا المحكومين فأوضح أن من مصلحة المستبد شيوع النفاق والتملق والريبة بين مواطنيه وتشجيع الأشرار على تنفيذ أغراضهم دون أي تبعة أو مساءلة، ومن آثار ذلك أضعاف ثقة الناس بأنفسهم وفقدهم ثقة بعضهم ببعض.[٥] والعلاج الناجح لذلك هو تعود الناس على الاشتراك في الرأي والتعاون على العمل فيرى الكواكبى أن حكم الاستبداد قد استفحل بين المسلمين بعد اهمالهم حياة الجماعة والمشاورة بين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.وأنه يجب أن يتنبه الناس إلى حقهم في

---

[١] نشر الكتاب في طبعات متلاحقها بعضها كان مبتورا، وبعضها أعيد فيه ما حذف منه.

[٢] لم يصرح الكواكبى باسمه على غلاف الكتاب بل استبدله بالرحالة "ك" وقد نشرت جريدة المؤيد بعض موضوعاته عندما زار الكواكبى مصر في عام ١٣١٨هـ في وقت كانت العلاقات بين قصرى يلدز وعابدين فاتره ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات أبرزها طبعة المكتبة التجارية الكبرى في عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.

[٣] من تصدر الكواكبى للكتاب.

[٤] طبائع الاستبداد ص ١٣٦.

[٥] للتفاصيل أنظر عباس العقاد: عبد الرحمن الكواكبى، القاهرة ، دار نهضة مصر، ص ٨١- ١٨٤.

الحياة الحرة الكريمة تحت ظلال حكم عادل لا طغيان فيه ولا استبداد. ولما كانت الموضوعات التي كتبها الكواكبى من الموضوعات المحرمة في ذلك الوقت خاصة أنها تمس أنظمة الحكم من قريب وتوضح للشعوب حقوقها، وتهيئها للمطالبة بها فقد استاء السلطان العثماني من هذه الكتابات وحظر نشرها داخل سلطنته. وعندما فارق الكواكبى الحياة في عام (١٣٢٠هـ ، ١٩٠٢م) اغتبط السلطان بموته وأراد القضاء على أفكاره بمصادرة مخطوطاته وكتاباته على حين أسف عليه كل من كان محبا لإصلاح أحوال العالم الإسلامي، ورأى فيه نموذجاً عزيز المنال لأولئك النوابغ الذين يضحون بكل ما يملكون من أجل أن يتحقق النجاح لمحاولاتهم الاصلاحية.

وكتب محمد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ذلك الرجل الفذ صاحب العمامة الأزهرية التي حسدتها الطرابيش وهابتها التيجان والبرانيط والذى كان يمثل معانى القوة في الحياة الإسلامية كلها، وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أن صاحبها كان تلميذا مقربا من الشيخ وأنه استطاع من خلال ذلك أن يجمع كل ما كتبه الشيخ عن نفسه وعن الثورة العرابية يضاف إلى ذلك أنه دون فيه مقاصد الشيخ وأغراضه وما جهر به للناس وما أسر به للمؤلف وحده.

٥ـ مجموعة الكتاب العسكريين :

وقد قدم معظم أصحابها معلومات هامة تعرضوا فيها لأحداث لم يتوفر لغيرهم معرفتها. كتبوها بصفتهم شهود عيان لها أو مشاركين في صنعها، فقدموا بذلك خدمات جليلة لتاريخنا المعاصر ومن أبرز هؤلاء "أحمد حمروش"، و "جمال حماد" و "محمد فوزي"، و "محمد عبد الغنى الجمسى"، ومحمد عبد الحليم أبو غزالة، ومحمد فيصل عبد المنعم، وأعضاء هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع وفيما يلي نعرض لبعض كتاباتهم.

كتب أحمد حمروش قصة ثورة ٢٣ يوليو في أربعة أجزاء كما كتب "من سيناء إلى الجولان".

وفي الدراسة الأولى ناقش فيها قصة الثورة مبينا أن الحديث عن مصر والعسكريين لا ينتهى بوصولهم إلى قمة السلطة ولكنه يبدأ، وأن سنوات الصدام التي انتهت بالقضاء على الأحزاب القديمة واعتقال الشيوعيين وحل الاخوان المسلمين وعزل محمد نجيب لا تظهر الدور الذى قام به العسكريون في بناء المجتمع المصري ولكنها تؤجله وأن عبد الناصر لم يلعب دوره كاملا إلا بعد تغلب مجلس قيادة الثورة على خصومه وانفراد عبد الناصر بالسلطة وكسب ثقة الجماهير، ثم بدأت سنوات الصعود وتجلت المواقف الوطنية وأحس عبد الناصر أن قصة الثورة لا تكتمل داخل حدود مصر وأن تأثيرها التاريخى لا يقتصر على الشعب المصري ومن أجل ذلك قام بتأييد حركات التحرر العربي، وسعى من أجل تحقيق الوحدة العربية.

وأبرز ما في هذه الدراسة أن صاحبها استقى مادتها من أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعض الضباط الأحرار والمسئولين وأنه كتبها من منطق تقدمى في فهم حركة التاريخ. وإلى جانب ذلك كتب حمروش دراسة مطولة بعنوان "من سيناء إلى الجولان" تحدث فيها عن تطورات الصراع العربي الإسرائيلي وأبرز ما يميزها الجهد المبذول فيها خاصة من الناحية التحليلية.

أما عن دور هيئة البحوث التاريخية فيتضح فيما تصدره من دراسات توضح فيها الدروس المستفادة من الحملات العسكرية أو الحروب التي خاضها الجيش المصري وأبرز الأمثلة على ذلك إصدارها لدراسة هامة بعنوان "حرب العدوان الثلاثى على مصر – خريف ١٩٥٦" والتي حصلت على مادتها من الوثائق المصرية خاصة العسكرية التى لم تتوفر لأحد غيرها منها مثل وثائق مسرح العمليات، والوثائق الخاصة بالخطط الدفاعية وهذا ما لا يتيسر الاطلاع عليه سوى للعسكريين هذا إلى جانب رجوعها للمصادر الاسرائيلية وغيرها مما يشكل رؤية رسمية لحرب العدوان الثلاثى على مصر.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في التفاصيل الدقيقة الخاصة بالمعارك والمستندة على وثائق وخرائط وجداول وتقارير أرشيفية وشهادات وتصريحات للمسئولين والسياسيين

والعسكريين خلال فترة الحرب مما يجعلها مصدرا رئيسيا لكل من يتعرض لهذه الحرب بالدراسة بصفة خاصة ولتاريخ مصر في النصف الثانى من القرن العشرين بصفة عامة.

وبعد أن عرضنا لمدرسة الهواة من المؤرخين نستطيع أن نذكر أنه على الرغم من كل الجهود الطيبة التي بذلها هؤلاء في كتابه تاريخ مصر، وبالرغم من أنه يحلو للكثيرين من المثقفين الكتابة في التاريخ والغوص في أعماقه فإن ذلك لا يعنى أن كل من يحاول الكتابة في التاريخ يصبح مؤرخا بل لابد أن يتوافر فيمن يكتب التاريخ من الصفات والاستعدادات والظروف التي تؤهله للقيام بهذا العمل خاصة وان الدراسات التاريخية الحقة ليس من السهل كتابتها وقد كان "تولستوى" على حق حين ذكر في رائعته " الحرب والسلام" أن التاريخ هو دراسة حياة الشعوب والبشر، وان الامساك بهذه الحياة ووضعها في كلمات أمر صعب بل قد يكون مستحيلاً.

وعلى أي حال فقد سارت الكتابات التاريخية على النحو الذى تعرضنا له حتى برزت المدرسة التاريخية الأكاديمية التي قامت بتمصير التاريخ المصري، ودراسته بطريقة علمية واضحة المعالم.

الفصل الثالث

الاتجاهات الأكاديمية بالمدرسة التاريخية الوطنية

***سيطرة الأجانب على الدراسات التاريخية في الجامعة المصرية * بوادر ظهور مدرسة وطنية مصرية (محمد رفعت – صبرى السربونى – شفيق غربال) * تشعب اتجاهات الدراسات الأكاديمية * تيار دور الصفوة أو البطل في التاريخ * اتجاه مدرسة رانكة * تيار مدرسة التاريخ الاجتماعى بجوانبه المتعددة * تيار المدرسة التفسيرية * اتجاه مدرسة التفسير الاسلامي للتاريخ * تيار دراسة التاريخ الأوروبى * دور الجمعية التاريخية في تنظيم هذه الدراسات وتشجيعها**

في الثلث الأول من القرن الماضى، وبعد افتتاح الجامعة المصرية الحكومية في عام ١٩٢٥ سارت المدرسة التاريخية المصرية – مثل غيرها من المدارس – في ركاب الأجانب لفترة وكانت اللغات الأجنبية خاصة الانجليزية والفرنسية بمثابة الوسيلة الأساسية للتعليم العالى وغيره[١] وقد اجتمع بالجامعة إذ ذاك فريق من العلماء الأجانب يحاضرون بلغتهم الاصلية نذكر من هؤلاء بروفسور "سانياك" الذى كان يحاضر في التاريخ الحديث باللغة الفرنسية والبروفسور جراندور الذى حاضر في التاريخ القديم، وبروفسور كوبلاند الذى ألقى محاضراته بالانجليزية في تاريخ العصور الوسطى وغيرهم من الأساتذة الذين وفدوا على مصر من الجامعات الأوربية واحتلوا معظم كراسى التدريس بالجامعة.

---

[١] كان اللغة الانجليزية هي لغة التعليم في المدارس الثانوية، وقد أهملت سلطات الاحتلال تدريس التاريخ خشية العمل على تنمية الشعور القومى، وكان مقرر التاريخ بالمدارس يشمل عددا من الموضوعات عن الامبراطورية البريطانية وأمجادها وقد عبرت الصحف الوطنية كما عبر مجلس شورى القوانين عن الشكوى من سياسة الاحتلال التعليمية للتفاصيل أنظر Artin.y. consideration sur L'instruction Public en Egypte. Le caire 1894 PP. 95 – 102 والمؤيد في ٢٥ يوليو ١٨٩٩، ٢ يناير ١٩٠٠، ١٨ ديسمبر ١٩٠٦ وأنظر أيضاً محاضر جلسات مجلس شورى القوانين ١٨٩٥، ١٩٠٢، ١٩٠٧.

يضاف إلى ذلك أن رئيس قسم التاريخ بالجامعة المصرية حتى عام ١٩٣٦ كان أجنبيا وكان الأساتذة المصريون يحاولون شق طريقهم إلى كراسى الأستاذية بصعوبة بالغة.[١]

وظل الحال على ذلك حتى بدأت تلوح في الأفق بوادر مدرسة وطنية مصرية عندما عاد " محمد رفعت" من جامعة "ليفربول" بانجلترا إلى مصر حاملا رسالته للماجستير وكان ذلك قرب نهايات الحرب العالمية الأولى وعاد "محمد صبرى" السربونى من باريس في عام ١٩٢٤ حاملا رسالته للدكتوراه. وعاد "محمد شفيق غربال" من ليفربول ومعه رسالته للماجستير في عام ١٩٢٤ ايضا، وبدأ كل منهم يؤدى دوره في خدمة تاريخ وطنه. أما الأول فقد أسهم بطريقة فعالة في حركة تعريف المقررات التاريخية وتطوير الكتب التاريخية بوزارة المعارف حتى تم وضع القبس الأول الذى اهتدى بضوئه الطلاب والكتاب.[٢] وبالنسبة الثانى فقد تقلب على العديد من المناصب الحكومية ولم تتح له الفرصة للإسهام في عملية بناء المدرسة التاريخية الوطنية وإن كانت مؤلفاته خير شاهد على نبوغه. أما الثالث فقد وضعته الظروف في منصب الاستاذية في الجامعة المصرية خلفا للأستاذ الانجليزي جرانت[٣] Grant وتمكن المصريون بفضل علمه ومثابرته من إقامة مدرستهم التاريخية الأكاديمية ومن هنا بدأت عملية تمصير التاريخ المصرى وتكوين المدرسة التاريخية المصرية التي ما زالت اشعاعاتها باقية حتى الآن والتي صار للمؤرخين المصريين فيها ولأول مرة وجهة نظر مصرية في كتاباتهم ومع ذلك فالسؤال المطروح هو لماذا لم تتوحد جهود "غربال" مع صبرى السربونى خلال قيامه بتمصير مدرسة التاريخ المصري، وكان من الممكن أن يؤدى ذلك إلى الاسراع بهذه المدرسة خطوات إلى الأمام، ولماذا تحمل غربال المسئولية

---

(١) المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ ص ١٢ علما بأن أبرز من تولى رئاسة قسم التاريخ من الانجليز المؤرخ جرانت ومن الفرنسيين سانياك.

(٢) المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ ص٧.

(٣) من أشهر مؤلفاته كتاب أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين Europe in the Nineteenth and twenthieth Centuries.

وحده وارتفع نجمه بينما توارى نجم السربونى وعاش معظم حياته في الحكومة مبعدا عن وظائف التدريس في الجامعة؟

الواقع أن "صبرى السربونى" أقدم في حقل الدراسات التاريخية من "غربال" فقد حصل على دكتوراه الدولة من جامعة السربون بينما لم يحصل غربال إلا على الماجستير وعمل كلاهما في "مدرسة المعلمين العليا" بعد عودته إلى مصر وبعدها ارتفع نجم غربال وأفل نجم السربونى.

يرجع البعض ذلك إلى أن غربال كان يجنح إلى مجاملة أسرة محمد علي ليكسب عطفهم، ويضمن البقاء في وظيفة محترمة كما أنه كان ينفذ أوامر الملك في شئون التعليم والتي تنحصر في معارضة كل توسع في انشاء المدارس والمعاهد يضاف إلى ذلك أنه طمع فى الاستزادة من عطف الملك فاروق فألف كتابا عن محمد علي في عام ١٩٤٤، ولم تكن المكتبة العربية في حاجة إلى مثل هذا الكتاب لكثرة المؤلفات عن ذلك الموضوع في هذه الفترة[١] وفي هذا الكتاب دافع غربال عن كل أعمال محمد علي دفاعا لا يستند إلى الموضوعية في بعض الأحيان خاصة وإن بعض المؤرخين ومنهم "عبد الرحمن الجبرتى" انتقدوا العديد من أعماله التي كانت شديدة الوطأة على الشعب المصري.

حقيقة أن معظم المؤرخين يتفقون على أن محمد علي مؤسس مصر الحديثة إلا أنهم لم يكونوا راضين عن كل أعماله كما فعل غربال وقد أوضح الدكتور "أحمد عبد الرحيم مصطفى" ذلك في مقدمته لكتاب محمد علي الكبير[٢] وضرب العديد من الأمثلة نذكر منها.

١- أنه بالرغم من احتقار محمد علي وحاشيته لأبناء البلاد الذين قاسوا الكثير من السخرة والاحتكار والكرباج فان غربال أشاد بترقية المصريين من تحت السلاح

---

[١] محمد سيد كيلاني: السلطان حسين كامل – فترة مظلمة في تاريخ مصر، القاهرة، ١٩٦٣ ص ١٧- ٢٠.

[٢] محمد شفيق غربال: محمد علي الكبير، الهلال، العدد ٤٣٠ في أكتوبر ١٩٨٦ ص ٩ – ١٨.

في الجيش وبرر خلو وظائف القيادة في الجيش المصري في عهده من المصريين بعدم الإقبال من أبناء الطبقة الوسطى المصرية على احتراف العسكرية، وتجاهل نزوع محمد علي، وارستقراطيته التركيه إلى إبعاد هذه العناصر عن المواقع القيادية.

٢- أشار غربال إلى أن "محمد علي" كان يمقت المذابح ويستنكر الوحشية والقوة بكل مظاهرها مع أنه يتحمل مسئولية مذبحة المماليك في القلعة، كما يتحمل تصفية خصومه من الزعامات الدينية، وعلى رأسها عمر مكرم.

٣- يذكر غربال أن محمد علي كان شخصية مشرقة في حالتى الرضا والغضب، وأنه شخصية انسانية رقيقة الحس، ونحن نرى في ذلك مبالغة إلى حد كبير.

وعلى أي حال فقد كان من واجب "غربال" كرائد ومؤسس للمدرسة التاريخية في مصر أن تتسم كتاباته عن "محمد علي" بالموضوعية فيشيد بأعماله في محل الاشادة بها وينتقد بعض أعماله في مواضع أخرى[١] هذا على حين أن "السربونى" كان مكروها من القصر الملكي، ومن الحكومة التي التجأ إلى القضاء ضدها أكثر من مرة لا نصافه منها. يضاف إلى ذلك أن السربونى كان يرغب في العمل منفرداً ودون مشاركة أحد له، وأبرز الأمثلة على ذلك أنه حين طلب منه أن يشترك مع غربال في وضع بحث عن القضية السودانية تحقيقا لرغبة "محمود فهمى النقراشى" رئيس الحكومة في ذلك الوقت اعتذر عن ذلك بحجة أنه اعتاد العمل مستقلا وأعرب عن استعداده للقيام بهذا العمل منفردا، وانتهى الأمر بتكليفه بهذا العمل[٢] وإلى جانب ذلك فان طباع غربال التي تتميز بالدماثة والنبل كانت تختلف عن طباع السربونى التي تتسم بالخشونة، ومحاولة أخذ الأمور عنوة واقتدارا في العديد من الأحيان كل ذلك جعل التعاون بين الرجلين في مجال

---

[١] محمد شفيق غربال: المرجع السابق ص ١٦٠.

[٢] أحمد حسين الطماوى: صبرى السربونى – سيرة تاريخية وصورة حياة، القاهرة، أعلام العرب ١٩٨٦ ص ١٣٠ – ١٣١.

تمصير الدراسات التاريخية وتأسيس مدرسة وطنية لكتابة التاريخ المصري صعبا ان لم يكن مستحيلا.

وعلى اي حال فقد تشبعت المدرسة التاريخية الأكاديمية في مصر إلى عدة اتجاهات أو تيارات خاصة وان بعض أفرادها درس في الجامعات الأوربية وتشبع بآراء أساتذتها على مختلف اتجاهاتهم ودرس البعض الاخر في الجامعات المصرية وقام بمسايرة الاتجاهات الحديثة في الدراسات التاريخية وفيما يلي نعرض لذلك :

١- تيار مدرسة نظرية الفرد أو البطل (دور الصفوة المتميزة في تفسير التاريخ) ويرى أصحاب هذه المدرسة التي تزعمها الأديب الإنجليزي توماس كارليل Tomas Carlyle أن الزعماء وعظماء الرجال قد اصطفاهم الله وأرسلهم إلى البشر لهدايتهم، والأخذ بيدهم وأن تاريخ العالم هو في أساسه تاريخ عظماء الرجال الذين حققوه بعملهم وأنه لا غنى لسواد الناس عن الأبطال في كل زمن وعصر وخاصة وأن البطل يُعد بمثابة القوة المحركة للتاريخ، كما أن التاريخ في نظره كالعربة، والعربة تجرها خيول، والخيول هم أبطال التاريخ.

وقد ساير هذا التيار "محمد رفعت"، و "محمد صبرى " ومحمد شفيق غربال وحسن عثمان وأحمد عزت عبد الكريم علما: بأن تصنيفهم ضمن هذا التيار لا يعنى أن كل ما كتبوه دافعوا فيه عن دور الصفوة ولكن أغلبه كان كذلك وفيما يلي نعرض لدور كل منهم في هذا الاتجاه:

أولاً : محمد رفعت:

بعد أن أرسلته نظارة المعارف المصرية إلى جامعة ليفربول بإنجلترا قبل قيام الحرب العالمية الأولى بقليل، وذلك للحصول على درجة الماجستير قام بدراسة الوثائق الخاصة بحالة مصر في عهد محمد علي، كما بدأ في نشر أبحاثه التي يرجع البدء فيها إلى أيام دراسته وتردده على مكتبة المتحف البريطاني ودار سجلات الحكومة بلندن

خاصة سجلات وزارة الخارجية البريطانية.[1] وبعد أن تمكن محمد رفعت من الحصول على درجة الماجستير قرب انتهاء الحرب الأولى[2] عاد إلى مصر وتقلد العديد من المناصب في وزارة المعارف تمكن في أثنائها من تعريب المقررات التاريخية في الكتب المدرسية، والنهوض بالبحوث التاريخية داخل وزارة المعارف، فكانت الكتب التي وضعها بمثابة القبس الأول الذى اهتدى بضوئه الطلاب، وكانت المعلم الأول الذى لقن شباب الجيل، ورجال المستقبل دروسهم الأولى.[3]

ومن أبرز هذه الكتب كتاب "تاريخ مصر السياسى في الأزمنة الحديثة"[4] الذى ظل مقررا على طلاب مدرسة المعلمين العليا لفترة ثم على طلاب المرحلة الثانوية إلى أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.[5]

وقد أوضح الأستاذ رفعت في مقدمته لهذا الكتاب أنه توخى الأسلوب السهل والطريقة العلمية التي تهدف إلى "الوحدة التاريخية، واتجاه السياسة العامة وربط الأسباب بالمسببات، وإغفال التفاصيل المملة وإبداء النقد على حسب الحقائق المقررة لا على حسب ما تمليه العواطف وهنا الفرق كل الفرق بين المؤرخ الذى يحب أن يكتب ويبحث لأجل الحقيقة وبين السياسى الذى يكتب ويجادل إرضاءً لعواطفه الخاصة " كما أوضح أن الهدف من تأليفه الكتاب هو أن يفى " بحاجة المتعلمين إلى كتاب في التاريخ على الطرق العلمية الحديثة، وأن يتقدم العاملون للبحث والكتابة العلمية الحديثة في موضوعاتهم التاريخية". والكتاب في مجمله يبدأ بالحملة الفرنسية على مصر في يوليو

---

(١) أنظر كتابه تاريخ مصر السياسى في الأزمنة الحديثة، الجزء الأول من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٤١ ميلادية، القاهرة، مطبعة الشعب ١٩٢٠ (المقدمة).

(٢) المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ ص٧ تحت عنوان كلمة الاستاذ محمد رفعت.

(٣) حول ذلك الموضوع أنظر الدراسة التي قدمها الدكتور علي بركات في قضايا فكرية ١٩٩٢ تحت عنوان "التاريخ وقضايا المنهج في مصر المعاصرة – دراسة في منهج بعض المؤرخين المصريين من جيل الرواد ص ٧٦.

(٤) الكتاب في جزأين نشرت مطبعة الشعب الجزء الأول منه عام ١٩٢٠.

(٥) أبو الفتوح رضوان: المرجع السابق ص ١٤٧.

١٧٩٨ وينتهي بالأزمة السياسية التي حدثت بين مصر والدولة العثمانية في عام ١٨٤٠ واتفاق الدول الأوربية ضد محمد علي، ويركز على النهضة التي أحدثها محمد علي في مصر.

ومما يبرز تأثر الأستاذ رفعت بتيار نظرية الرجل العظيم في تفسير التاريخ قوله عندما تعرض للحديث عن محمد علي أنه ولد في نفس السنة التي ولد فيها ولنجتون ونابليون وغيره،[1] وقوله عن الخديوي إسماعيل بأن ما قام به يعد عنوان فخر لكل مصري، يضاف إلى ذلك أنه شبه الخديوى توفيق بالملك الفرنسى لويس السادس عشر في عدم مسؤوليته عن الحوادث التي عاصرها، وإن اتهامه بالخيانة ظلم له وللتاريخ على حين نجده يتهم ثورة عرابى بأنها نقطة سوداء في تاريخ البلاد.

وللأستاذ رفعت مجموعة أخرى من الكتب والمقالات غير الكتاب الذى تعرضنا له نذكر منها كتابا بالانجليزية عنوانه "The awakening of Modern Egypt" اليقظة القومية في مصر الحديثة"، وقد تمت طباعته في لندن عن طريقة مؤسسة Long mans وهذا الكتاب يعد من الكتب القليلة التي كتبت في تاريخ مصر بلغة إنجليزية من وجهة نظر أستاذ مصري متخصص لقراء أجانب، وفيه أبرز المؤلف وجهة النظر المصرية تجاه الأحداث التي مرت بها مصر منذ الحملة الفرنسية عليها في عام ١٧٩٨ وحتى الاحتلال البريطانى في عام ١٨٨٢م. والكتاب في مجمله يحوى آراء صائبة، ونظرة موضوعية للعديد من الأمور التي استعرضها المؤلف مستعينا بالعديد من المصادر العربية والأجنبية.

وإلى جانب ذلك ألف الأستاذ رفعت كتابا بعنوان "التيارات السياسية في حوض البحر المتوسط " نشرته لجنة البيان العربي في عام ١٩٤٩. وهو عبارة عن بحوث سياسية تعالج التطورات التاريخية والعلاقات الدولية بين شعوب البحر المتوسط ودوله. كما ألف كتابا آخر بعنوان "التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة "نشرته دار المعارف

---

[1] أنظر تاريخ مصر السياسي جـ١ الفصل الثالث تحت عنوان نهضة محمد علي ص ٣٣.

في عام ١٩٦٤ وقد عالج فيه تطور الفكرة العربية في مراحلها المختلفة وما صاحبها من نجاح أو اخفاق، وأبرز أدوار النضال المتواصل من أجل تحقيقها في مختلف المواطن، كما تناول الكتاب حركات التحرر في الوطن العربي ضد الاستعمار وتبنى مصر للفكرة العربية.

وللأستاذ رفعت مقالات تاريخية في مجلة الكاتب المصرى التي خصصت له موضوعا منفردا تحت عنوان "في أفق السياسة العالمية" فكتب فيه العديد من المقالات منها "اليونان بين الملكية والجمهورية"(١) و "بين روسيا والولايات المتحدة"(٢) و " أمريكا والشرق الأقصى "(٣) و " مشكلة الهند".(٤)

وفي المجلدين الخامس والسادس لعام ١٩٤٧ كتب الاستاذ رفعت "حديث الامبراطورية البريطانية" و "ايطاليا والبحر المتوسط" و "الحركة الوطنية في ليبيا" و "مصر والسودان".

وكتب في المجلد السابع لنفس العام "اسبانيا بعد الحرب" و "الهند بين الوحدة والتقسيم" و "في هيئة الأمم المتحدة" و "الحرب الباردة والقنبلة الذرية " و "مأساة ألمانيا" وكتب في المجلد الثامن لعام ١٩٤٨ بين "هولندة وأندونيسيا" و "اتحاد الأراضى المنخفضة أو البنلكس " و "سياسة الدول في الشرق الأوسط" و "مشكلة تريستا والبحر الادرياتى".

ولاشك أن هذه الكتابات وغيرها أثبتت المام الأستاذ رفعت الواسع بالعديد من الموضوعات، وإن كان معظمها قد تركز حول دور الصفوة المتميزة في صناعة التاريخ فإن بعضها ركز على مجموعة من الموضوعات الخاصة بالعلاقات الدولية، وبالحركات الوطنية والتحررية وبعض النواحى الاجتماعية والاقتصادية.

---

(١) انظر المجلد الرابع لعام ١٩٤٦ ص ٢٩ – ٣٩.
(٢) نفس المجلد ص ٢٢٤ – ٢٣٣.
(٣) نفس المجلد ص ٤١٤ – ٤٢٤.
(٤) نفس المجلد ص ٥٨٤ – ٥٩٧.

ثانيا: محمد صبري السربونى:[١]

بعد أن حصل السربونى على دكتوراه الدولة من جامعة السربون عاد إلى مصر، ولكنه لم يعمل في سلك التعليم الجامعى طويلا ومع ذلك فقد قدم لتاريخ مصر الحديث خدمات جلية فكتاباته عن الحركة القومية المصرية والتي كانت في معظمها بالفرنسية تعد ذات دلالات خاصة بالنسبة لتاريخنا الوطنى فعندما تعرض لنشأة الروح القومية في مصر ذكر أنها لم تبدأ مع الحملة الفرنسية كما يزعم الكثيرون بل ترجع إلى حركة على بك الكبير الذى أعلن انفصال مصر عن الدولة العثمانية، ويبدو إدراك السربونى لأهمية دراسة التاريخ في رفع الوعى لدى المواطنين انه ربط بين استمرار ثورة ١٩١٩ وكتابة تاريخ مصر، كما أن انبهاره بقيادة سعد زغلول قد حدد له رؤيته لفلسفة التاريخ فتأثر بنظرية دور الرجل العظيم في تفسير التاريخ لذلك نجده يركز على دور الزعامات ويبدو ذلك واضحا فيما كتبه عن محمد علي واسماعيل وعرابى وسعد زغلول وغيرهم، ولا يعنى ذلك أن كل كتاباته اقتصرت على هذا الدور فحسب بل تطرق في بعضها إلى النواحى الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المصري وإن كان دور الصفوة المميزة ظل مسيطراً عليها.[٢]

ثالثا: محمد شفيق غربال:[٣]

بدأ غربال يتصدى لتحليل أحداث وطنه تحليلا موضوعيا انتقاديا لا يقل أصالة ومقدرة عن أفضل المستويات التاريخية في أوربا من ناحية عمق البحث والتحليل، وقد ساعده على ذلك تمكنه من أصول فن التاريخ وإدراكه الواعى لحقائق تاريخ وطنه، وحبه العجيب للاطلاع في شتى فروع المعرفة الانسانية وإيمانه الصادق بحرية الفكر.

ومع أن غربال قد تأثر بفلسفة أستاذه المؤرخ الانجليزي "ارنولد توينبى" في ربط تفسير التطور التاريخى بدور الصفوة المتميزة في مجالات النشاط البشري،

---

[١] عن تفاصيل حياته وأعماله انظر الفصل الخامس.

[٢] بركات : الدراسة السابقة ص ٧٧.

[٣] عن تفاصيل دور غربال ومدرسته انظر الفصل الخامس ١٥٩ – ١٧٠.

وبنظرية " التحدى والاستجابة" Challenge and Response التى ترى أن تاريخ كل أمة من الأمم انما هو استجابة لتحدي الظروف التي وجدت فيها، وأن الحياة ذاتها تعد بمثابة تحد للكائن الحي، ومحاولات هذا الكائن التغلب عليها استجابة لذلك التحدى فإنه وإن كان قد ركز على دور الفرد في صناعة الأحداث بدفاعه عن كل أعمال محمد على وبكتاباته الاخرى عن دور الزعماء والقادة في تاريخ الأمم وفي أحاديثه الإذاعية[1] فإنه لم يتمسك في بعض كتاباته بهذا التفسير خاصة وأنه كان يؤمن ايمانا صادقا بحرية الفكر وباختلاف منابع الثقافة، وهذا ما غرسه غربال في تلاميذه فقد رفض سياسة صب القوالب والتقليد وتمسك بتوجيه ملكات طلابه وقدراتهم كل على حسب امكاناته ودفعهم إلى مضاعفة جهدهم ودأبهم في البحث، وهو جانب مهم في الأستاذ الجامعي الذي يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه.

ومع أن مدرسة غربال قد نجحت في تمصير حركة التاريخ المصري فإنها ظلت بعيدة عن الاتجاهات الجماهيرية ومفاهيم الفكر الاشتراكى خاصة وأن غربال كان يرى أن نظرة المؤرخ تختلف عن نظره الرجل الذى يعيش في غمرة الأحداث ويعايش تطوراتها، فهو ينظر إليها" نظرة الناقد وربما الناقد الذى يرى الأحداث من بعيد.[2]

والخلاصة أن غربال ترك مدرسة وإن كانت متعددة المعالم عريضة الخطوط فإن أبرز سماتها أنها ركزت على دور الفرد في صناعة الاحداث ، وقد تبنى هذه المدرسة في مرحلة من المراحل الدكتور عزت عبد الكريم الذى كان يكن لأستاذه شفيق غربال كل مودة وتقدير واحترام، والذى تشبع بمنهجه في فلسفة التاريخ وتعميق أحكامه.

رابعاً: أحمد عزت عبد الكريم:

ظل "عزت عبد الكريم" طوال حياته صورة رائعة من صور الوفاء لأستاذه " شفيق غربال" إذ حفظ له حقوق الأستاذية عليه كما سايره في صبره وجلده من خلال

---

(1) تعرض غربال في أحاديثه بالإذاعة المصرية عن أدوار بعض المفكرين والزعماء أمثال جمال الدين الأفغانى، وسقراط، والمعرى وابن تيمية وغيرهم.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى: "شفيق غربال مورخا" مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الحادى عشر ١٩٦٣ ص٢٦١.

إشرافه على طلاب الدراسات العليا فكان معهم مثل الاب الذى يحنو على أولاده ويتفقدهم ويمد لهم يد العون إذا شعر أن شيئا ما يعوق تقدمهم.(١)

لقد اعتبر عزت عبد الكريم تلاميذه بمثابة أولاده الذين إن لم تربطهم به صلة الدم والنسب فقد كانت تربطه بهم رابطة الفكر والعقل والعلم، فكان يشجع المجتهد منهم ولا يبخل بوقته على الآخر فيأخذ بيده حتى يدركه الصواب.

ومما كتبه عزت عبد الكريم في رسالتيه للماجستير والدكتوراه يتضح مسايرة منهجه لمنهج استاذه في التركيز على دور الفرد في صناعة الأحداث كما يتضح أيضا مسايرته في بعض الاحيان لمنهج التاريخ الاجتماعى الوصفى ففي دراسته "تاريخ التعليم في عصر محمد علي" أوضح فضل محمد علي في جعل مصر من الأمم الناهضة فذكر أن مصر أجدر الأمم بأن تذكر على الدوام فضل محمد علي مؤسس نهضتها " فبفضله تبوأت مصر مقاما عليا بين الدول، وأخذت بأسباب القوة والحضارة، وكان التعليم من أهم اصلاحاته الخالدة على مر الزمن".(٢)

وفي دراسته تاريخ التعليم في عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل نجده يساير نفس المنهج فيرجع نهضة مصر الحديثة إلى محمد علي وأفراد أسرته فذكر " أن مصر مدينة بنهضتها الحالية في شتى مرافق حياتها إلى .. محمد علي الكبير فقد أرسى قواعد النهضة وشاد البناء على أساس متين من قوة الحديد والعلم والمال حتى إذا تولى أمر مصر الخديوي إسماعيل قوّم البناء وأصلح معطوبه .. ووصلت مصر بفضله إلى مصاف الدولة المستنيرة الكبرى.(٣)

وقد ساير الدكتور عزت عبد الكريم هذا الاتجاه فترة ثم تبعه باتجاهات اخرى في الدراسات التاريخية خاصة وأنه كان متفتحا على كل جديد فكتب في تاريخ أوربا

---

(١) عن تفاصيل حياته وأعماله انظر الفصل الخامس.

(٢) انظر تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٣٨.

(٣) انظر تاريخ التعليم في مصر – عصر عباس وسعيد، القاهرة مطبعة النصر ١٩٤٥.

الاقتصادى وفي تاريخ العرب الحديث والمعاصر كما شجع تلاميذه على طرق مجالات جديدة في دراساتهم مثل الكتابة في تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعي وغيره.

خامساً: الدكتور عبد الحميد محمد البطريق:[١]

كان رفيقا لعزت عبد الكريم منذ الصبا، وتوطدت الصداقه بينهما نتيجة لتتلمذهما على شفيق غربال، ونتيجة لعملهما أيضا في حقل التعليم الجامعي. ويبرز اتجاه الدكتور البطريق في التركيز على دور الفرد أو البطل في صناعة الأحداث في رسالته للماجستير عن "محمد في بلاد العرب"، وفي دراسته المعنونة "إبراهيم باشا في بلاد العرب"[٢] والذى أوضح فيهما تاريخ كل من الرجلين في الجزيرة العربية، وعلاقة ابراهيم بأبيه القائمة على الاخلاص والوفاء، ودور إبراهيم في توطيد الحكم المصري في بلاد العرب ، وتأمين السكان على أموالهم وأملاكهم.

وسارت نظرية كتابه تاريخ دور الفرد المتميز تتقدم أحيانا وتتهاوى في أحيان أخرى حتى وجه الدكتور "أحمد عبد الرحيم مصطفى[٣] طلابه في الدراسات العليا بتجنب إضفاء هالات البطولة والتقديس على الزعماء، والابتعاد عن سراب العبقريات خاصة وأن الشعوب هي التي تصنع الأحداث، وأن أي زعيم مهما كان دوره فهو لا ينشأ من فراغ، بل أن شعبه هو الذى يصنعه وهو الذى يرفعه على كتفيه ليهتف بأفكاره لذلك يجب وضعه تحت المنظار التاريخي لدراسته وتقييمه بشكل علمي. ومن أبرز طلابه الذين سايروا هذا الاتجاه الدكتور "عبد الخالق لاشين" الذى كتب رسالته للماجستير "سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤"[٤] ورسالته للدكتوراه "سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية".[٥]

---

[١] حول تفاصيل حياته وأعماله انظر الفصل السادس.

[٢] عبد الحميد البطريق : إبراهيم باشا في بلاد العرب دراسة منشورة ضمن كتاب ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا الذى أصدرته الجمعية الملكية للدراسات التاريخية في عام ١٩٤٨ ص ٣ ـ ٣١.

[٣] حول دوره في تطوير الحركة التاريخية انظر الفصل السادس.

[٤] نشرته دار المعارف في عام ١٩٧١.

[٥] نشرته دار العودة بيروت في عام ١٩٧٥.

وفي هاتين الدراستين عالج لاشين دور سعد زغلول بطريقة لم ترض الكثيرين ممن وضعوا هالات البطولة والتقديس على هذا الزعيم المصري مما جعلهم يثيرون الضجة حول ما كتبه بحجة أنه تطاول على أحد أبطال مصر القوميين.

وقد رد عليهم الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى " بقوله " قيل أن لاشين قد تطاول على المقدسات ومس تاريخنا القومي مسا غير رقيق، وكأن هذا التاريخ حكر على حملة المباخر وصانعي الطغاه .. وكأن أبطالنا القوميين من فئة الصحابة والقديسين الذى لا يصح أن يتطاول أحد على نبش قبورهم". كما أوضح أن الدول الناضجة في فكرها تقوّم زعماءها تقويما موضوعيا ولا تحكم عليهم بحسب مقتضى الحال، والشعوب القاصرة فقط هي التي ترى "إن التاريخ إن هو إلا سجل للأبطال، وأن الشعوب ليست سوى قطعان غنم " وطالب بالتزام "النظرة العلمية التي هي عاصمنا من الزلات الكبار وبالا نجرى وراء سراب العبقريات والفلتات التاريخبة وصانعي المعجزات"[1] خاصة أن الزعيم ليس سوى شخص يعبر عن إرادة شعبه وأن المجتمع الذي يفرز زعماءه قادر على أن يفرز الكثيرين وإلى جانب ذلك فقد أوضح الدكتور لاشين أن هدفه من دراسة سعد زغلول هو تقييم دور الفرد في صياغة الحركة التاريخية. وقد اتضح له "إلى أى مدى ثبت افلاس دور الفرد كبطل عظيم في خلق تلك الحركة التاريخية".[2] وعلى أي حال فان أصحاب مدرسة دور الصفوة المتميزة كانوا روادا تميزوا بسعة الأفق والثقافة، وكَوّنوا ما يمكن أن نطلق عليه الارستقراطية الفكرية، فشعورهم بذواتهم وتفرد ثقافتهم ومناهجهم، وقلة اعدادهم ودورهم في تمصير حركة التاريخ المصري في الجامعة كل ذلك خلع عليهم أهمية خاصة وغيره. ونتيجة لذلك انعزل غربال وغيره من أصحاب هذه المدرسة عن دراسة الاتجاهات الجماهيرية، وازداد يقينهم باتجاه قدرة الفرد المتميز في إيجاد الحلول لمجتمعه وبأن الزعامات الفردية هي الوسيلة المثلى لإصلاح مجتمعاتهم، خاصة وأنها تمتلك مقاليد القوة بفضل قدراتها التنظيمية وتقديرها الدقيق لمصادر القوة

---

(١) أنظر تقديم الكتاب ص ٧ – ٨.

(٢) أنظر المقدمة ص ١٣.

في المجتمع ومع ذلك فإن أفراد هذه المدرسة لم يكونوا جامدين في مواقفهم بل أشاروا إلى الخطوط العريضة التي يمكن لتلاميذهم أن ينتهجوها[١] يضاف إلى ذلك أنهم في كتاباتهم لم يتجاهلوا التفاعل المتبادل بين الصفوة والمجتمع الذى يعيشون فيه، وأن تمسكوا بتغليب صورة البطل في التاريخ.

اتجاه مدرسة رانكه Ranke:

وصاحب هذه المدرسة هو المؤرخ الألماني "ليوبولد فون رانكه " Leopold Von Ranke الذى يرى أن "الصرامة في تقديم الحقائق التاريخية هي القانون الأسمى في كتابة التاريخ " وأنه يجب على المؤرخ أن يعتمد على المصادر المعاصرة في إعادة تصوير الماضى "كما حدث بالضبط"[٢] خاصة وأنه يرى أن المؤرخ لا يجب أن يصدر أحكاما على الحقائق وإنما عليه أن يكيفها التكييف الصادق في ضوء الوثائق التاريخية مع الاهتمام بالتفاصيل.[٣]

وقد الزمت هذه المدرسة نفسها بدراسة التاريخ من خلال الدبلوماسية وأحوال الساسة والسياسة[٤] ومن المؤرخين الذين سايروا هذه المدرسة نذكر: الدكتور محمد فؤاد شكرى، والدكتور محمد مصطفى صفوت، والدكتور/ عبد العزيز الشناوى والدكتور/ رجب حراز وغيرهم فيما يلي نعرض لاتجاهاتهم في هذا المجال.

---

[١] أنظر مقال أحمد عبد الرحيم مصطفى سابق الذكر ص ٢٥٩ – ٢٦١.

[٢] د. قاسم عبده قاسم: تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الأول أبريل – يونيو ١٩٨٩ ص٢١٢.

[٣] يعد رانكه رائداً في تطور علم النقد التاريخي، وأصبح أسلوبه في كتابة التاريخ نموذجا لأجيال عديدة من المؤرخين.

[٤] أدى اعتماد مدرسة رانكه الثقيل على الوثائق إلى الاسهام في صنع تاريخ سلط الاضواء على الشئون الخارجية والأحداث الحربية للقوى العظمى اكثر من الاهتمام بالنواحي الاجتماعية والثقافية للشعوب.

أنظر : جاك كرابس: كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر دراسة في التحول الوطني – ترجمة عبد الوهاب بكر – القاهرة الألف كتاب الثاني (١١٨) ١٩٩٢ ص ٢٨ – ٢٩.

الدكتور/ محمد فؤاد شكري:[١]

مع أن الدكتور شكرى اهتم في معظم كتاباته بالتاريخ السياسى فإنه لم يهتم بتحليل الأحداث بالقدر الذى اهتم فيه بالمادة العلمية وتفاصيلها وحجته في ذلك أن التحليل لابد وأن يسبقه مادة علمية غزيرة يمكن للباحث الاستناد عليها حتى تكون كتاباته سليمة، وأن التاريخ هو التاريخ يضاف إلى ذلك أنه في بعض كتاباته كان لا يهتم كثيرا بكتابة الهوامش والحواشى، ومع ذلك فان أحداً لا يستطيع أن ينكر دوره الواضح في بناء المدرسة التاريخية المصرية ، وفي إثراء مكتبتها بمؤلفاته العديدة فقد كان أستاذ معلما بكل معانى الكلمة يوجه طلابه بالرأى السديد والعلم الواسع والخبرة الأصيلة، يعرض فكره ورأيه في ثقة العالم المتمكن من نفسه ويدير المناقشات والجلسات العلمية الجادة التي كان يحضرها لفيف من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية في منزله بعد ظهر كل خميس يضيف خلالها من علمه ما يفتح الأفاق أمام الباحثين.[٢]

الدكتور محمد مصطفى صفوت:

أول خريجى دفعته بكلية الآداب عام ١٩٣٣م وقد اوفدته وزارة المعارف للتخصص في التاريخ الحديث في انجلترا[٣] وبعد عودته اهتم الدكتور صفوت في معظم كتاباته عن مصر بتاريخها السياسي واستند في ذلك إلى حد كبير على الوثائق كما اهتم بسرد تفاصيل الأحداث فكتب بحثا بعنوان موقف ألمانيا إزاء المسألة المصرية ١٨٧٦-١٩١٤ استعرض فيه موقف الحكومة الألمانية بازاء المسألة المصرية بصفة عامة، وحيال العلاقات الإنجليزية المصرية بصفة خاصة[٤] وكتب دراسة بعنوان "إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥١[٥] " حاول فيها عرض مشكلة القناة منذ أن فكر الفرنسيون في

---

(١) عن تفاصيل حياته ودوره في المدرسة التاريخية المصرية انظر الفصل الخامس.

(٢) محمود صالح منسى : قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفردينان دي لسبس تحت عنوان وفاء وتقدير.

(٣) محافظ عابدين: محفظة ٢٣١ تعليم – جامعة فؤاد الأول كلية الآداب.

(٤) نشرته المجلة التاريخية المصرية ضمن مجلدها الأول ص ٨٧ -١٢١.

(٥) نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية في عام ١٩٥٢.

إنشائها بطريقة تاريخية علمية مؤيدة بمصادر أصلية وكتب دراسة بعنوان الاحتلال الانجليزي وموقف الدول الكبرى إزاءه[١] تناول فيها موقف فرنسا وألمانيا وغيرهما من الدول الأوربية تجاه الاحتلال كما تطرق إلى العلاقات الدولية وأثرها في سياسة الدول الأوربية تجاه أفريقية وأعالي النيل. وكتب دراسة بعنوان مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة"[٢] تناول فيها تطور حياة مصر المعاصرة من الناحية السياسية منذ قيام الثورة العرابية إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة كما تعرض الفصل الأخير منه إلى بعض مظاهر اليقظة القومية والأدبية والفنية والاقتصادية وغيرها، وكتب الدكتور صفوت بصفة عامة تعد من المراجع الهامة للباحثين والمتخصصين.

الدكتور عبد العزيز الشناوي:[٣]

ساير الدكتور الشناوى مدرسة رانكه من حيث الاهتمام بسرد الحقائق وتدعيمها بالوثائق ويتضح ذلك جليا في دراسته الموسوعية المعنونة " الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها[٤] كما يتضح ذلك أيضا في رسالته المعنونه "السخرة في حفر قناة السويس".

والجدير بالذكر أن الدكتور الشناوى تحمس في أواخر حياته للتيار الإسلامي في كتاباته.

الدكتور السيد رجب حراز:

ساير طريقة أستاذه شكرى واتجاهه في الكتابة التاريخية، وتعلم اللغة الايطالية بناء على توجيهات استاذه حتى يمكنه الاستفادة من الوثائق الايطالية خلال دراسته لتاريخ شرق إفريقية، ومن أبرز ما كتبه في هذا المجال رسالته التي حصل بها على الماجستير في عام ١٩٥٨ تحت عنوان "انتشار النفوذ الايطالى السياسي في ساحل البحر الأحمر

---

[١] نشرته دار الفكر العربي عام ١٩٥٢.

[٢] صدر عن مكتبة النهضة المصرية في عام ١٩٥٩.

[٣] حول تفاصيل حياته ودوره في الدراسات التاريخية انظر الفصل السادس.

[٤] نشرتها الانجلو المصرية في أربعة أجزاء.

الغربي، والسودان الشرقي، وإفريقية الشرقية في القرن التاسع عشر وتأسيس مستعمرتي أرتريا والصومال ورسالته التي حصل بها على الدكتوراه في عام ١٩٦٣ وكانت بعنوان انتشار النفوذ البريطاني في شرق افريقيا ووسطها في القرن التاسع عشر.

واستمرت أعمال هذا الجيل من الدارسين والأكاديميين في التدفق، وأخذت محاور الكتابة التاريخية في التعدد بحكم ما شهدته مصر في الفترة الأخيرة من تغيرات أدت إلى تخطي حواجز الكتابات السياسية والانطلاق إلى مجالات الجوانب الاجتماعية الاقتصادية وهذا ما سنعرض له.

تيار مدرسة التاريخ الاجتماعي :

يرى أصحاب هذه المدرسة أن التاريخ حركة اجتماعية، ولا يتضح معناه إلا في التطورات التي تطرأ على المجتمع وأن كل الاعمال الهامة التي استطاع الزعماء القيام بها لم يتيسر لهم إلا عندما إتجهت اراداتهم لتحقيق مطالب شعوبهم.

ويمكن تقسيم أفراد هذا التيار إلى خمس مجموعات :

الأولى: تعرضت للنظرية الماركسية وانطلقت في كتاباتها من التفسير المادي للتاريخ ومن أبرز روادها "شهدى عطية الشافعى " و "فوزي جرجس" و "رفعت السعيد محمد أنيس" و "عبد العظيم رمضان".

والثانية : انطلقت في كتاباتها من التفسير المادي للتاريخ وإن لم تتعرض للنظرية الماركسية ومن أبرز روادها " رؤوف عباس حامد " و "عاصم دسوقى" و "على بركات".

والثالثة : تأثرت بالمدرسة الاجتماعية وإن لم تنطلق في كتاباتها من التفسير المادي للتاريخ وركزت على طرح قضايا فكرية معاصرة ومن أبرز أفرادها الدكتور عبد المنعم الجميعى.

والرابعة: تعرضت لتيار المدرسة الاجتماعية وطرح أفرادها بعض القضايا في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي ومن أبرز روادها "محمود متولى" و "عبد الرحيم عبد الرحمن" و "نوال عبد العزيز" و "ليلى عبد اللطيف" و "عبد الله عزباوى" ، و "علي شلبي" و "نبيل عبد الحميد " وغيرهم.

والخامسة: تعرضت لتاريخ مصر بطريقة يغلب عليها المنهج الوصفي وسرد الوقائع ومن أبرز روادها الدكتور محمد فهمي لهيطة والدكتور أحمد الحتة والدكتور أمين عفيفي عبد الله وفيما يلي نعرض لهؤلاء.

أولاً: المنطلقون في كتاباتهم من النظرية الماركسية:

وقد ظهر أصحاب هذا الاتجاه في مطلع الاربعينات من هذا القرن، وبرزوا بشكل واضح في أعقاب الثورة ١٩٥٢. وقد استخدم هؤلاء منهج المادية التاريخية في معالجة موضوعاتهم وكمحور لتفسير دراساتهم وبمعنى آخر أوضحوا أن التفسير المادي للتاريخ يرى في تغيير الاحوال المادية أكبر الأثر في سير الأحداث التاريخية خاصة أنها المسيطرة على كل المتغيرات الاجتماعية والسياسية وغيرها وقد قدم هؤلاء للمدرسة التاريخية المصرية العديد من المؤلفات سواء من كان منهم يعمل خارج نطاق حقل التعليم الجامعي أو يعمل في داخله.

وعن المجموعة الأولى فقد مهد لها شهدى عطية الشافعي – أحد الشخصيات البارزة في الحركة الشيوعية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية في كتابه "تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ – ١٩٥٦" بقوله "لنا منهج واضح في هذه الدراسة منهج علمي قوامه أن تاريخ التطور الاجتماعي هو أولا وقبل كل شئ تاريخ الشعوب ... وتحركاتها، وثوراتها وتنظيمها ولا نعنى بها هذه التحركات العفوية الطارئة التي ما ان تهب حتى تخمد إنما هذه التحركات العميقة المنتظمة التي تعبر عن أن نظاما اقتصاديا وسياسيا معينا أصبح لا يصلح للبقاء، أصبح معرقلا لتقدم القوى الانتاجية، أصبح محطما لمستوى المعيشة للشعب وثقافته ومن ثم يتعين وجود نظام آخر سياسي ونظام آخر

اقتصادى تهب الملايين بقيادة زعمائهم من أجل تحقيقه"[1] وقد ساير هذا الاتجاه إبراهيم عامر في كتابيه " ثورة مصر القومية"[2] و "الأرض والفلاح"[3] وكان واحدا من الذين اعتقدوا أن اقتصاد الملكيات الكبيرة وعلاقتها الاجتماعية كانا رأسماليين في الجوهر. ففي كتابه " الأرض والفلاح" تعرض لحركات الفلاحين المصريين ضد مستغليهم من كبار الملاك وصراعهم من أجل تحسين أوضاعهم فهجروا قراهم وأهملوا حصد المحاصيل، وامتنعوا عن دفع الايجارات من أجل تعديل أنظمة تملك الأرض، والحصول على ثمار جهودهم، ومن أجل التخلص من الاحتكار في الاستغلال الزراعي.

وكتب فوزى جرجس أحد المناضلين الماركسيين كتابه "دراسات في تاريخ مصر السياسى منذ العصر الملوكى" والذى يعد من الكتب الرائدة في مجال استخدام المنهج الاشتراكى في تفسير التاريخ خاصة وأن صاحبه رجل ذو رؤية يبحث في تاريخ مصر باهتمام وصبر شديدين ليتوصل إلى ظهور الرأسمالية، ويعزز أحكامه بجداول وأرقام تساعده في حكمه، ويتابع بجلد حركة التطور الاجتماعى في المجتمع المصرى والتأثيرات الخارجية والداخلية التي طرأت عليها ومدى تطابق ذلك مع الموقف السياسى.[4]

وكتب "رفعت السعيد" عدة مؤلفات مثلت التيار الماركسى في منهج الدراسات التاريخية، وتناولت التجمعات الطبقية، والقوى الإجتماعية في مصر، والنضال النقابى والسياسى للطبقة العاملة، والمنابع الفكرية للعمل الاشتراكى، وموقف الحركة الشيوعية من القضية الفلسطينية ومن هذه المؤلفات نذكر "تاريخ الحركة الإشتراكية في مصر ١٩٠٠ – ١٩٢٥ و "اليسار المصري ١٩٢٥ – ١٩٤٠" و "تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ – ١٩٥٠" و "الصحافة اليسارية في مصر ١٩٢٥ – ١٩٤٨" و

---

(١) التمهيد ، الطبعة الأولى ١٩٥٧ ص٣.

(٢) نشرت دار النديم بالقاهرة هذه الدراسة في عام ١٩٥٧.

(٣) قامت الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع بنشره في عام ١٩٥٨.

(٤) أنظر تقديم جلال السيد للطبعة الثانية من الكتاب.

"اليسار المصري والقضية الفلسطينية" وفي هذه المؤلفات صور رفعت السعيد الحركة الشيوعية بأعظم الصور ايجابية.

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات فقد كتب رفعت السعيد سلسلة من المقالات التاريخية في مجلة الطليعة وعدداً من المقالات التاريخية وغير التاريخية في الصحف اليومية خاصة " الأهالي " صحيفة حزب التجمع.

وكتب صلاح عيسى "الثورة العرابية" معتمدا على المادية التاريخية كمحور لتفسير هذا الحدث البارز فى تاريخ مصر الحديث.

كما كتب "البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة " وفيه أوضح أن البرجوازية المصرية جاءت من صلب الامبريالية وأن مطلب التحالف مع بريطانيا لم يكن مرفوضا في منطق البرجوازية المصرية، ولكن المشكلة بينهما تركزت في شروط الصفقة والمساحة التي تحتلها البرجوازية المصرية من السلطة مقابل اقرارها بشرعية تبعية مصر لبريطانيا.[١]

وكتب عبد المنعم الغزالي "تاريخ الحركة النقابية في مصر ١٨٩٩ – ١٩٥٢" وتعرض فيه لتاريخ الطبقة العاملة، والحركات السياسية والاشتراكية التي واكبت الحركة النقابية وتشابكت معها في بعض الفترات.

وعلى أي حال فإن هذه المجموعة من الكتاب في مجملها انتقت من الأحداث ما يوائم تصورها، واعتمدت على المنهج الماركسى في كتاباتها، وتعمدت تضخيم دور الحركة الشيوعية باعطائه شكل دعائيا يخدم الدعوة الشيوعية في مصر كما أنها أدارت – كما ذكر الدكتور عبد العظيم رمضان – ظهرها لمنهج البحث التاريخي " لعدم المامها به، وفي نفس الوقت فان إفتقار أفرادها للعقلية التاريخية التي يكتسبها المؤرخ من خلال دراساته الطويلة يؤثر تأثيرا سلبيا على النتائج التي تستخرجها من الدراسات".

---

[١] انظر الفصل الثالث تحت عنوان أعمدة التحالف الخمسة.

ويؤكد الدكتور رمضان ذلك فيذكر أن "رفعت السعيد" و "صلاح عيسى" عندما قاما بدراسة الثورة العرابية فإن "أيا منهما لم يستطع استيعاب روح وفكر العصر الذى يؤرخان له، فهما يغفلان كلية أن القرن التاسع عشر في مصر كان امتدادا للتاريخ الإسلامى العام وأن المصريين كانوا يعيشون تحت أيدولوجية الجامعة الإسلامية وليس تحت أيديولوجية القومية المصرية التي لم تبرز إلا في ثورة ١٩١٩ ومن هنا فقد تصورا أن الصراع في الثورة العرابية كان دائرا بين فلاحين مصريين وباشوات شراكسة وأتراك، وهو خطأ فادح، فوق أنه خطأ أيديولوجي يغفل نظرية صراع الطبقات".[١]

وبالنسبة للمجموعة الثانية فقد عبر عنها الدكتور "راشد البراوى" الأستاذ بكلية التجارة جامعة القاهرة بشكل واضح في المقدمة التي وضعها لمختارات فردريك إنجلز التي ترجمها تحت عنوان "التفسير الاشتراكى للتاريخ " فيقول " إن الكثيرين من الكتاب إذ يحللون التطور التاريخي لا يبرزون العامل المادى – أو الاقتصادى بمعنى آخر – على أنه القوة الدافعة في سير المجتمع والأساس الذى تقوم عليه كافة التطورات المتنوعة، وأن المادية التاريخية هي النظرية الحديثة التي صارت لها الغلبة لأنها تفسر التاريخ ببيان أثر الدوافع المادية ممثلة في الإنسان الحقيقي والطبيعة، وواضحة في العلاقات المتداخلة بين الجانبين".

وإلى جانب، ذلك فقد لخص البراوى نظرية المادية التاريخية فيما يلي:

١- إن التغيرات التي مر بها المجتمع البشرى ترجع في مجملها إلى الأساس الاقتصادى الذى يرتكز على جانبين هما قوى الانتاج المادية من أساليب فنية وأدوات انتاج، والعلاقات الاقتصادية كنظم الملكية والتبادل والتوزيع ونتيجة لذلك تنشأ القوانين والتشريعات والأنظمة والحكومات والمذاهب المختلفة وغيرها.

---

[١] عبد العظيم رمضان : مدارس كتابة تاريخ مصر المعاصر – ضمن ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩ – ١٩٥٢، تاريخ مصر بين المنهج العلمي والصراع الحزبى، القاهرة، دار شهدى للنشر ١٩٨٨ ص ٦٧.

٢- إن حدوث تغييرات في المجتمع تتخذ غالبا شكل النضال بين الطبقات التي تمثل العلاقات المتضاربة بين الطوائف والجماعات بالنسبة لقوى الانتاج.

٣- إن تطور المجتمع الإنساني سار من النظام البدائي إلى نظام الطبقات، وأن هذا التطور يتجه إلى نظام جديد تزول فيه المصالح الاجتماعية المتضاربة أي علاقات الجماعات بقوى الانتاج[١] وأن من يرغب في دراسة التاريخ على حقيقته ويفسره التفسير الصحيح لابد له من إبراز الجانب الاقتصادى.

ومن هذا المنطلق قدم البراوى كتابه " حقيقة الانقلاب الأخير في مصر " والذى أوضح فيه أن قيام الثورة المصرية كان ضرورة اجتماعية، وأن الدواقع الحقيقية وراء ما حدث في عام ١٩٥٢ كان في مقدمتها العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تجمعت وتبلورت حتى وصلت في النهاية إلى قيام ثورة تستهدف الخلاص من الاستعمار، والقضاء على الاقطاع الزراعى، والحد من طغيان العناصر الاحتكارية وتطهير الحياة العامة من الفساد، ودعم الحياة الدستورية حتى يتسنى للبلاد مواصلة سيرها للأمام.[٢]

ومن هذا المنطلق أيضا قدم البراوى كتابه "دراسات في السياسة الاستعمارية – حرب البترول في الشرق الأوسط " والذى أوضح فيه أن الاستعمار هو النهاية المنطقية للتطور الرأسمالي الحديث، وإنه بعد انتقال الثورة الصناعية من أوربا إلى الولايات المتحدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجدت أرضا خصبة صالحة لها، وأن بلدان الشرق الوسط أصبحت أمام إمبريالية ناشئة فتية قوية طموحة إلى بسط سيطرتها وسلطانها عليها، ويساندها في ذلك القوى الرجعية التي مهما اختلف الثوب الذى ترتديه فإنها أدركت أن نهايتها قد اقتربت نتيجة للحركات الشعبية الآخذة في النمو والتي تطالب بالتحرر الفعلي لا الوهمي ونتيجة لذلك لجأت هذه القوى إلى الاستناد إلى الامبريالية أو الاستعمار الذى يدعهما ويستخدمهما تحت مظاهر خداعة من الرغبة في ترقية أحوال

---

[١] انظر التفسير الاشتراكى للتاريخ، القاهرة، النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص١٧ – ١٨.

[٢] أنظر حقيقة الانقلاب الأخير في مصر، القاهرة، النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٥٢ ص ٣- ٤.

البلاد، والأخذ بيد الشعوب ووصل بها دهاؤها إلى التظاهر بالرغبة في نيل الحرية والاستقلال مع قبول المعاهدات والاتفاقيات ذات الصبغة الدائمة التي تجعل أوطانها في ركاب الاستعمار بصفة دائمة مما يتعين على شعوب المنطقة مقاومة قوى الرجعية لأنها بذلك تدك قواعد الاستعمار، ويتعين على حكامها تطبيق الديمقراطية بمعناها الصحيح لأن الشعوب لم تعد ترضى أن تساق كالأنعام.(١)

نضيف إلى هذه الرؤية المتكاملة لراشد البراوى حول تفسير التاريخ ما كتبه في مقدمته التاريخية والتحليلية للكتاب الذى ترجمه بعنوان الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية Imperialism, the Highest stage of capitalism الذى ألفه لينين وتعرض فيه للحركة الاستعمارية وأهم مظاهرها ودوافعها وما ترتب عليها من تغيرات داخل القارة الأوربية وخارجها نتيجة لتقسيم مناطق النفوذ بين المجموعات الامبريالية والحروب التي نشبت نتيجة لذلك فقال " من هنا حق لمؤلفنا لينين أن يتحدث عن الاستعمار بأنه أعلى مراحل الرأسمالية أو التطور المنطقى لنمو الرأسمالية، الواقع أن الامبريالية إن هي رأسمالية احتكارية ولكنها رأسمالية تحمل في طياتها عوامل فنائها والقضاء عليها، وهنا يبدو الأمل للشعوب وبخاصة ما كان منها موضع للسيطرة والاستغلال.(٢)

كما ذكر أنه بتقديمه لهذا الكتاب حاول أن يوضح للقارئ العربي كيف يتفهم الظواهر التي تحيط به، "وأن يتبع المنازعات الدولية التي يطغى فيها المظهر السياسى على الجوهر الاقتصادى لها، وأن يعرف كيف يكافح هذا الاستغلال الأجنبى الذى يضرب على وطنه ستارا من الجهل والفقر والمرض".(٣)

---

(١) راشد البراوى: حرب البترول في الشرق الأوسط، القاهرة، النهضة المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٥٠ ص ١٩٢ – ١٩٤.

(٢) الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، القاهرة، النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٩٥٤ ص٦.

(٣) نفسه ص ٩ – ١٠.

وإلى جانب البراوى فهناك الدكتور "علي الجريتلى" أستاذ الاقتصاد بجامعة الاسكندرية والذى يعد من أبرز الذين استخدموا النظرية الاقتصادية عند تحليلهم للحوادث التاريخية والتطور التاريخى، ومع أنه ليس من المؤرخين المحترفين فله آراء مستنيرة في التاريخ الاقتصادى استطاع أن يبرزها من خلال قناعاته العلمية، وهوايته في مجال التأليف التاريخى.

وقد حصل " على الجريتلى " على الدكتوراه من جامعة لندن وكانت بعنوان قوام الصناعة الحديثة في مصر[1] The structure of Modern Industry in Egypt وهي دراسة قال عنها "شفيق غربال" أنها "بحث علمى من الطراز الأول يُشرِّف العلماء المصريين بحق"[2] " وقد خصص المؤلف خمسة فصول منها لموضوع" تمويل الصناعة المصرية" وكان "قويا صريحا حيث يجب القوة والصراحة"[3] ثم تحدث بعد ذلك عن توزيع الصناعات وبيانها والاحتكار في الصناعة وعلاقة الحكومة بالصناعة.

واستمرت دراسات الدكتور الجريتلى في الجانب الاقتصادى فكتب "تاريخ الصناعة في مصر في النصف الأول عن القرن التاسع عشر "[4] وقد تعرض في هذه الدراسة للتجربة الصناعية التي مارستها مصر في عصر محمد علي وإلى الصعوبات التي واجهتها، وأشار إلى أن محمد علي قد وجه جلّ عنايته إلى الصناعات التي تخدم أغراضه العسكرية وخلص إلى أن التجربة الصناعية باءت بالفشل رغم عظم النفقات التي تكبدها محمد علي، ورغم الجهود المضنية التي بذلها في إنشاء المصانع والإشراف عليها خاصة وأن مقومات الصناعة كانت تفتقر إليها إمكاناته، ومن هنا لم تستطع

---

(١) نشرت جمعية فؤاد الأول للاقتصاد والتشريع هذه الدراسة في مجلتها عدد نوفمبر – ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) المجلة التاريخية المصرية : العدد الأول – المجلد الثاني مايو ١٩٤٩ ص ٢٣٠.

(٣) نفسه ص ٢٣١.

(٤) نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ضمن الدراسات التي أصدرتها بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة محمد علي، ولا شك أن المؤلف استفاد كثيرا من رسالته للدكتوراه، وأضاف إليها الآراء والملاحظات التي زوده بها المؤرخ شفيق غربال فخرج هذا الكتاب القيم.

صناعاته الناشئة الصمود أمام منافسة الصناعات الأوربية، وفي هذه الدراسة أيضا تعرض الجريتلى لتعرض عمال المصانع للاستغلال وإجبارهم على العمل دون رغبتهم وحصولهم على أجور منخفضة وعدم تعويض معظمهم عما لحقهم من أضرار وإلى جانب ذلك فللدكتور الجريتلى دراسات هامة في النواحي الاقتصادية منها "تطور النظام المصرفي في مصر" و " الاقتصاد السياسي للثورة" و "السكان والموارد الاقتصادية في مصر".

وقد مثل الدكتور الجريتلي مصر في مؤسسات دولية متعددة، وشارك في العديد من المؤتمرات وتولي وزارة المالية والاقتصاد في الفترة من ٢٥ فبراير ١٩٥٤ إلى ٨ مارس من نفس العام. كما تولى وزارة الدولة للشئون المالية والاقتصادية من ٨ مارس ١٩٥٤ إلى ١٧ أبريل من العام نفسه.[١]

وهكذا استطاع علي الجريتلي أن يترك بصماته الواضحة في تاريخ مصر الحديث على الرغم من كونه من تلك الفئة التي اصطلح على تسميتها بالمؤرخين الهواة، وعلى أي حال فقد انتقل هذا الاتجاه في كتابة التاريخ من كلية التجارة إلى كلية الآداب جامعة القاهرة وغيرها، وعبر عن نفسه بشكل واضح في كتابات كل من الدكتور محمد أنيس، والدكتور عبد العظيم رمضان وغيره وفيما يلي نعرض لذلك.

الدكتور محمد أنيس:[٢]

في دراسته عن المجتمع المصري من الاقطاع إلى الاشتراكية التي نشرتها مجلة الكاتب في عام ١٩٦٥ حاول الدكتور أنيس تفسير حركة التاريخ المصرى الحديث وفق مفاهيم المدرسة المادية كما حاول إثبات وجود طبقة اقطاعية في مصر قبل القرن التاسع عشر بحجة أن الملتزمين كان يمثلون هذه الطبقة في المجتمع المصري. وأوضح أن البرجوازية المصرية نشأت في أواخر القرن التاسع عشر مع تحول الملكية من ملكية

---

[١] الوزارات المصرية الجزء الثاني ١٩٥٣ ـ ١٩٦١ ، إعداد مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، ص ٥٧١.

[٢] حول نشأته ودوره في المدرسة التاريخية المصرية بالتفصيل أنظر الفصل الخامس

الدولة إلى ملكية الفرد، وأنها نشأت من الزراعة ولم تنشأ من التجارة أو الصناعة بعكس البرجوازية الأوربية.[1] وفي حديثه عن الزحف الاستعماري على الشرق العربي وانهيار الدولة العثمانية تطرق إلى التطور الاقتصادي الذي حدث في أوربا وأشكال الزحف الاستعماري ابتداء بالاحتكار التجاري ثم الاستعمار الصناعي والاستعمار الرأسمالي.[2]

وحول ظهور الحركات القومية ذكر الدكتور أنيس أنها ارتبطت بتدهور الاقطاع كنظام متحكم في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية،[3] كما أن صراع القوى الاجتماعية هو الذي يحدث التطور ومن تلاميذ الدكتور أنيس الذين سايروا هذا الاتجاه عبد العظيم رمضان وسيد عشماوي.

الدكتور عبد العظيم محمد رمضان:

ولد عبد العظيم رمضان بالجيزة في ١٨ أبريل ١٩٢٥ وحصل على درجة الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة القاهرة في عام ١٩٦٤ وكانت رسالته بعنوان "تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨ – ١٩٣٦" كما حصل على الدكتوراه من نفس الجامعة في عام ١٩٧٠ وكان موضوعها تطور الحركة الوطنية في مصر منذ ابرام معاهدة ١٩٣٦ إلى نهاية الحرب العالمية الثانية: وفي أعقاب ذلك عمل بجامعة قسطنطينية بالجزائر عام ١٩٧٣. وفي عام ١٩٧٤ عمل الدكتور رمضان في سلك التدريس الجامعي في مصر حيث عين مدرسا للتاريخ الحديث في جامعة المنوفية ثم تدرج في سلك المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الاستاذية في عام ١٩٨٢ وفي نفس هذا العام عين رئيسا لقسم التاريخ بكلية التربية جامعة المنوفية وفي عام ١٩٨٤ اختير عميدا لنفس الكلية، وفي عام ١٩٨٦ تولى رئاسة تحرير سلسلة كتب "تاريخ المصريين" وفي عام ١٩٨٧ تولى رئاسة اللجنة العلمية المشرفة على مركز وثائق

---

[1] الكاتب في يونيو ١٩٦٥ تحت عنوان : المجتمع المصري في ظل الاقطاع وفي يوليو ١٩٦٥ تحت عنوان مصر من الاقطاع إلى الرأسمالية ١٧٩٨ – ١٨٨٢.

[2] الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ – ١٩١٤، القاهرة ، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٧ ص ١٧٩.

[3] نفسه ص ٢٤٣.

وتاريخ مصر المعاصر كما عين عضوا في لجنة التراث الحضارى بالمجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، وفي عام ١٩٨٨ عين عضوا بمجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب، وعضوا بالمجلس الأعلى للثقافة. وفي عام ١٩٨٩ عين عضوا بمجلس الشورى، وفي عام ١٩٩١ عين عضوا بالمجلس الأعلى للصحافة. وقد ساير الدكتور رمضان تيار الاتجاه الاشتراكى في تفسير التاريخ في مرحلة من المراحل ففي كتابه "تطور الحركة الوطنية في مصر" قارن بين نشأة ودور الطبقة البرجوازية في كل من مصر وأوربا، ومدى ارتباط الحركات الوطنية بتدهور الاقطاع. وفي مقدمة كتابه "صراع الطبقات في مصر ١٨٣٧ ـ ١٩٥٢"[١] ذكر أن دراسته جاءت تحقيقا لأمل طموح طالما داعبه وهو أن يتمكن من "إنشاء دراسة للطبقات الاجتماعية في مصر وحركتها الديالكتيكية،[٢] بحيث تتوافر فيهما مقومات ثلاثة هى:

١- تطبيق المنهج العلمى للبحث التاريخي في هذا الميدان الجديد من ميادين الدراسة التاريخية في مصر.

٢- الاستفادة من المنهج الجدلى المادى في تفسير التاريخ.

٣- مد نطاق الدراسة لتتناول جميع الطبقات في مصر، وتتغلغل إلى كل شريحة اجتماعية منها بحيث تكشف عن تناقضاتها وتبرز حركتها الجدلية وصراعاتها مع القوى الاجتماعية الأخرى[٣] خاصة وأن الدراسات السابقة تقتصر إما على دراسة طبقة واحدة، أو تتناول الطبقات ككل ولكن بدراسة مسحية سريعة.[٤] وفي كتابه "الصراع الاجتماعى والسياسى في مصر منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤" تعرض الدكتور رمضان لأصول البرجوازية المصرية الكبيرة وتتبع حركتها الديالكتيكية والقيود التي فرضتها

---

[١] نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عام ١٩٧٨.

[٢] أنظر المقدمة ص٥.

[٣] أنظر المقدمة ص ٥.

[٤] المقدمة ص٦.

على الطبقات الكادحة، ثم مصرع هذه الطبقة وانتقال صولجانها إلى يد ثوار يوليو لينتقل بدوره بعد ذلك إلى يد الطبقات الجماهيرية عبر التحولات الكبرى التي بدأت بقانون الاصلاح الزراعي وقرارات التأميم وتغيير البناء التحتى Infrastructure وانتهت بصدور القرارات الاشتراكية في ١٩٦١.

وللدكتور رمضان دراسات عديدة في تاريخ مصر المعاصر وغيره تتجاوز الثلاثين كتابا تناول معظمها تاريخ مصر السياسى، ولمس بعضها التاريخ الاجتماعى نذكر منها:

- عبد الناصر وأزمة مارس (١٩٧٦).
- الجيش المصري في السياسة ١٩٨٢- ١٩٣٦ (١٩٧٧).
- الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ - ١٩٣٩ (١٩٧٩).
- الفكر الثورى في مصر قبيل ثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٨١).
- المواجهة المصرية الإسرائيلية في البحر الأحمر ١٩٤٩ - ١٩٧٩ (١٩٨٢).
- الإخوان المسلمون والتنظيم السري (١٩٨٣).
- مذكرات السياسيين والزعماء في مصر (١٩٨٤).
- تحطيم الإلهة - حرب يونيو ١٩٦٧ (جزاءان ١٩٨٤).
- حرب أكتوبر في محكمة التاريخ (١٩٨٤).
- مصر في عصر السادات ١٩٨٦ - الصراع الاجتماعى والسياسي في مبارك ١٩٩٣.

هذا إلى جانب قيامه بتحقيق مذكرات سعد زغلول والذي يعاونه في إصدارها بعض الباحثين بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر التابع للهيئة العامة للكتاب.

وعلى أي حال فإن أصحاب هذا الاتجاه قاموا بتعليل الأحداث والتحولات التاريخية بعللها الحقيقية المرتبطة بقوانين حركتها وإن كان بعضهم قد ابتعد عن هذا الاتجاه لسبب أو لآخر وعلى سبيل المثال نذكر أن الدكتور محمد أنيس ساير الاتجاه الوفدي في مرحلة من المراحل فدافع عن الوفد في كتابيه حادث ٤ فبراير ١٩٤٢

وحريق القاهرة (يناير ١٩٥٢) بشكل واضح، كما انضم إلى حزب الوفد بعد إعادة تكوينه في السبعينات وكان عضوا في هيئته العليا، ودافع عبد العظيم رمضان عن الوفد في كتابه تطور الحركة الوطنية، كما كتب العديد من المقالات في صحيفة الوفد الجديد وغيرها بشكل صحفي أكثر من كونه أكاديمي، يضاف إلى ذلك أن انشغاله بالعمل الصحفي واتجاهات الرأي العام قد أبعده عن هذا التيار أحيانا. وعلى الرغم من ذلك فيمكن القول أن كل من حفر من المؤرخين في الجانب الاقتصادي يعد ممهدا للجانب الاجتماعى ومكملا له.

ثانياً : المنطلقون في كتاباتهم من التفسير المادي للتاريخ دون التعرض للنظرية الماركسية:

وقد استفاد بعض أفراد هذا التيار من الدراسات التي تعرضت للاقتصاد السياسي الماركسي دون أن يتعرضوا للنظرية الماركسية بالدراسة وان كانوا قد انطلقوا في كتاباتهم من التفسير المادي للتاريخ فقاموا بدراسة عملية التغيير الاجتماعى Social Change في المجتمع المصري من ناحية انتقاله إلى المرحلة الحضرية أو غيرها، وتعرضوا لتركيبته الاجتماعية وشرائحه ومؤسساته وفئاته المختلفة فتطرقوا إلى العمال والفلاحين والجنود وغيرهم من الطوائف العاملة وتعرضوا لنظام طوائف الحرف Guilds والملكية الزراعية، وطبقة كبار الملاك والمدارس والمساجد والجامعات وعادات المصريين وتقاليدهم وقيمهم الاجتماعية بطريقة القت العديد من الأضواء على دور هذه الطبقات والمؤسسات فى عملية تغيير البناء الاجتماعى للأمة المصرية فى كافة مناحيه الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، ومن أبرز من تعرضوا لهذه التيار رءوف عباس[١]، وعاصم الدسوقى[٢] وعلى بركات.

---

[١] حول تفاصيل حياته ودوره فى الحركة السياسية انظر الفصل السادس.

[٢] للتفاصيل انظر الفصل السادس.

ثالثا: الذين تأثروا بتاريخ المدرسة الاجتماعية وركزوا دراستهم على طرح قضايا فكرية وثقافية معاصرة:

من المعروف ان للمنهج قواعد أما تفسير الظاهرة التاريخية فيرتكز على رؤية المؤرخ وحده، فهناك من رأى أهمية أن المؤرخ لا يحبس نفسه داخل قالب فكرى محدد وكان من هؤلاء الدكتور عبد المنعم الجميعى.

ولد عبد المنعم ابراهيم الجميعي بمدينة المنصورة فى ١٩٤٣/٩/١٥ وحصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة القاهرة فى عام ١٩٦٧ وعلى الماجستير من نفس الجامعة فى عام ١٩٧٥ بتقدير ممتاز، وعلى الدكتوراه من آداب عين شمس فى عام ١٩٧٩ بمرتبه الشرف الأولى ومنذ ذلك التاريخ ظل يعمل فى حقل التدريس بقسم التاريخ بتربية الفيوم ويتدرج فى المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الأستاذية فى عام ١٩٨٩ وقد عين رئيسا لقسم التاريخ أكثر من مرة أخرها فى الفترة من ١٩٩٤/١٢/٥ إلى ١٩٩٥/٨/٣١ ووكيلا للكلية لشئون التعليم والطلاب فى ١٩٩٥/٩/١٤ ثم انتقل إلى كلية الآداب بنفس الجامعة حيث عين فى وظيفة أستاذ متفرغ اعتبارا من ٢٠٠٣/٩/١٥ وحتى الآن.

وقد أعير الدكتور/ عبد المنعم الجميعى إلى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى الفترة من ١٤٠٦ إلى ١٤١١هـ وساهم فى العديد من أنشطتها وقام بتأليف ثلاث كتب عن منطقة عسير التى كان فرع الجامعة يقع فى نطاقها كما عمل أستاذا زائرا بفرع الجامعة بابها عام ١٤١٣هـ وقد قام الدكتور/ الجميعى بعدة زيارات علمية للخارج منها التواجد بالولايات المتحدة لمدة عام كامل كأستاذ زائر بجامعة بنسلفانيا State college فى عام ١٩٨٢- ١٩٨٣ كما قام بزيارة جامعة كيوتو باليابان فى الأسبوع الأول من ديسمبر ٢٠١١ للمشاركة فى مؤتمر هناك ببحث بعنوان: " الترجمة وتحديث الثقافة العربية فى مصر خلال القرن التاسع عشر" وبالنسبة للنشاط العام للدكتور/ عبد المنعم الجميعى فأبرزها عمله كأمين عام للجمعية المصرية للدراسات التاريخية لمدة ربع

قرن تقريبا فى الفترة من ١٩٨٩ حتى عام ٢٠١٣ ثم توليه منصب نائب رئيس الجمعية فى عام ٢٠١٣/ ٢٠١٤ وعمله كعضو للجنة العلمية الدائمة للترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات على مستوى الأساتذة لمدة ثلاث سنوات. وعمله كعضو بلجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة كممثل للجمعية التاريخية لفترتين متتاليتين فى الفترة من ٢٠٠٩- ٢٠١٣ وعضويته باتحاد المؤرخين العرب واتحاد الأثاريين العرب والعضوية الشرفية بجمعية المؤرخين المغاربة، وإلى جانب ذلك فقد شغل الدكتور/ الجميعى منصب مقرر لجان امتحانات الفرق النهائية لأقسام التاريخ بكليات التربية بالجامعات المصرية طبقا لقرار المجلس الأعلى للجامعات رقم ٢٤ بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٤.

ويرجع اهتمام الدكتور/ عبد المنعم الجميعى بدراسة تاريخ مصر الثقافى والاجتماعى والمؤسسات الثقافية إلى ندرة الكتابات العلمية المتخصصة فى هذا المجال وعدم الالتفات إلى أهمية دراسة المؤسسات الثقافية التى نهضت مصر على أكتافها، كما يرجع إلى دراساته لرواد الحركة الفكرية فى القرن التاسع عشر خاصة عبد الله النديم والشيخ محمد عبده والطهطاوى والأفغانى وغيرهم خلال دراسته للماجستير والدكتوراه مما جعله يتأثر بأهمية الكتابة فى هذا اللون من التاريخ الذى يتطلب إدراكا خاصا يتسم بالشمولية، التى تقتضى الإلمام بالأحوال السياسية والاقتصادية والفكرية التى تعرض لها الوطن. وفى هذا الإطار قدم للمكتبة التاريخية الجامعة المصرية القديمة نشأتها ودورها فى المجتمع ١٩٠٨- ١٩٢٥ ، ومجمع اللغة العربية دراسة تاريخية، وتاريخ الجامعات المصرية ومدرسة القضاء الشرعى ١٩٠٧- ١٩٣٠، وتاريخ مدرسة المعلمين العليا ١٨٨٠- ١٩٣٣ والجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة علمية لمؤسسة ثقافية ١٩٤٥- ١٩٨٥ ومدرسة الحقوق الخديوية وتكوين الزعامات المصرية، ومدرسة الألسن وتطور حركة الترجمة والتعريب فى مصر ومدارس عليا ساهمت فى إنشاء الجامعات المصرية ولم تتوقف دراسات الدكتور/ عبد المنعم الجميعى على تاريخ المؤسسات الثقافية فقد تعرض بالدراسة للعديد من رواد الحركة الفكرية والوطنية فكتب عن طه حسين والجامعة المصرية وعبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية

والخديو عباس الثانى والحزب الوطنى، والحزب الوطنى بين زعامتين ، مصطفى كامل ومحمد فريد وصفحة عشق لزعيم وطنى، ومحمود سامى البارودى رب السيف والقلم وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، وأمير الشعراء احمد شوقى، وعباس العقاد، وعميد الأدب العربى طه حسين، وصالون الأميرة نازلى فاضل.

وساير الدكتور عبد المنعم الجميعى اتجاه دراسة تاريخ التعليم فى مصر فكتب عن التعليم فى مصر المشكلة والحلول، والبعثات العلمية المصرية إلى أوربا، ووثائق التعليم العالى فى القرن التاسع عشر وحول تاريخ مصر الاجتماعى كتب عبد المنعم الجميعى دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، والمجتمع المصرى بين الثابت والمتغير، وصفحات من تاريخ المرأة المصرية، ومشايخ حارات القاهرة فى القرن التاسع عشر.

وبالنسبة لتاريخ مضر السياسى فقد كتب عبد المنعم الجميعى تاريخ مصر فى العصر العثمانى، والجيش المصرى وفتح عكا والعثمانيون بين أوربا والعرب محمد على، وعباس الثانى خديو مصر الأخير، والثورة العرابية فى ضوء الوثائق المصرية، والجذور التاريخية لفكرة الجمهورية وثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد على، وعصر محمد على الكبير والأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ والثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية ودراسات فى تاريخ مصر السياسى فى العصر الحديث وقضايا العنف السياسى، والمجتمع المصرى بين الاغتيالات السياسية والارهاب ومحاكمة سليمان الحلبى كنموذج لعدالة الفرنسيين فى مصر، وموقف عمد ومشايخ القرى من دستور ١٩٣٠.

وحول ما كتبه الدكتور/ عبد المنعم الجميعى عن تاريخ العالم العربى تذكر العالم العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر، والمشرق والمغرب دراسات فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر وارتباط عسير بالدعوة الاصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى، والادارسة فى المخلاف السليمانى وعسير والاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ، وخفايا العلاقات المصرية السعودية فى عهد الملكية المصرية، وعسير خلال قرنين وحول علم التاريخ واتجاهات الكتابة التاريخية كتب الدكتور عبد المنعم

الجميعى تاريخ مصر الحديث فى الجامعات الأمريكية والمصرية، ومنهج البحث التاريخى والمدخل إلى علم التاريخ، واتجاهات الكتابة التاريخية فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ودور الحضارة العربية الاسلامية فى النهضة الأوربية كنموذج لحوار الحضارات وقد تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية وبالنسبة لتحقيق المذكرات السياسية فقد قام الدكتور عبد المنعم الجميعى بتحقيق مذكرات الزعيم احمد عرابى المسماه كشف الستار عن سر الاسرار فى الثورة المصرية الشهيرة بالثورة العرابية فى ثلاثة أجزاء كما قام بنشر بعض كتب التراث وعمل دراسات حولها مثل التنكيت والتبكيت والأستاذ والمسامير وسلافة النديم لخطيب الثورة العرابية عبد الله النديم.

وبالنسبة لنشر الوثائق فقد قام الدكتور الجميعى بنشر وثائق لجنة ملنر، ومفاوضات عدلى كرزن ومفاوضات النحاس هندرسون، ووثائق معاهدة ١٩٣٦ ووثائق ونصوص فى تاريخ الدولة العثمانية وإلى جانب ذلك فللدكتور الجميعى مجموعة مقالات صحفية بعنوان "من خبايا التاريخ" تم نشرها فى جريدة الوفد فى الفترة من ٢٥ مارس ٢٠٠٩ إلى ٢٥ يناير ٢٠١١ وعددها ٥٧٦ مقالا تم نشره فى كتاب تحت هذا العنوان.

أما بالنسبة للتاريخ الأوربى فقد كتب الدكتور الجمعيى العالم الأوربى فى التاريخ الحديث والمعاصر.

هذا فضلا عن العديد من المقالات العلمية المنشورة فى العديد من المجلات المتخصصة مثل مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وإلقاء العديد من البحوث فى المؤتمرات العلمية والمشاركة فى تقييم البحوث المقدمة لترقية لبعض أعضاء هيئة التدريس إلى درجتى أستاذ مساعد وأستاذ والإشراف على بعض الرسائل العلمية ومناقشة العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، هذا عن دور الدكتور عبد المنعم الجميعى وهذه هى بصماته فى مجال الدراسات التاريخية.

رابعا: الذين تعرضوا فى كتاباتهم لتيار المدرسة الاجتماعية وطرحوا بعض القضايا فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى:

والجدير بالذكر أن هناك دراسات اكاديمية اجازتها الجامعات المصرية قد سايرت هذا التيار بعضها عن قرب والآخر عن بعد فتعرض أصحابها لبعض جوانب تاريخ مصر الاقتصادى الاجتماعى ومن ذلك نذكر الدراسة التى قدمها محمود متولى(١)، لنيل درجة الدكتوراه إلى كلية الآداب جامعة عين شمس فى عام ١٩٧٢ وعنوانها: " الأصول التاريخية للرأسمالية وأثرها فى مصر ١٩٢٠- ١٩٦١ وتناول فيها نشأة الراسمالية المصرية الصناعية والتجارية ونموها، وبنك مصر وشركاته كنموذج للرأسمالية المصرية، وتغلغل رأس المال الأجنبى فى مصر سنة ١٩٥٦ وثورة يوليو والرأسمالية الموجهة وآثار الرأسمالية على المجتمع والدراسة التى قدمها عبد الرحيم عبد الرحمن(٢)، لنيل الدكتوراه من آداب عين شمس عام ١٩٧٣ وكانت بعنوان : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر" وتناول فيها الريف بين الادارة المحلية والمركزية وحيازة الارض، ونظام الالتزام، واقتصاديات الريف والحياة الدينية والثقافية والدراستين التى قدمتهما نوال عبد العزيز(٣)، لنيل الماجستير والدكتوراه عن "الحركة العمالية وأثرها فى تطور التاريخ السياسى فى مصر من ١٨٩٩- ١٩٣٠ و" الحركة العمالية وأثرها فى تطور مصر السياسى ١٩٣٠- ١٩٥٢ وتعرضت فيها لطوائف الحرف ونشوء الطبقة العاملة المصرية، والعمال والحركة الوطنية والدراسة التى قدمتها ليلى عبد اللطيف(٤)، وحصلت بها على الماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس عن "الصعيد

---

(١) استاذ التاريخ الحديث المتفرغ حاليا بجامعة بورسعيد وقد ولد بمحافظة المنيا فى ١٥ مارس ١٩٣٧ وحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٥٨ وعلى ليسانس الحقوق ١٩٦٩ وعلى درجة الماجستير ١٩٦٦ كما حصل على الدكتوراه فى عام ١٩٧٢ وبعدها تدرج فى سلك وظائف التدريس حتى عين استاذا فى عام ١٩٨٤.

(٢) استاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر – كلية الدراسات الانسانية سابقا.

(٣) استاذ التاريخ الحديث بمعهد الدراسات الافريقية سابقا وقد حصلت على الماجستير من آداب القاهرة فى عام ١٩٧٣ وعلى الدكتوراه فى عام ١٩٧٦.

(٤) استاذ التاريخ الحديث المتفرغ حاليا بكلية الدراسات الانسانية جامعة الازهر.

فى عهد شيخ العرب همام"[1]، تلك الشخصية التى تعد من الشخصيات المرموقة فى التاريخ المصرى فى القرن الثامن عشر خاصة وان صاحبها كان زعيما للهوارة بجرجا. ومن خلال هذه الشخصية أوضحت الباحثة نظام الحياة فى صعيد مصر، والقوى التى تنازعت على السلطة فيه، وكيف كان لنظام الالتزام الأثر الكبير على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر العثمانية عامة، وفى الصعيد خاصة ودراستها التى قدمتها لدرجة الدكتوراه تحت عنوان الادارة فى مصر فى العصر العثمانى[2]، وتناولت فيها نظم الادارة فى القاهرة والاقاليم، والباشا ومعاونوه، والديوان العالى، والقضايا والإدارة المالية، وموقف المجتمع المصرى من الادارة العثمانية، وطبيعة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وتأثر هذه العلاقة بنظم الحكم والإدارة.

وتعد هذه الدراسة كما يذكر الدكتور عزت عبد الكريم من أكثر الموضوعات العلمية الجادة المتصلة بتاريخ مصر فى العصر العثمانى. [3]

والدراسة التى قدمها عبد الله عزباوى[4]، وحصل بها على درجة الدكتوراه من آداب عين شمس فى عام ١٩٧٦ وعنوانها: " الحركة الفكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر" وتناول فيها التعليم فى الأزهر وخارجه، والعلوم النقلية والعقلية، ودراسة التاريخ قبل الجبرتى، والجبرتى ومعاصروه، ومكانة العلماء الاجتماعية، وبدايات حركة التجديد فى الفكر المصرى الحديث.

---

(١) نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى عام ١٩٨٧.

(٢) نشرتها جامعة عين شمس فى عام ١٩٧٨.

(٣) المصدر السابق، التقديم.

(٤) استاذ التاريخ الحديث المتفرغ بكلية الآداب، وقد ولد بسوهاج فى ١٩٤٢/٧/١٠ وحصل على الماجستير فى عام ١٩٧١ وعلى الدكتوراه فى عام ١٩٧٦ وتدرج فى وظائف هيئة التدريس حتى عين استاذا فى ابريل ١٩٨٧ وله بعض المؤلفات فى تاريخ مصر الاجتماعى أبرزها عمد ومشايخ القرى ودورهم فى المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر، والبدو ودورهم فى الثورة العرابية، والشوام ودورهم فى المجتمع المصرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وعلاقات مصر الاقتصادية مع فلسطين (الاتفاقيات الجمركية ١٨٩٠- ١٩٣٦).

والدراسة التى قدمتها لطيفة سالم[1]، وحصلت بها على الدكتوراه من آداب القاهرة فى عام ١٩٧٩ وكانت بعنوان: " القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية" وتناولت فيها مشاركة كافة قوى مصر الاجتماعية على اختلاف مشاربها فى أحداث الثورة.

والدراسة التى قدمها على شلبى[2]، وحصل بها على الدكتوراه من آداب عين شمس فى عام ١٩٧٩ وكانت بعنوان: " الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤٧- ١٨٩١[3]، وعالج فيها التغيرات التى أحدثها محمد على فى الريف فى مختلف المجالات ومظاهر معاناة الفلاحين والتى تمثلت فى الاحتكار والضرائب والسخرة والتجنيد، وعرض لتطور حقوق الملكية الزراعية وتطرق إلى التركيبة الاجتماعية لطبقة كبار الملاك وأوضاع الفلاحين الاقتصادية والاجتماعية وقضية توطين البدو والإدارة فى الريف، والريف المصرى والحركة السياسية. والدراسة التى قدمها نبيل عبد الحميد[4]، وحصل بها على الدكتوراه تحت عنوان: " النشاط الاقتصادى للأجانب وأثره على المجتمع المصرى[5]، وعالج فيها التحديد القانونى والاجتماعى للأجانب فى مصر ونشاطهم الاقتصادى ومحاولات تمصير النشاط الأجنبى.

خامسا: الذين درسوا تاريخ مصر الاجتماعى بطريقة وصفية:

ويتسم أصحاب هذا التيار بميول تتجسد فى المبالغة فى دور محمد على وأسرته فى تطور مصر والدفاع عن مصالح كبار الملاك ورفض التغيرات التى تفرضها الظروف الموضوعية للتطور. ويغلب عليهم المنهج الوصفى وسرد الوقائع ومعالجة الظواهر الجزئية. وقد بدأ هذا التيار ينشط فى كلية التجارة بالجامعة المصرية فكتب

---

[1] استاذ التاريخ الحديث المتفرغ بآداب بنها، وقد ولدت بالاسكندرية فى عام ١٩٤٢.

[2] استاذ التاريخ الحديث المتفرغ حاليا باداب المنصورة وله العديد من المؤلفات فى التاريخ الاقتصادى منها الازمة الاقتصادية والامن العام فى الريف المصرى ١٩٢٩- ١٩٣٣ وقد ولد باحدى قرى مركز بيلا محافظة كفر الشيخ فى ١٩٤٠/٩/١٧.

[3] نشرت دار المعارف هذه الدراسة فى عام ١٩٨٣.

[4] الاستاذ المتفرغ حاليا بتربية دمياط.

[5] نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب هذه الدراسة فى عام ١٩٨٢.

محمد فهمى لهيطة " تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة (١٩٣٧) وعلم الاقتصاد للمصريين (١٩٣٨) والاقتصاد الصناعى والبنك المركزى (١٩٤٤) وتاريخ فؤاد الأول الاقتصادى (١٩٤٦) وتبعه فى ذلك كثيرون.

وقد انتقلت هذه الدراسات كالعادة من كلية التجارة إلى كلية الآداب حيث شجع شفيق غربال تلاميذه على الخوض فى مجال الدراسات فى التاريخ الاقتصادى فكتب احمد الحتة رسالتيه للماجستير والدكتوراه "الفلاح المصرى فى عهد محمد على " و "تطور الزراعة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر" وكتب أمين عفيفى رسالته للدكتوراه بعنوان " تجارة مصر فى عهد محمد على" وكتب فائق جبره رسالته للماجستير تحت عنوان: " ضرائب الأطيان فى عهد محمد على". ولتوضيح هذا التيار فى دراسة تاريخ مصر الاقتصادى نذكر ان " احمد الحتة" تعرض فى دراسته عن تطور الزراعة المصرية لجهود محمد على فى الزراعة المصرية وقيامه بوضع نظام خاص للزراعة إذ احتكر معظم الحاصلات والزم الفلاحين بزراعتها كيفما شاء، ولكنه فى الوقت نفسه افاد الزراعة، كما تعرض لاهتمام محمد على بإدخال حاصلات زراعية وأساليب زراعية جديدة والزم الفلاحين بإتباعها، واهتمامه بالتعليم الزراعى، وبالثروة الحيوانية، وإدخاله دود القز فى مصر وعنايته بتربية النحل.

كما نذكر أن "أمين عفيفى" تعرض فى دراسته عن تجارة مصر فى عهد محمد على لسياسة محمد فى تنظيم شئون التجارة والمقومات التى استندت عليها الحكومة لتنظيم مسائل التجارة والنهوض بها فى شتى النواحى حتى أصبحت عملا حكوميا يدر الربح الكثير مما زاد من ايرادات الدولة ، ووسع من علاقات مصر مع الدول الأخرى.

ومع ان أصحاب هذا التيار قدموا دراسات رائدة وتخطوا حاجز الكتابات السياسية الضيقة إلى المجال الاقتصادى واعتمدوا على الوثائق الأصلية فى دراساتهم فانهم لم يتعرضوا لتركيبة المجتمع وشرائحه ومؤسساته بالدراسة والتحليل، وتجاهلوا الطبقات الشعبية إلى حد كبير، وإذا تعرضوا لها يكون ذلك من خلال تعرضهم للحاكم.

وعلى أى حال فقد استكمل التاريخ المصرى بهذه الدراسات عافيته، وشقت مدرسة التاريخ الاجتماعى فى مصر طريقها بخطوات متقدمة، بحث لم تعد هذه الدراسات حكرا على المستشرقين والأجانب.

تيار المدرسة التفسيرية:

وهى المدرسة التى حذرت من أخطار الأفراط فى الرومانسية فى كتابة التاريخ وجمعت بين تسجيل الأحداث والمعالجة التحليلية لها ويمكن تقسيم افراد هذا التيار إلى مجموعتين الأولى انحصرت معظم كتاباتها فى تاريخ العرب والثانية سايرت هذا التيار من خلال كتاباتها لتاريخ مصر ومن أبرز رواد المجموعة الأولى الأساتذة الدكتور " صلاح العقاد"[١]، والدكتور "عبد العزيز نوار"[٢]، والدكتور جمال زكريا قاسم، والدكتور جاد طه، والدكتور يونان لبيب، والدكتور، عبد الرحيم عبد الرحمن، والدكتور فاروق أباظة، والدكتور محمد عبد الرؤوف سليم، أما عن رواد المجموعة الثانية فنذكر الدكتور محمد السروجى ، والدكتور عمر عبد العزيز، والدكتور محمود صالح منسى، والدكتور رأفت الشيخ والدكتور عبد الوهاب بكر وغيرهم وفيما يلى نعرض لبعض هؤلاء.

المجموعة الأولى: دراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر:

الكتابة فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر دائما ما تحتم على صاحبها الرجوع إلى تاريخ مصر الذى يعد فى الكثير من مناحيه مكملا لتاريخ العرب وعلى سبيل المثال نذكر انه يصعب دراسة تاريخ الجزيرة العربية دون التعرض لدور مصر فى عصر محمد على وأسرته، ويصعب دراسة تاريخ الشام خاصة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر دون الالمام بتاريخ مصر، ويصعب دراسة تاريخ السودان عموما دون الرجوع إلى تاريخ مصر، ويصعب دراسة تاريخ اليمن الحديث دون التعرض لدور

---

(١) حول مسيرة حياته العلمية انظر الفصل السادس

(٢) حول مسيرة حياته العلمية انظر الفصل السادس

مصر الفعال فى هذه المنطقة، ويصعب دراسة المشكلة الفلسطينية والحروب العربية الاسرئيلية دون الخوض فى تاريخ مصر وهكذا.

ومن هنا اقبل الطلاب من خريجى الجامعات المصرية على دراسة تاريخ العرب الحديث سواء فى جامعات خارج مصر أو داخلها ففى خارج مصر مثلا كتب " صلاح العقاد" فى جامعة باريس اطروحته للدكتوراه تحت عنوان "تنازع النفوذ بين فرنسا وبريطانيا فى منطقة الخليج الفارسى". كما كتب رسالته الفرعية عن الدولة السعودية الأولى وفى داخل مصر تبنت جامعة عين شمس هذا التيار الذى انتقل بدوره إلى جامعتى القاهرة والإسكندرية. ففى جامعة عين شمس شجع الدكتور احمد عزت عبد الكريم تلاميذه على طرق هذا المجال بهدف تغطية تاريخ العصر الحديث والمعاصر منذ الفتوحات العثمانية فى القرن السادس عشر واقبل طلابه على التخصص فى تاريخ اقطار بعينها فى العالم العربى بدءا برسالة الماجستير فى موضوع من تاريخ بلد عربى معين ثم اتبعوها برسالة الدكتوراه فى موضوع آخر من تاريخ هذا البلد. وفى جامعة القاهرة شجع الدكتور محمد انيس تلاميذه على خوض هذه الدراسات خاصة ما يتعلق بالحركات الوطنية والتحررية. وفى جامعة الاسكندرية وجه الاساتذة احمد الحتة ومجمد السروجى وعمر عبد العزيز تلاميذهم فى هذه المجال وبفضل هذه الدراسات تكوّن بالمدرسة التاريخية المصرية خبراء ازدادوا عددا يوما بعد آخر، وأصبحت هناك دراسات علمية رصينة لجوانب هامة من التاريخ العربى. ولا يعنى هذا ان اصحاب هذا الاتجاه توقفوا فى دراساتهم عند تاريخ العرب فقد تحول بعضهم وبطريقة آلية إلى دراسة تاريخ الدولة الأم مصر إما بهدف تعميق الدراسة فى تخصصهم الأصلى او لمتابعة دراسات طلابهم الذين تخصصوا فى تاريخ مصر أو لظروف المشاركة فى مؤتمرات أو ندوات أو ما شابه ذلك، وفيما يلى نعرض لبعض هؤلاء:

الدكتور جمال زكريا قاسم:

ولد بمدينة الاسكندرية فى الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٣٢ وبعد ان تخرج فى كلية الآداب عام ١٩٥٥ التحق بالدراسات العليا فى قسم التاريخ جامعة عين شمس

واختار تاريخ الخليج العربى موضوعا لدراسته فكانت رسالته للماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٥٩ بعنوان " دولة البوسعيد فى عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٧٤١- ١٨٦١ ثم كانت رسالته للدكتوراه التى حصل عليها فى عام ١٩٦٤ بعنوان " الامارات العربية فى الخليج الفارسى" ١٨٤٠- ١٩١٤ وفى أعقاب ذلك عمل مدرسا بكلية الآداب جامعة عين شمس وتدرج فى وظائف هيئة التدريس حتى عين استاذا فى عام ١٩٧٥ كما عين عميدا للكلية فى الفترة من ٧٨- ١٩٨٠ وقد واصل الدكتور جمال بحوثه ودراساته عن الخليج فكتب عن التطور السياسى للخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية بين عامى ١٩١٤- ١٩٤٥[١]، كما كتب الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥- ١٩٧١[٢]، وبذلك استطاع ان يغطى تاريخ الخليج منذ بدايته حتى قرب أيامنا هذه. ويرجع تعمق الدكتور جمال فى فهم الاصول التاريخية للأوضاع الحالية فى الخليج إلى عدة عوامل منها اعارته للعمل بجامعة الكويت اكثر من مرة وزياراته لأكثر بلدان الخليج واتصالاته بأهله وتعرفه على مشاكلهم.

وللدكتور جمال دراسات هامة اخرى عن الخليج نذكر منها" حركة الجامعة الاسلامية وتأثيرها على امارات الخليج العربى"[٣]، وموقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء. [٤] وعلى الرغم من ان حقل الدكتور جمال الواسع هو الخليج فان دراساته لم تتوقف عند ذلك فكتب "موقف مصر فى الحرب الطرابلسية"[٥] ، و"ارنولد توينبى وناقدوه" والأزمة اللبنانية وتطوراتها، وموريتانيا (بالاشتراك) وعبد الرحمن الجبرتى سيرة وتقييم ومؤلفات مصر كامل.

---

[١] نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٧٣.

[٢] نشره معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧٤.

[٣] انظر بحوث فى التاريخ الحديث مهداه إلى الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم، القاهرة ١٩٧٥، مطبعة جامعة عين شمس ، ص ٦١ – ٧٧.

[٤] انظر المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٧ لعام ١٩٧٠ ، ص ٩٣- ١٢٧.

[٥] المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٣ لعام ١٩٦٧ ، ص ٣٠٧- ٣٤٢.

الدكتور جاد محمد طه:

ولد بالقاهرة فى فبراير ١٩٣٣ فى اسرة تحيطها هالة من العلم وبسطة فى العيش حصل على الماجستير من معهد الدراسات الافريقية فى عام ١٩٥٤ وكانت رسالته بعنوان فاشودة ثم حصل على الدكتوراه من كلية الآداب جامعة عين شمس فى عام ١٩٦٨ وكانت بعنوان سياسة بريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية ١٧٩٨ ـــ ١٩١٨ وعن رسالة الماجستير فقد تناولت المنافسة الدولية فى مجال المستعمرات الافريقية وبعثة مارشان ووصولها إلى فاشودة والمقابلة بين مارشان وكتشنر وموقف بريطانيا من هذه البعثة ، والآمال التى علقها المصريون على هذه البعثة وانهيارها بعد انسحاب مارشان من فاشودة. أما عن رسالة الدكتوراه فتناولت المنافسة الدولية فى جنوب الجزيرة العربية، والاحتلال البريطانى لعدن والجنوب العربى. والمقاومة العربية له، وانسحاب الاتراك من اليمن ، وطريقة الحكم البريطانى فى الجنوب اليمنى.

وللدكتور جاد بحوث ودراسات اخرى متعددة لا تبتعد معظمها عن سواحل البحر الاحمر ومنطقة الخليج العربى وغرب آسيا والمغرب العربى ومن ذلك نذكر " تجارة الاسلحة والذخائر على سواحل البحر الأحمر ١٨٩١- ١٩٠٤."[١] وتجارة الأسلحة فى غرب آسيا: فارس- افغانستان الخليج العربى"[٢]، و"سياسة بريطانيا فى مسقط وزنجبار ١٨٥٦- ١٨٧٣"[٣]، وبريطانيا والصومال فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. [٤]

---

[١] نشرت ضمن الكتاب التذكارى بمناسبة انقضاء عشرين عاما على سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بحوث فى التاريخ الحديث مهداه إلى الاستاذ الدكتور/ احمد عزت عبد الكريم، مطبعة عين شمس ١٩٧٦/ ص ١٢٩- ١٤٩.

[٢] المجلة التاريخية المصرية: المجلد ١٧ لعام ١٩٧٠ ، ص ١٢٩- ١٩٢.

[٣] المجلة التاريخية المصرية: المجلد ٢١ لعام ١٩٧٤، ص ١٤٧- ١٩٣.

[٤] البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص ٤٦١- ٤٨٦.

وقد عمل الدكتور جاد مدرسا وأستاذا مساعدا فى قسم التاريخ بجامعة اسيوط ثم اعير إلى جامعة محمد بن عبد الله بفاس بالمغرب لفترة، وبعدها عين استاذا بكلية الاداب جامعة عين شمس ثم تولى عمادة الكلية.

وفى عام ١٩٩٢ اعير عميدا لكلية الآداب بجامعة السلطان قابوس فى عمان، وبعدها عاد إلى جامعة عين شمس كأستاذ متفرغ.

الدكتور يونان لبيب رزق: [١]

ولد يونان لبيب بالقاهرة فى السابع والعشرين من اكتوبر ١٩٣٣ وحصل على الماجستير فى التاريخ الحديث من جامعة عين شمس فى عام ١٩٦٣ وكانت رسالته بعنوان " العلاقات الخارجية للدولة المهدية فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى كما حصل على الدكتوراه من نفس الجامعة فى عام ١٩٦٧ وكان موضوعها "السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول ١٨٩٩- ١٩٢٤" وبعدها عين عضوا بهيئة التدريس فى كلية البنات جامعة عين شمس حيث عمل مدرسا للتاريخ الحديث فى الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٤ وتدرج فى سلك المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة استاذ فى عام ١٩٧٩ كما وصل إلى رئاسة قسم التاريخ بعد ذلك.

وعلى الرغم من ان رسالتى الدكتور يونان للماجستير والدكتوراه كانتا عن السودان فان معظم كتاباته بعد ذلك كانت عن مصر فكتب عن الأحزاب السياسية فى مصر منذ نشأتها وحتى عام ١٩٨٤ ثلاث دراسات الأولى "الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢- ١٩١٤"[٢]، والثانية " الاحزاب المصرية قبل ثورة يوليو"[٣]، والثالثة " الاحزاب السياسية فى مصر ١٩٠٧- ١٩٨٤"[٤]، وفى هذه الدراسات

---

(١) الاستاذ بكلية البنات جامعة عين شمس سابقا.

(٢) نشرتها الانجلو المصرية فى عام ١٩٧٠.

(٣) نشرها مركز الدراسات السياسية بالاهرام فى عام ١٩٧٧.

(٤) نشرتها دار الهلال فى عام ١٩٨٤.

تعرض الدكتور يونان لصورة الحياة الحزبية فى مصر بشكل فتح الافاق أمام الباحثين فى هذا المجال.

وحول النظام البرلمانى فى مصر كتب " يونان لبيب " قصة البرلمان المصرى[١]، فتتبع تطوره منذ عام ١٨٦٦ وتعرض لقوانين الانتخابات فى مصر، وقام برصد بعض الظواهر البرلمانية التى تركت بصماتها على الحياة النيابية فى مصر، وقدم دراسة عن أول برلمان حزبى فى تاريخ البرلمان المصرى وهو برلمان عام ١٩٢٤.

وحول الوزارات المصرية وتشكيلاتها:

كتب الدكتور يونان دراسته بعنوان " تاريخ الوزارات المصرية"[٢]، وحول مسألة طابا وجذورها كتب " الأصول التاريخية لمسألة طابا". [٣] وحول وحدة مصر والسودان تعرض الدكتور يونان لذلك الموضوع فى كتابه " قضية وحدة وادى النيل بين المعاهدة وتغيير الواقع الاستعمارى[٤]، ابتداء من توقيع معاهدة ١٩٣٦ وحتى إجراء مفاوضات صدقى بيفن فى عام ١٩٤٦ وفيه تعرض للواقع الاستعمارى فى السودان، ومحاولات تشجيع تيار الانفصال، وردود فعل تطبيق معاهدة ١٩٣٦ على السودان وتطورات الأمور لغير صالح الوحدة بين البلدين وإلى جانب ذلك فللدكتور يونان بحوث ودراسات هامة اثرى بها المجلة التاريخية المصرية نذكر منها:

- أزمة العقبة المعروفة بحادثة طابا ١٩٠٦. [٥]
- اثر قانون المطبوعات فى الحركة الوطنية المصرية قبل الحرب العالمية الأولى. [٦]

---

[١] نشرها دار الهلال فى مارس ١٩٩١.
[٢] نشرتها مؤسسة الاهرام فى عام ١٩٧٥.
[٣] نشر بسلسلة مصر النهضة العدد الأول ١٩٨٢.
[٤] نشر معهد البحوث والدراسات العربية هذه الدراسة فى عام ١٩٧٥.
[٥] المجلد ١٣ لعام ١٩٦٧ ص ٢٤٧- ٣٠٥.
[٦] المجلد ١٤ لعام ١٩٦٨ ص ٢٥٩- ٣١٦.

- فاشوردة الصغيرة ١٨٩٩- ١٩٠٦. [١]
- اصحاب القمصان الملونة فى مصر ١٩٣٣- ١٩٣٧. [٢]
- وزارة الخارجية المصرية بين الالغاء ١٩١٤ والاعادة ١٩٢٢. [٣]

كما أن له بحوثا اخرى القيت بعض الندوات نذكر منها : الجبرتى والشخصية المصرية"[٤]، ولم تتوقف انشطة الدكتور يونان العلمية على ذلك فقد اشرف على تحقيق مذكرات عبد الرحمن فهمى[٥]، التى يصدرها مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر. وإلى جانب ذلك اشرف على سلسلة مصر النهضة التى تصدر عن مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ايضا والتى تهدف لخدمة قضايا الوطن. [٦]

ومن أبرز أدوار الدكتور يونان فى خدمة القضايا المصرية اشتراكه فى اللجنة القومية لطابا ثم هيئة الدفاع عن طابا وكان المؤرخ الأكاديمى الوحيد الذى قام بجمع الوثائق وتقديم المذكرات التاريخية خلال اثبات احقية مصر فى طابا حتى تم كسب القضية فى عام ١٩٨٨. يضاف إلى ذلك اشتراكه فى اللجنة المصرية المكلفة باثبات احقية مصر فى منطقة حلايب التى تتنازع السودان عليها.

ولم يقتصر نشاط الدكتور يونان على ذلك بل كتب دراسات تاريخية بشكل أسبوعى فى الأهرام.

المجموعة الثانية: دراسة تاريخ مصر الحديث والمعاصر:

ظلت الكتابة فى تاريخ مصر الحديث أسيرة المدرسة التقليدية الكلاسيكية إلى أن فتحت اقسام التاريخ فى الجامعات المصرية ابوابها وبدأت تتعدد مناهجها وتتنوع حتى

---

[١] المجلد ١٥ لعام ١٩٦٩ ص ١٦٣- ٢٣٢.
[٢] المجلد ٢١ لعام ١٩٧٤ ص ١٩٥- ٢٥٢
[٣] المجلد ٢٣ لعام ١٩٧٦ ٢٦٩- ٢٨٧
[٤] ندوة عبد الرحمن الجبرتى ابريل ١٩٧٤
[٥] صدر الجزء الأول منها فى عام ١٩٨٨
[٦] صدر العدد الأول منها فى عام ١٩٨٣.

ظهر ما يمكن ان نطلق عليه الباحث المحترف الذى ساهم بشكل كبير فى تخليص الكتابة التاريخية من التيار الكلاسيكى وبدأ السير مع اتجاه التيار النقدى التفسيرى الحديث وفيما يلى نعرض لبعض افراد هذا الاتجاه:

د. محمد السروجى: (١)

ساير اتجاه المدرسة الحديثة على يد استاذه الدكتور محمد مصطفى صفوت ويتضح ذلك من الرسالة التى حصل بها على الماجستير فى عام ١٩٥٧ وعنوانها الجيش المصرى فى عصر الخديوى اسماعيل ١٨٦٣- ١٨٧٩(٢)، والتى تناول فيها علاقة الخديو اسماعيل بالباب العالى والخطوات التى اتبعها فى سبيل استقلال مصر، وإطلاق يده فى الجيش، والبعوث العسكرية فى عصره، وأحوال المدارس الحربية، وديوان الجهادية وفروعه، وقوات الجيش المصرى ودورها فى مقاومة تجارة الرقيق وحركة الكشوف الجغرافية بالسودان والأزمة المالية وأثرها على الجيش. ويتضح ذلك ايضا من دراسته التى قدمها لنيل الدكتوراه وكانت بعنوان موقف مصر السياسى والحربى (٦٣-١٨٧٨) كما يتضح من الدراسات والبحوث التى كتبها فى تاريخ مصر. وقد اشرف الدكتور السروجى على العديد من الرسائل العلمية ومن الأمثلة على ذلك الدراسة التى قدمها محمود عبد العال لنيل درجة الماجستير فى عام ١٩٦٨ تحت عنوان اسطول مصر الحربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والدراسة التى قدمهما محمد الشواربى لدرجة الماجستير فى عام ١٩٧٨ تحت عنوان "حركة الفلاحين فى مصر ما بين ثورتى ١٨٨٢- ١٩١٩" والدراسة التى قدمها عثمان شعبان فى عام ١٩٧٩ تحت عنوان موقف بريطانيا من حركة الجامعة الاسلامية والدراسة التى قدمها فاروق اباظة تحت عنوان " عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩- ١٩١٨.

---

(١)الاستاذ المتفرغ حاليا بآداب الاسكندرية.

(٢)نشرتها دار المعارف فى عام ١٩٦٧ تحت عنوان الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر.

الدكتور رأفت الشيخ:

ولد في ٢٤ فبراير ١٩٣٤ بمحافظة الشرقية وحصل على ليسانس الآداب في عام ١٩٥٧ وعلى الماجستير في التاريخ الحديث في عام ١٩٦٧ وعلى الدكتوراه في عام ١٩٧١ وقد عين مدرسا بمعاهد المعلمين ثم نقل إلى الجامعة وتدرج في سلك اعضاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعة عين شمس في الفترة من ٧٢ إلى ١٩٨٢ وبعدها نقل إلى آداب الزقازيق ، وتولى عمادة الكلية عام ١٩٨٦، وخلال ذلك وطد علاقاته برابطة الجامعات الإسلامية وشاركها في إقامة العدي من الندوات الهامة، ومن مؤلفاته مصر والسودان في العلاقات الدولية وسياسة انجلترا إزاء اجلاء مصر عن السودان من ١٨٨٢- ١٨٨٥ وأمريكا والعلاقات الدولية.

وقد اشرف الدكتور رأفت على العديد من الرسائل العلمية نذكر منها: رسالة منى جعفر للدكتوراه وعنوانها " الوعى القومى في مصر عند مؤرخى القرن التاسع عشر" ورسالة محمد احمد عطية بعنوان : " دور العمل الفدائى في الحركة الوطنية المصرية ١٩٥٠- ١٩٥٤، وغير ذلك من الرسائل.

الدكتور عبد الوهاب بكر:

شرقاوى الأصل قاهرى المولد، ولد في مدينة القاهرة في السابع عشر من مارس ١٩٣٣ في اسرة تحكمها التقاليد العسكرية فوالده كان ضابطا بالجيش المصرى ، وكذلك بعض افراد اسرته. والتحق عبد الوهاب بكر بكلية البوليس (الشرطة) وبعد ان تخرج منها في عام ١٩٥٥ عمل بالعديد من الجهات الأمنية ثم استهوته الدراسات التاريخية فالتحق بقسم التاريخ في آداب عين شمس وحصل على الليسانس في عام ١٩٧٤ وعلى الماجستير في عام ١٩٧٧ ثم على الدكتوراه في عام ١٩٨٠.

وكتابات الدكتور عبد الوهاب عن البوليس والجيش المصرى تعد مرجعا أساسيا وأصيلا لكل من يتصدى لهذه الموضوعات بالدراسة خاصة وان رسالته للماجستير كانت عن "البوليس المصرى ١٨٠٥- ١٩٢٢" ثم اكمل هذه الدراسة حتى وصل إلى عام

١٩٥٢ ونال بها جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم الاجتماعية فى عام ١٩٨٩ وإلى جانب ذلك فقد كانت رسالته فى الدكتوراه عن الجيش المصرى من ١٩٣٦ إلى ١٩٥٢. ونتيجة لإلمام الدكتور عبد الوهاب باللغة التركية وإتقانه لها خاصة بعد ان درسها فى جامعة اكسفورد فقد تعرض لبعض الموضوعات فى التاريخ العثمانى، فكتب "الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، كما قام بتحقيق الدرة المصانة فى أخبار الكنانة " للأمير احمد الدمرداش كتخدا عزبان.

وإلى جانب ذلك فله دراسات اخرى نذكر منها اضواء على النشاط الشيوعى ٢١ ــ ١٩٥٢ ومصر فى النصف الثانى من القرن العشرين.

ومع كل ذلك وعلى الرغم من انتقال تيار الدراسات النقدية إلى الجيل الجديد من الباحثين الذين تعددت اتجاهاتهم وتفاوتت فقد عاد البعض إلى الدراسات التاريخية ذات الرؤية التقليدية وتمسك بتلابيبها وفيما يلى نعرض ذلك.

اتجاه مدرسة التفسير الاسلامى للتاريخ:

يرى اصحاب هذا الاتجاه ان الوعى بالتاريخ والحضارة الاسلامية هو الطريق الصحيح لاستئناف الأمة الاسلامية لدورها القيادى وان تفسير التاريخ من وجهة نظر اسلامية يقود إلى الوعى بالذات وان الخطوط الاساسية لحركة التاريخ يجب ان يصوغها القرآن الكريم والسنة النبوية فى مبادئ عامة ينبغى ان يعتمدها المفسرون منطلقا[١]، وانه يجب على جموع المسلمين الاعتماد على القيادة الواعية والأقلية المبدعة حتى يتمكنوا من السير فى الطريق الصحيح.[٢] ومن هذا المنطلق برزت كتابات عديدة بعضها من خارج الجامعة والأخر من داخلها وعلى سبيل المثال نذكر كتابات انور الجندى[٣]، ومحمد

---

[١] د. عماد الدين خليل : حول اعادة كتابة التاريخ الاسلامى، الدوحة- قطر دار الثقافة ١٤٠٦هـ ، ص ٨٩.

[٢] د. عبد الحليم عويس: فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٦، ص ٢٢، ٢٣، ٤٤.

[٣] من أبرز كتاباته فى هذا المجال ، الاسلام وحركة التاريخ، رؤية جديدة فى فلسفة الاسلام ، ١٩٦٨.

جلال كشك[١]، وطارق البشرى[٢]، من خارج الجامعة، وعبد العزيز الشناوى، ومصطفى رمضان، وعبد الجواد صابر[٣]، من داخل الجامعة

وفى عرضنا لهذا الاتجاه سنقصر الحديث على كتابات المستشار طارق البشرى نائب رئيس مجلس الدولة السابق كنموذج للدراسات التى برزت خارج الجامعة وكتابات عبد العزيز الشناوى كمثال للدراسات التى وضعها أساتذة جامعة الأزهر.

أولا: المستشار طارق عبد الفتاح البشرى:

ولد طارق البشرى بالقاهرة فى اول نوفمبر ١٩٣٣ فى أسرة تحيطها هالة دينية واضحة فجده الشيخ سليم البشرى كان عالما من علماء الأزهر المرموقين (توفى فى عام ١٩١٧) ووالده كان رئيسا لمحكمة الاستئناف[٤]، وبعد ان حصل طارق البشرى على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٣ عمل بمجلس الدولة منذ عام ١٩٥٤ كما عمل نائبا لرئيس مجلس الدولة فى عام ١٩٨٥ وتولى رئاسة ادارات الفتوى بالعديد من الوزارات المصرية ومستشارا قانونيا لعدد من الوزارات والمراكز البحثية والجامعية والعديد من الهيئات العامة.[٥]

ومع ان طارق البشرى يعد من أبرز المؤرخين الهواة، فان كتاباته تتميز بالنظرة الشاملة وبالبحث الدقيق الذى لا يقدر عليه إلا قلة نادرة من المتخصصين فى تاريخ مصر ولعل أبرز مؤلف تاريخى ظهر فى أوائل السبعينات من هذا القرن كان كتابه " الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥- ١٩٥٢.[٦]

---

[١] من أبرز كتاباته فى هذا المجال ، ودخلت الخيل الأزهر.

[٢] له كتب عديدة فى هذا الاتجاه نذكر منها المسلمون والاقباط فى اطار الجماعة الوطنية.

[٣] كان رسالته للماجستير بعنوان " دور الأزهر فى مصر ابان الحكم العثمانى، ١٥١٧- ١٧٩٨.

[٤] ضمن لقاء مع المستشار طارق البشرى بسمينار كلية البنات جامعة عين شمس فى الثلاثاء ١/٥ /١٩٩٣.

[٥]الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة ، القاهرة، وزارة الاعلام، الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٩.

[٦] نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب فى عام ١٩٧٢.

وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أن صاحبه قدم رؤية عميقة وجذابة لشتى التيارات السياسية الموجودة فى مصر فى ذلك الوقت، وتطرق إلى الظروف التى دفعت الضباط الأحرار إلى التعجيل بالتحرك وتقديم ساعة البدء إلى ليلة الثالث والعشرين من يوليو بدلا من الخامس من اغسطس ١٩٥٢. ومع أن طارق البشرى كان معجبا بالفكر اليسارى ومن غير المتحمسين للاخوان المسلمين فى هذه الدراسة فانه راجع رأيه فى كتابه " المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية الذى صدر فى عام ١٩٨٠ وكشف عن انتقاله التدريجى لصالح الحركة الاسلامية وقد اتضح ذلك ايضا فى مقدمته للطبعة الثانية لكتابه الحركة السياسية فى مصر التى صدرت فى عام ١٩٨١ فكتب مقدمة تقترب من السبعين صفحة أشار فيها إلى الأسباب التى دفعته إلى مراجعة رأيه، واعترافه بالحركة الاسلامية كعنصر أساسى وجوهرى فى إدارة دفة السياسة المصرية.

أما عن كتابه الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ــ ١٩٧٠ الذى نشرته الهلال فى عدد ديسمبر ١٩٩١ فقد عالجه بطريقة تبلور الدروس المستفادة خاصة وأن آثارها لا تزال ممتدة وأوضاعها ما زالت متداخلة فى غالب شئوننا السياسية والاقتصادية[١]، وعلى أى حال فنحن نرجع الأسباب التى جعلت طارق البشرى يعدل عن رأيه تجاه الفكر اليسارى إلى أصوله الاجتماعية خاصة وان جده الشيخ سليم البشرى كان من كبار علماء الأزهر هذا بالإضافة إلى ان المناخ العام الذى تعيشه مصر منذ بداية الثمانينات ربما كان السبب فى ذلك ايضا.

ثانيا: الدكتور عبد العزيز الشناوى: [٢]

تحمس الشناوى لهذا الاتجاه، وسار على منواله فى كتاباته خاصة بعد تعيينه استاذا للتاريخ الحديث بجامعة الأزهر فى عام ١٩٦٤ واقترابه من فكر الأزهريين وتراثهم وقد تهيأت له فرصة الكتابة المباشرة فى هذا الاتجاه عندما طلب منه التقدم

---

[١] انظر المقدمة، ص ٥، ٦.

[٢] عن تفاصيل حياته أنظر الفصل السادس

ببحثين في الندوة الدولية التي اقيمت احتفالا بالعيد الألفي لمدينة القاهرة في الفترة من ٢٧ مارس إلى ابريل ١٩٦٩ وكان عنوانهما:

١- دور الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر إبان الحكم العثماني.

٢- صور من دور الأزهر في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر.

وقد استمر الدكتور الشناوي في مسايرة هذا الاتجاه حتى وفاته فكتب " الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها كما كتب " الازهر جامعا وجامعة".

تيار دراسة التاريخ الأوربي:

اتجه بعض الباحثين المصريين إلى دراسة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ونالوا الدرجات العلمية المتميزة في هذا التخصص ومن هؤلاء نذكر الدكتور حسن عثمان والدكتورة زينب راشد وفيما يلي نعرض لهما.

الدكتور حسن عثمان: (١)

أرسلته الجامعة المصرية في بعثه دراسية إلى أوربا في عام ١٩٣٥ للحصول على درجة الدكتوراه، فالتحق بجامعة روما، واستهوته مظاهر النهضة الايطالية فدرس دانتي وتراثه وحصل على الدكتوراه في عام ١٩٣٨ وعاد إلى مصر وعمل في السلك الجامعي وله العديد من الدراسات عن اعلام النهضة الايطالية كما ترجم الكوميديا الالهية من الإيطالية إلى العربية.

الدكتورة زينب عصمت راشد: (٢)

أوفدت في بعثة إلى أوربا للتخصص في التاريخ الحديث، فاتجهت إلى دراسة التاريخ الحديث وكتبت رسالتها عن صلح باريس ١٧٦٢ , The peace of Paris

---

(١) التفاصيل عن حياته وأعماله العلمية انظر الفصل الخامس.

(٢) ولدت بمحافظة الاسكندرية في ١١ يناير ١٩١٩ وحصلت على ليسانس آداب قسم التاريخ من جامعة فؤاد الأول في عام ١٩٤٢ كما حصلت على الدكتوراه في تاريخ أوربا الحديث من جامعة ليفربول بانجلترا في عام ١٩٤٩ وعملت مدرسا بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة ابراهيم (عين شمس) في عام ١٩٥٠ واستاذا مساعدا بنفس الكلية في عام ١٩٥٦ واستاذا في قسم التاريخ بكلية البنات الاسلامية ورئيسا له ثم عميدا لهذه الكلية.

1763 وحصلت بها على اجازة الدكتوراه من جامعة ليفربول بانجلترا وقد أتاحت لها فرصة دراستها فى أوربا زيارة كثير من دور الكتب والوثائق فجمعت منها العديد من الوثائق الفرنسية والانجليزية خاصة من مكتبة الوثائق الرسمية Public Record office ومكتبة المتحف البريطانى بلندن British Museum ومكتبة جمعية الدراسات التاريخية بلندن Institute of Historical Research ومكتبة وزارة الخارجية بباريس Bibliotheuq des affaires Etrangeres, Quai d'orsay Bibliotheque Nationale وعن طريق هذه الوثائق وغيرها كتبت مؤلفاتها عن تاريخ اوربا من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ومن أبرز هذه المؤلفات نذكر :

١- المختصر فى تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر وفيه أشارت إلى جهود العالم الاوربى خلال تلك القرون الثلاثة، وما كان لها من نتائج هام فى سبيل الحرية، وتنوير العقول، وما أفادت الانسانية من كسب مادى ومعنوى، كما أشارت إلى العلاقات بين الدول الأوربية خلال تلك الفترة.

٢- تاريخ أوربا فى القرن التاسع عشر وتطرقت فيه إلى قيام الثورة الفرنسية ، وما تمخض عنها من حرية، وإلى نابليون الذى وضع بصماته على ذلك القرن، وإلى الوحدة الايطالية والالمانية وغيرها.

يضاف إلى ذلك ان للدكتورة زينب دراسة هامة بعنوان : كريت تحت الحكم المصرى ١٨٣٠ – ١٨٤٠.[١]

وخلال عمل الدكتورة زينب راشد فى حقل التعليم الجامعى تقلدت العديد من المناصب من أبرزها عميدة كلية البنات الاسلامية بجامعة الأزهر ٦٣- ١٩٧٧ ورئيس مركز الدراسات الجامعية للبنات بجامعة الرياض ٧٧- ١٩٨٠.

---

[١] نشرت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية هذه الدراسة فى عام ١٩٦٤.

وعلى أية حال فانه يجدر بنا قبل أن نختتم هذا الفصل ان نذكر أننا فى عرضنا للتيارات التى سايرتها المدرسة الوطنية التاريخية فى مصر لم تتعرض لكل الأساتذة والزملاء المتخصصين فى التاريخ الحديث على الرغم من ان بعضهم لا يقل مقدرة علمية او كفاءة عن غيره من الذين تعرضنا لهم ويرجع ذلك إلى سببين:

١- أننا فى هذه الدراسة حاولنا إبراز نماذج للتيارات السائدة ولم نقصد الحصر.

٢- إن ندرة المادة العلمية الموجودة لدينا عن بعض الزملاء ربما كانت السبب فى احجامنا عن الكتابة عنهم، وهذا فى رأينا لا يعد تقصيرا منا بل يرجع السبب إلى أن بعضهم فى إعارات خارج الوطن وإلى تباطؤ البعض الأخر أو تشككه فى جدية الموضوع.

وبعد أن عرضنا للتيارات التى استقى منها افراد المدرسة التاريخية اتجاهاتهم فى كتابة تاريخ مصر الحديث والمعاصر والتى أطل معظمهم عليها من نافذة أوربية عظيمة الارتفاع فانهم كانوا فى معظم الأحيان فى حل من هذا الارتباط وقيوده خاصة، وان المؤرخ لا يستطيع أن يتجرد من حصيلته الثقافية ووضعها الجغرافى او يتقمص بديلا أجنبيا عن أحدهما او كليهما، مهما طرأ عليه من طارئ عابر وقتا ما لأن ثقافته وجغرافيته تتكون منهما نافذته، التى يستنشق منها المعلومات والماديات من أصناف المعرفة والحياة اليومية[١]، وبمعنى آخر استحالة ان يتجرد المؤرخ من ذاته وانتماءاته الفكرية والعقائدية عند تقييمه لفترة تاريخية معينة خاصة وانه يعكس فكرة فى اطار زمانه ومحيطه الثقافى، ويعود غالبا إلى نفسه التى تعد المقوم الأساسى لتقويم الأحداث، فالذاتية قائمة فى جذور التاريخ لأنه فى تكوينه ليس إلا علم التجارب البشرية والمعارف الانسانية ومعنى ذلك انه لا المحترف ولا الهاوى من المؤرخين يستطيع ان ينزع نفسه كلية من أحاسيسه نحو وطنه وعقيدته وأهله وبيئته.

---

(١) انظر تصدير ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة لكتاب المؤرخ الانجليزى هربرت فشر تاريخ اوربا فى العصور الوسطى القاهرة دار المعارف ، ١٩٥٠.

وقبل ان ننتقل إلى الفصل الرابع ينبغى ان نذكر ان إنشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى الثلاثين من يوليو عام ١٩٤٥ قد ساعد على تنظيم الدراسات التاريخية فى مصر وتشجيعها خاصة وان الجمعية تعمل منذ نشأتها على إقامة سلسلة من المحاضرات التاريخية والجلسات العلمية التى تتسم بالتنوع والتجديد وتبادل الآراء ونشر الثقافة التاريخية. [١]

---

[١] للتفاصيل انظر : كتابنا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، دراسة تاريخية لمؤسسة علمية القاهرة، ١٩٨٥.

الفصل الرابع

المدرسة التاريخية الوطنية بين المنجزات والمعوقات

* صبري السربوني وأسباب إبعاده عن الجامعة * ثورة يوليو والكتابة التاريخية * أساتذة التاريخ في الجامعات المصرية ومحالات بعضهم إصلاح المسار وموازنة الأمور * الدعوة لإعادة كتابة تاريخ مصر * المعوقات ومحاولة استغلال التاريخ في خدمة السياسة * وقفة صريحة مع النفس

نجحت المدرسة التاريخية المصرية إلى حد كبير في إنقاذ تاريخ مصر الحديث من التشويه سواء قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو أو بعدها، وتمسك معظم أفرادها إلى حد كبير بالموضوعية رغم عوامل القهر وركوب البعض موجة النفاق.

فقبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تعرض الدكتور محمد صبري للابعاد عن سلك التدريس في الجامعة – رغم أنه كان أول مصري يحصل على دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث من السربون – لأنه ذكر في كتابه الثورة المصرية أن الملك فؤاد لا شعبية له، ولأنه لم يعرف كيف يسبح مع التيار. وبعد قيام الثورة إنتشرت ظاهرة التملق لها من البعض وتعرض تاريخ مصر الحديث لأزمة كبيرة سببها سوء القصد أحيانا وسوء الفهم احيانا اخرى فشوه تاريخ معظم زعماء ما قبل الثورة كما انحرف التاريخ المصري عن مساره لفترة، وبدأت مواكب النفاق تزحف للتسلق والتمسح بالثورة ومناهضة الحكم الملكي، ودمغ الماضي إجمالا، وكتب البعض مؤلفات لاسترضاء قادة الثورة، ووضعوا أنفسهم تحت تصرفهم لا يكتبون ولا يدرسون إلا إذا كان فيما يكتبونه او يدرسونه مؤازرة للسلطة السياسية وبلغ الأمر بالبعض ان قال ان تاريخ مصر الحديث يبدأ بثورة ٢٣ يوليو وما قبل ذلك يجب نسيانه هذا على حين ان ثورة يوليو ما كان لها ان تقوم إلا على دعائم من نهضة مصرية حقيقية قامت في الثلاثين سنة السابقة على قيام الثورة وأخذت الكتابات الملتهبة ضد أسرة محمد علي تغرق الأسواق كما ظهرت بعض الكتابات

التى ترفع من ثورة عرابى وتعطيها أكثر من قدرها وتغفل سعد زغلول وثورة ١٩١٩ لأن الثورة تقف من حزب الوفد موقف العداء بدلا من اعتبارها مكملا له فاتهم كتاب "الميثاق" سعد زغلول بأنه ركب الموجة الثورية فى عام ١٩١٩ واتهموا القيادة الثورية بانها أغفلت مظاهر التغيير الاجتماعى، وبأنها لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء لأنها لم تدرك أن مصر جزء من الأمة العربية وبأنها فشلت فى فهم التاريخ وفى فهم العدو الذى تحاربه حين عزلت حركتها عن الحركة العربية مما مكن القوى الاستعمارية من أن تتعامل مع أمة عربية مفككة الأوصال وبذلك إنتهت الثورة بإعلان إستقلال لامضمون له وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال ثم جاءت معاهدة ١٩٣٦ فكانت بمثابة صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة ١٩١٩. (١)

ولم يحد من طغيان هذه الظاهرة سوى بعض أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية الذين حاولوا موازنة الأمور، ووضع حقبة الثورة فى مسارها العام، فأوضحوا أن الحاضر مهما كان خلافه مع الماضى فهو وليد فى أحشائه وبالتأكيد بدأ فيه، وأن ثورة ١٩١٩ كانت ثورة حقيقية بحثت فيها مصر عن نفسها دون اعتماد على حكامها حقيقية إنه مما يؤخذ على هذه الثورة إهمالها لمظاهر التغيير الاجتماعى، أما بالنسبة لإغفالها إمكانات العالم العربى وما تردد عن قول سعد زغلول أن صفرا زائد صفر يساوى صفر فمن المعروف ان العالم العربى كله تقريبا فى ذلك الوقت كان واقعا تحت السيطرة الاستعمارية ويصعب طلب المعاونة منه.

حقيقية ان سعد لم يصنع الثورة، لأن أى فرد لا يمكنه ان يصنع ثورة، خاصة وان الثورة نتاج عدة عوامل موضوعية لابد من توافرها، وحقيقة ان سعدا لم يستطع الحصول على استقلال مصر الكامل، ولكن هذا لم يكن بسبب تقصير منه بل لأن القوى المعادية لمصر كانت أكبر من قدراته ومن قدرات أى زعيم مصرى فى ذلك الوقت.

---

(١) انظر: المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، الميثاق ٢١ مايو ١٩٦٢.

ومضت الحركة التاريخية المصرية فى تصحيح المسار بمقدار ما سمحت به الظروف ثم أخذت تسير مسرعة أحيانا فى الطريق الصحيح، وفى الاتجاه غير الصحيح فى احيان اخرى ومما يحمد لهذه المدرسة انها نجحت فى تغيير منهج الدراسات التاريخية المصرية من دراسة المعارك الحربية وتاريخ الحكام الذين تقلدوا أريكة الحكم فى مصر، والتسبيح بحمدهم وإبراز محاسنهم، وتبرير أخطائهم إلى دراسة أحوال الشعب المصرى الاجتماعية والاقتصادية، ودوره فى صنع الأحداث بدرجة ساعدت على إحياء الماضى فى الأذهان فى صورة تمس الحياة الحقيقية للشعب المصرى خلال تاريخه الحديث.

وخلال ذلك برزت الصيحات لإعادة كتابة تاريخ مصر القومى بدأها الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتابه بناء دولة محمد على- السياسية الداخلية[1]، فيقول فى تصديره للكتاب " كنا وما نزال نعتقد أن تاريخنا القومى، والحديث منه خاصة فى حاجة ملحة إلى أن يكتب على ضوء جديد فقد تآزرت عوامل شتى على مسخه وتشويهه حتى لم تعد تبدو منه غير صورة مضطربة المعالم والسمات، وليس من سبيل إلى معالجة هذا الاضطراب إلا بمعاودة النظر فى ذلك التاريخ لكشف ما خفى من حقائقه، وتفصيل ما أجمل من دقائقه فى حدود الأمانة العلمية التى تستهدف تسجيل الحوادث وتفسير البواعث، تسجيلا يطابق الواقع وتفسيرا لا تحامل فيه ولا محاباه، ولما كان هذا الاتجاه السليم فى دراسة تاريخنا القومى لم يجد الطريق أمامه حتى الآن معبده ممهده فمن الواجب ان تتضافر الأيدى، وتتساند الجهود لإزالة ما يكتنف هذا الطريق من صعاب وعقبات" كما أوضح أنه أسهم بنصيب واضح من تلك الجهود عن طريق تأليفه لهذا الكتاب[2]، خاصة وأنه تعرض فيه لأحوال مصر الداخلية من النواحى الاقتصادية والثقافية والادارية.

---

(1) صدر عن دار الفكر العربى فى عام ١٩٤٨ وشارك فى تأليفه عبد المقصود العنانى، وسيد محمد خليل.

(2) انظر التصدير، ص (أ).

واستمر الدكتور شكرى فى كتاباته بعد ذلك على هذه الوتيرة ففى كتابه " عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر "[1]، الذى صدر فى عام ١٩٥٢ رسم شكرى صورة واضحة لأحوال المجتمع المصرى ولحياة المصريين الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية.

وفى كتابه " مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١- ١٨١١"[2]، ساير هذا الاتجاه بشكل واضح ايضا.

يضاف إلى ذلك انه قام بتدريس الفكر الاشتراكى بما فى ذلك الفكر الماركسى كجزء من تاريخ اوربا فى القرن التاسع عشر منذ أوائل الأبعينات من هذا القرن لطلابه بقسم التاريخ بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) حيث لفت انظار طلابه لأهمية هذا الفكر وطريقة تناوله وقارن بينه وبين النظريات السياسية الأوربية الأخرى. [3]

أما عن الصيحة الثانية فقد برزت بعد اعلان الميثاق الوطنى فى ٢١ مايو ١٩٦٢ والذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، وانحصرت فى مهاجمة الملكية والاقطاع والاستعمار والتركيز على مبادئ الثورة الستة وإثبات أن الشعب هو المعلم الأكبر الذى اجتاز رواسب المجتمع الاقطاعى والرأسمالى إلى المجتمع الاشتراكى والتحول العظيم[4]، وما أعقب ذلك من إقرار المجلس الأعلى للجامعات فى يوليو ١٩٦٢ برنامجا للدراسة يقوم على ما يسمى بالمقرر القومى حيث بدأ أساتذة التاريخ الحديث فى الجامعات المصرية يدرسون ثورة ٢٣ يوليو والاشتراكية العربية وغيرها ضمن المقررات القومية التى فرضت عليهم ويتغنى بعضهم بمكاسب الثورة وانجازاتها وتشويه تاريخ زعماء الوفد وغيرهم من المغضوب عليهم رغبة فى

---

[1] نشرته مكتبة الخانجى فى عام ١٩٥٢.

[2] نشرته جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٨.

[3] د. على بركات: المقال السابق، ص ٨٣.

[4] الميثاق الوطنى: الباب الأول تحت عنوان " نظرة عامة".

التقرب من السلطة الحاكمة فذكر بعضهم انه " بقيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ انتصرت أسطورة العدالة الاجتماعية. [١]

ولم يقتصر الأمر فى ذلك على أساتذة التاريخ الحديث بل تعداه إلى بعض أساتذة العصور الوسطى[٢]، وأساتذة كلية الحقوق[٣]، فألفوا الكتب عن ثورة يوليو، وقاموا بتدريسها لطلابهم ضمن المقررات القومية.

وبالنسبة للصيحة الثالثة فقد ظهرت بعد قوانين يوليو الاشتراكية فى عام ١٩٦١ وقد تبنتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى نوفمبر ١٩٦٥ وعقدت لها أربع ندوات مفتوحة حول موضوع إعادة التاريخ القومى، وفتحت من أجل ذلك الطريق للمناقشات التى اشترك فيها الكثير من المتخصصين، ومن ضمن ما طرح فى هذه الندوات هل نبدأ تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى أم من الحملة الفرنسية، ولماذا لم نكتب تاريخنا القومى من وجهة نظر اشتراكية[٤]، خاصة وان تاريخ الشعب المصرى كقوى اجتماعية لم يكتب.

يذكر الدكتور عبد العظيم رمضان فى تعليقه على هذه الندوة أنه على الرغم من أن مصر فى تلك الفترة كانت تقود حركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر إلا أن مفهوم إعادة كتابة التاريخ القومى فى أذهان الغالبية العظمى من المشتركين كان قاصرا على التاريخ المصرى وليس التاريخ العربى. [٥] ومع انه يمكن الرد على هذا التعليق بان تجربة الانفصال وفشل الوحدة المصرية السورية كانت لا تزال عالقة فى الأذهان، فإن فكرة الوحدة ظلت أملا يراود الكثيرين.

---

[١] زينب راشد وآخرون: ثورة ٢٣ يوليو والتطوير الايديولوجى.

[٢] من هؤلاء الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.

[٣] من هؤلاء الدكتور سليمان الطماوى.

[٤] للتفاصيل انظر: المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث عشر، ١٩٦٧ تحت عنوان: ندوة اعادة كتابة التاريخ القومى موجز أعده الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى، ص ٣٤٥- ٣٦٩.

[٥] عبد العظيم رمضان : علم التاريخ بين الموضوعية والذاتية محاضرة القيت بالموسم الثقافى للجمعية التاريخية فى ١٩ مارس ١٩٧٩، ص ٢٩.

وفي أعقاب ذلك برزت المدرسة المادية في تفسير التاريخ وتبناها في جامعة القاهرة الدكتور محمد انيس ومهد له بمقالات في مجلة الكاتب عام ١٩٦٥، وبدراساته التي القاها على طلابه بمعهد الدراسات الاشتراكية بمصر الجديدة[١]، كما برزت الكتابات في تاريخ مصر الاجتماعي وسارت الأمور على هذا المنال حتى وفاة الرئيس عبد الناصر في عام ١٩٧٠ وبعدها برزت عدة اتجاهات هامة منها الدعوة لاعادة كتابة تاريخ مصر الحديث عن طريق لجنة رسمية يتم تكليفها من قبل الدولة ويكون لها القول الفصل والحكم القاطع فيما تكتبه، ومنها أيضا قرار الرئيس السادات برفع الرقابة على الكتب والصحف.

وبالنسبة للموضوع الأول فقد قام الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام آنذاك بتشكيل لجنة بهدف جمع وثائق حكم عبد الناصر والتأريخ لهذا الفترة وكان ذلك بعلم الرئيس السادات، وعقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات ثم توقفت أعمالها نتيجة لاختلاف وجهات النظر بين هيكل رجل عبد الناصر الذي أراد إبراز الدور الناصري من خلال الكتابة عنه والسادات الذي أراد إضعافه بأن تبدأ اللجنة أعمالها بالتعرض لهزيمة يونيو ١٩٦٧ وتحليل أسبابها، وفي اعقاب ذلك شكل الرئيس السادات لجنة اخرى برئاسة نائبه محمد حسني مبارك انتقلت رئاستها بعد ذلك لآخرين[٢]، وكان من أبرز قوانين هذه اللجنة عدم الاطلاع على الوثائق الرسمية إلا بعد مرور خمسين عاما على صدورها مما وقف حجر عثرة أمام دراسة تاريخ مصر المعاصر دراسة أكاديمية ، وأدى إلى تجميد دور بعض المؤسسات العلمية مما أثار العديد من التحفظات لدى المؤرخين ولا نتردد في الحكم إذا قلنا ان هذه اللجنة كانت شكلية وان دورها تسبب في الكثير من التساؤلات لذلك لم يقدر لها الاستمرار، ولم تستطع ان تكتب تاريخ مصر في النصف الأخير من هذا

---

(١) طبعت هذه المقالات والدراسات بعد ذلك في كتاب اسماه صاحبه المجتمع المصري من الاقطاع حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

(٢) ضمن تعليق د. يونان لبيب على المحاضرة التي القاها صاحب هذه الدراسة بكلية البنات جامعة عين شمس في ١٩٩٢/١٢/١٥ تحت عنوان مدرسة التاريخ المصري الحديث في القرن العشرين.

القرن كما كانت تبتغي، وجاء اغتيال الرئيس السادات فأنهى تواجدها ولم نعد نسمع عنها شيئا، وتحملت الجامعات مرة اخرى مسئولية كتابة تاريخ مصر بطريقة موضوعية.

ومن البديهى القول ان كتابة تاريخ مصر لا يجب ان يصدر بها توجيهات رسمية حتى لا تفقد موضوعيتها خاصة وان الناس أصبحوا يشكون فى كل الكتابات الموجهة وبالتالى يجب ان تترك مثل هذه الأمور للجامعات والمراكز البحثية للانفتاح على الحقيقة بكافة جوانبها حتى يمكن تحليل أحداث تاريخنا بطريقة يتوخى فيها الموضوعية والنزاهة العلمية.

لقد مضى الوقت الذى كان يكتب فيه تاريخ مصر من القصور والقلاع المحصنة، كما أنه قد مضى الوقت الذى أصبح فيه التاريخ حكرا على قلة موثوق فيها من جهة معينة خاصة وأن الشعوب فى مراحل يقظتها يزداد إهتمامها بتاريخها وتستطيع أن تميز بين الغث والسمين منه.

أما عن الموضوع الثانى والخاص بقرار الرئيس السادات برفع الرقابة على الكتب والصحف فكان من الانجازات الهامة التى أدت إلى السير بتاريخ مصر المعاصر خطوات كبيرة إلى الامام فقد حظرت الثورة الكتابة عن بعض الزعامات خاصة الوفدية، وكانت الكتابة عنها من الأمور الشائكة، كما ظل الحديث عن بعض الفترات من تاريخ مصر المعاصر من الأمور الشائكة ايضا، حتى أصدر الرئيس السادات قراره برفع الرقابة عن هذه المحظورات مما افسح المجال للخوض فى كافة جوانب التاريخ المصرى الحديث وشخصياته المختلفة ولم يعد هناك أى اعتراض على دراسة أى شخصية من زعماء مصر السياسيين قبل الثورة ولا على إنصافها وتقييم مواقفها.

ومن المعوقات التى اقلقت بال المدرسة التاريخية المصرية فى الفترة الأخيرة ذلك الطوفان من المؤلفات حول الناصرية معها أو عليها والذى كان على حساب الدراسات المتأنية والموضوعية لتاريخ مصر المعاصر، ولكن ذلك المعوق لم يقدر له ان يعيش طويلا نظرا لأنه من الصعب تقييم أحداث عصر نعيش فيه ونشارك فى أحداثه ولم

تكتمل حلقات تطوره بعد فضلا عن أن جانبا من حقائقه وأسراره ما زال بعيدا عن ايدى الباحثين لذلك عادت دراسة تاريخ مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين إلى الجامعات مرة اخرى.

يضاف إلى ذلك ان معوقا آخر ظهر خلال الفترة الأخيرة وتزايد بشكل واضح وتمثل ذلك المعوق فيما يسمى بالمذكرات التى صدرت بأقلام بعض السياسيين أو غيرهم ممن شاركوا فى صناعة تاريخ مصر المعاصر أو شاهدوا بعض أحداثه فكتبوا ذكرياتهم أو مذكراتهم أو ما ادعوه بأنه كذلك بشكل لونوا وزخرفوا فيه مواقفهم، وانهالوا طعنا فى الآخرين المخالفين لهم، واجتهدوا فى بعض تفسيراتهم بشكل يدعو إلى الريبة وضرورة إعادة النظر فيما كتبوه ونظرا لأن العديد منها ابتعد بشكل كبير عن قواعد منهج البحث العلمى وأهدافه فنحن لا نقبل هذه الكتابات بوصفها تاريخا، وإنما بوصفها رؤية من أصحابها لبعض الوقائع قابلة للنقد والتحليل خاصة وأن المنهج العلمى فى كتابة التاريخ يقتضى التسلح بالحيدة التاريخية وعدم الجنوح تجاه فكرة معينة او أخرى مسبقة.

والسؤال المطروح هو هل من المفيد إستغلال التاريخ لتأييد مصالح سياسية معينة أم أن من حقنا ان نستهجن كل محاولة ترمى إلى استخدام التاريخ فى تحقيق أغراض أو تبرير اتجاهات بعض الساسة.

الواقع انه على الرغم من ان المؤرخ يجب ان يكون عادلا ونزيها لا يداهن ولا يرائى فانه يصعب عليه أن ينتزع نفسه من المحيط الذى يعيش فيه خاصة وان كان ذلك يمس قضايا وطنه أو مصير أمته فحتى بعض المشاهير من الكتاب والمفكرين صعب عليهم ذلك ففولتير على سبيل المثال لم يتورع فى تسخير علمه فى مناواة رجال الدين، وحتى هيوم فى كتابه " تاريخ انجلترا" تعاطف بشكل واضح مع حزب المحافظين لدرجة ان ما كتبه كان عبارة عن مجرد نشره مسهبة من نشرات حزب المحافظين.

وعلى أى حال فانه بالرغم من الجهود التى بذلتها المدرسة التاريخية المصرية التى شقت طريقها بخطوات متقدمة لدرجة ان تاريخنا لم يعد حكرا على دراسات

المستشرقين بل اخذنا منهم واعطيناهم، وشاركناهم ونافسناهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجة ان الباحث الأوربى او الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع إلى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه.

هذا يعنى ان تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتباع المنهج العلمى والسير على قواعده قد اصبح أمرا واقعا ومعلما رئيسيا لا يستطيع أحد ان ينكره او يتجاهله، كما يعنى ان أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما ضخما من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر الحديث فى كافة مناحيه.

ومع كل ذلك فان المدرسة التاريخية المصرية لا تزال فى حاجة إلى وقفة صريحة مع نفسها لتقويم تجربتها، وإلى وضع النقاط على الحروف عن طريق النقد الهادف والبناء من داخلها خاصة وانها اعرف من غيرها بنفسها، وتستطيع إكمال كل نقص وسد كل ثغرة بينها خاصة وأن قواعدها لا تزال أجنبية رغم انها مغروسة فى تراب الوطن، فعلى الرغم من نجاحها فى تمصير الدراسات التاريخية المصرية فان معظم أفرادها ما زالوا يعتمدون حتى الآن على تيارات المدارس الأوربية فى تفسير التاريخ المصرى ودراسته، كما أنهم لم يتمكنوا من تطوير مناهجهم البحثية وما يتفق مع متطلبات العصر.

لذلك فنحن فى حاجة الى مدرسة تاريخية وطنية مصرية تلتزم بالمنهج العلمى وقواعده أقدامها مغروسة فى تراب الوطن، وتلفح عقولها وفكرها نسمات العصر وتياراته[١]، بما فيه من تأثيرات فكرية وتغيرات عالمية.

---

[١] د. عبد الخالق لاشين: ملاحظات نظرية حول منهج الكتابات التاريخية فى مصر المعاصرة، دراسة مقدمة إلى ندوة الالتزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩- ١٩٥٢ ، ص ٨٤.

ولكن هل يتحقق ذلك فى ظل الخلافات غير العلمية بين بعض أفرادها وبين رغبة بعضهم فى البحث عن المادة فى جامعات خليجية أكثر من اهتمامهم فى التنقيب عن الحقيقة هذا إلى جانب الاعتقاد أن النقد الجاد بات يعتبر ضربا من الحرب بين الناقد والمنقود.

الفصل الخامس

رواد التاريخ الحديث المؤسسين للمدرسة التاريخية

*محمد شفيق غربال * محمد صبرى السربونى * محمد فؤاد شكرى * حسن عثمان * احمد عزت عبد الكريم * محمد انيس

النابهون الذين يسبقون عصرهم ولا يعيشون الحاضر بعقل الماضى قليلون فى كل جيل، وكل زمان وقد تحمل عبء تطوير الحركة التاريخية فى مصر أساتذة أعلام ومؤرخون ثقات كان لهم فضل الريادة والأستاذية المبرزة، وستظل أسماؤهم مقرونة بأعمالهم فى خدمة النهضة التاريخية فى مصر، وستظل مؤلفاتهم نبراسا يهتدى به من يأتى بعدهم ويكفى أن نذكر من هؤلاء محمد شفيق غربال رائد الحركة التاريخية فى مصر، وأحد الأعلام الذين يحرصون على التجويد فإذا كتب فالدقة والجودة كانت رائده، ومحمد صبرى السربونى المؤرخ والأديب الذى عاش معظم حياته العلمية مبعدا عن وظائف التدريس الجامعى نظرا لأنه قال ان الملك فؤاد لا شعبية له، ومحمد فؤاد شكرى صاحب العديد من المؤلفات التى يشار إليها بالبنان، ومع ذلك لم يجد ثمن الدواء عندما اشتد به المرض، وحسن عثمان المؤرخ الفنان المولع بالأدب الانسانى خاصة الايطالى منه، واحمد عزت عبد الكريم الذى ارتبط بتلاميذه برابطة الفكر والعلم وأخذ بيدهم إلى الامام وكان يتمتع بجانب علمه بدماثة الخلق ، ونبل الطباع، ومحمد انيس صاحب الحس التاريخى المرهف الذى تخطى الحواجز و عالج العديد من الأمور التى كانت محظورة فى تاريخ مصر، وأبرز دور الشعب المصرى فى صنع أحداث بلاده، وفيما يلى نعرض لهؤلاء الاعلام، ودورهم فى بناء المدرسة التاريخية المصرية، وفى تمصير حركة التاريخ المصرى، وفى فتح الأبواب الواسعة فى مجال الاستقراء والاستنتاج.

١-الأستاذ محمد شفيق غربال ١٨٩٤- ١٩٦١:

شفيق غربال من بقايا الزمن الجميل الذى أفنى حياته فى تكوين جيل من المؤرخين، وأثر العيش فى خلوته بين كتبه وتلاميذه.

ولد شفيق غربال بمدينة الاسكندرية فى عام ١٨٩٤ ونشأ وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارسها ثم اختار الالتحاق بمدرسة المعلمين الخديوية العليا بالقاهرة حيث وجد فيها – كما يذكر – المعهد الذى يصله بالدراسات الانسانية، وتخرج فيها عام ١٩١٥ ثم أوفدته الحكومة المصرية فى بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث بجامعة ليفربول بانجلترا إبان الحرب العالمية الأولى، ومع فداحة الأخطار التى كان يتعرض لها العالم فى خلال هذه الفترة، وعلى الرغم من مصاعب السفر خلال تلك الآونة، فان غربال لم يتردد فى الذهاب إلى انجلترا ليواصل دراسته للتاريخ هناك(١) ، وقد استطاع ان يثبت مقدرته فحصل على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف فى عام ١٩١٩ وعاد إلى مصر ليعمل مدرسا باحدى المدارس الثانونية بالإسكندرية لمدة ثلاث سنوات اوفد بعدها مرة اخرى إلى انجلترا للدراسة الحصول على الماجستير بجامعة لندن ثم بمعهد البحوث التاريخية التابع لهذه الجامعة، وخلال ذلك التقى بالمؤرخ البريطانى الشهير "أرنولد توينبى" الذى كان يشرف على بحوث الدراسات العليا هناك، ويذكر توينبى انه منذ لقائه الأول به وجد فيه طالبا موهوبا وانه تعلم من شفيق غربال اكثر مما علمه، وانه تنبأ بانه سيكون فى المستقبل حياته باحثا وأستاذا، كما تنبأ له بمسلكه الأخلاقى الذى تميز به، وبكونه موضوعى التفكير ، مستقلا فى الرأى ذا حزم وعزم فيما يتصل بالعمل الذى يتناوله.(٢)

ومن المعروف ان توينبى أشرف على رسالة غربال للماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٢٤ وكانت بعنوان The beginning of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali وبعد أن عاد غربال إلى مصر فى عام ١٩٢٥ عين مدرسا للتاريخ الحديث فى مدرسة المعلمين العليا، وهناك بدأ فى تدريس تاريخ

---

(١) من كلمة الاستاذ محمد فريد أبو حديد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى حفل تأبين الاستاذ محمد شفيق غربال.

(٢).انظر كلمة الاستاذ ارنولد توينبى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة اثناء تأبين الاستاذ غربال.

الحضارة الاسلامية والكتابة فى هذا المجال[1]، ثم نقل أستاذا مساعدا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٢٩ ثم ما لبث ان رقى بها أستاذا للتاريخ الحديث فى عام ١٩٣٦ فكان بذلك اول مصرى يتولى هذا المنصب بالجامعة خلفا للمؤرخ الانجليزى " جرانت" ومن هنا بدأ غربال يشق طريقا طويلا فى خدمة الدراسات التاريخية المصرية، وفى نقل الاشراف على هذه الدراسات من يد القصر الملكى والمؤرخين الأجانب إلى يد الجامعة فبدأ فى تكوين المدرسة التاريخية المصرية، وتمصير الدراسات الخاصة بالتاريخ المصرى وخاصة بعد إنشاء الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه بالجامعة وإشرافه وتوجيهه للبحوث التاريخية.

وقد تمكن غربال بفضل مقدرته العلمية، ودقة ملاحظة وقوة تأثيره على طلابه، ان تكون له الريادة الفكرية للمدرسة التاريخية فأقبل عليه تلاميذه بشغف يلتفون حوله وأخذ يمنحهم من علمه وفكره ما ينير لهم السبيل دون ان يضن على أحد منهم بما يعلمه او يصد عن بابه طالب علم، فدفع ذلك تلاميذه إلى السعى للحاق به والسمو إلى قرب قمته عن طريق الحرص على الاجادة وتوخى الدقة[2]، ولم تقتصر جهود غربال فى الجامعة على الناحية العلمية بل تعدتها إلى نواحى النشاط الاجتماعى حين صار وكيلا للاتحاد العام لطلاب الجامعة المصرية[3]، وبذلك كان لغربال فضل عظيم فى توجيه أجيال متعاقبة من تلاميذه الذين أخلصوا له الاجلال والتقدير وامتد فضله عن طريقهم إلى العديد من ابناء هذه الأمة. [4]

أما عن الرسائل العلمية التى اشرف عليها غربال فهى متعددة وقد ارتبط جلها بالعصر العثمانى وعصر محمد على ويرجع ذلك إلى انه بسبب اهمال المؤرخين دراسة هذه الفترة فى ذلك الوقت دعا غربال طلابه إلى الاهتمام بدراسة التاريخ العثمانى

---

[1] كتب غربال فصلا بالانجليزية عنوانه " الاراء والحركات فى التاريخ الاسلامى. , Ideas Movements in Islamic History ضمن كتاب منشور ظهر فى امريكا فى عام ١٩٥٨ وعنوانه " الاسلام الدين القويم".

[2] المجلة التاريخية المصرية، المجلد التاسع عشر ١٩٧٢ مقال للدكتور احمد عزت عبد الكريم تحت عنوان محمد شفيق غربال استاذ جيل وصاحب مدرسة، ص ٢٦

[3] مذكرة مقدمة من كلية الآداب جامعة القاهرة بترشيح الأستاذ غربال لجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠.

[4] ابو حديد: المقال السابق، ص ١٥٤- ١٥٥.

باعتباره مدخلا لدراسة التاريخ المصرى الحديث ووجههم كذلك إلى الاهتمام بدراسة تاريخ القرن التاسع عشر بصفة عامة، وعصر محمد على بصفة خاصة نظرا لأن نبض الحياة المصرية قد اشتد فى ذلك العصر، وكانت التطورات السريعة والمتلاحقة التى وقعت بمصر خلاله قد احدثت فيها ما يشبه الثورة فى كافة مناحى الحياة.

نتيجة لذلك خرج على يد غربال العديد من الدراسات الأكاديمية فى هذه الموضوعات نذكر منها الدراستين اللتين قدمهما محمد رفعت رمضان ونال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه وهما " ثورة على بك الكبير"(١)، و "مصر والدولة العثمانية دراسة تاريخية للعلاقات السياسية بين الطرفين من ١٨٥٠- ١٨٦٣".

والدراسة التى قدمها حسن عثمان للماجستير تحت عنوان " فخر الدين بن معن الثانى امير لبنان".

والدراستين اللتين أعدهما أحمد الحتة للماجستير والدكتوراه "الفلاح المصرى فى عهد محمد على" و "تطور الزراعة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر".

والدراستين اللتين قدمهما احمد عبد الكريم ونال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه وهما" تاريخ التعليم فى عصر محمد على"، وتاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على إلى أوائل حكم توفيق(٢).

والدراسة التى أعدها ابو الفتوح رضوان للماجستير وعنوانها: " تاريخ مطبعة بولاق" والدراسة التى قدمها محمد محمد توفيق للماجستير تحت عنوان: " مصطلح وثائق تاريخ الحكم العثمانى فى مصر(٣) والدراسة التى اعدها فائق جبرة للماجستير

---

(١) نشرت هذه الدراسة فى عام ١٩٥٠ وهى تعالج فترة غامضة من تاريخ مصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، وتوضح انه فى عهد على بك الكبير أصبحت لمصر شخصية متميزة فلاول مرة فى العصر العثمانى الأول اتصلت مصر مباشرة بالسياسة الخارجية فنجح على بك فى عقد اتفاقيات جمركية مع الانجليز، كما حاول عقد معاهدات سياسية مع روسيا وجمهورية البندقية، للتفاصيل انظر: محمد رفعت رمضان: على بك الكبير القاهرة، ١٩٥٠، ص ٢٣٣.

(٢) طبع فى خمسة اجزاء، ويعد من ابرز ما كتب عن التعليم فى مصر.

(٣) قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الماجستير من كلية الاداب بجامعة فؤاد الأول وأهم ما يميزها أن بها دراسة عن خط القيرمة فضلا عن قاموس خاص بمصطلحات خاصة بالعصر العثمانى وللأسف لم يتم نشر هذه الدراسة حتى الآن واختفت النسخة الموجودة بمكتبة جامعة القاهرة.

تحت عنوان: " ضرائب الأطيان المصرية فى عهد محمد على" والدراسة التى قدمها أمين عفيفى للدكتوراه بعنوان: " تجارة مصر فى عهد محمد على".

والدراسة التى قدمها عياد دوس للماجستير بعنوان: " الفتح المصرى للسودان في عهد محمد على، والدراسة التى قدمها عبد العزيز الشناوى للماجستير تحت عنوان "السخرة فى حفر قناة السويس" ولغربال مؤلفات ليست بالكثيرة، ولا بالضخمة، ولكن ما كتبه يقترن دائما باسمه خصوصا وأنه كان يرى من الحقائق ما لا يراه غيره وإذا كتب تاريخا صاغه فى لفظ انيق فيه فطانة وبعد نظر وحسن إدراك مع دعابة لطيفة تجعل من يقرأ له يحس أنه ليس مع مؤرخ أو فيلسوف وانما مع فقيه من فقهاء التاريخ.[١]

ومن أبرز مؤلفات غربال رسالته للماجستير "بدايات المسألة المصرية وظهور محمد على"[٢]، والتى تعد حدثا علميا استرعى أنظار الأساتذة والباحثين، خاصة لأنها اتسمت باستقراء الأحداث والفحص العلمى والمقارنات، والناحية التحليلية وكثرة المصادر والأسانيد، كما اتسمت بالحياد فى تقويم الأشخاص والبعد عن التحامل والعواطف.

وقد استطاع غربال فى هذه الدراسة تناول التطورات السياسية فى مصر منذ الحملة الفرنسية حتى وصول محمد على إلى الباشوية، وأثبت أن المسألة المصرية كانت جزءا هاما من المسألة الشرقية، وأنه لا يمكن فهم هذه المسألة إلا إذا ربطنا بينها وبين ما كان يجرى فى الدولة العثمانية وأوربا وهى الطريقة التى سار عليها أستاذه توينبى فى مؤلفاته وهى أنه لا يمكن للباحث أن يدرك كنه حقيقة تاريخ أمة من الأمم إذا هو قصر بحثه على تاريخ هذه الأمة خاصة وأن حوادث العالم متشابكة، وتظل هذه الفترة محور اهتمام غربال ففى عام ١٩٣٢ كتب بحثا بعنوان: " الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر فى عام ١٨٠١". اهتم فيه كما يتضح من عنوان الدراسة بدراسة شخصيتين هما المعلم يعقوب حنا أو الجنرال المصرى يعقوب، والفارس الايطالى لاسكاريس والمعروف ان الجنرال يعقوب عاصر الحملة الفرنسية، ودخل فى

---

(١) حسين مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، دراسة فى علم التاريخ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ٢٠٤.

(٢) لا تزال هذه الدراسة باللغة الانجليزية ولم تترجم إلى العربية بعد.

خدمة قادتها، وأن الجبرتى أشار إليه فى كتابيه "مظهر التقديس فى زوال دولة الفرنسيس" و "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" أكثر من مرة ذاكرا مساعداته للفرنسيين وتأليف فرقة من الأقباط وإنشاء قلعة لها فى الأزبكية.

أما الفارس لاسكاريس فهو نبيل ايطالى دخل فى سلك فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يتخذون من مالطة مقرا لهم، وتبع بونابرت إلى مصر، وتقلد بعض المناصب الإدارية، وكان يرى أن مصر جديرة بالاستقلال عن الدولة العثمانية بحكم موقعها وتاريخها ومواردها.

وبعد خروج الحملة الفرنسية من مصر تبعها الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس للسعى لدى الحكومات الأوربية لتحقيق استقلال مصر، ولكن يعقوب وافته المنية فى الطريق وكان نصيب مسعاه الاهمال.

ولا جدال فى ان الأستاذ غربال قد نجح فى تمحيص كل ما كتب عن هذا الموضوع، وبذل جهدا فى الوثائق التى كتبها لاسكاريس، وقدم بما كتبه خدمة للتاريخ المصرى، وألقى شعاعا على أول رؤية حقيقية لاستقلال مصر عن الدولة العثمانية.

وفى الثلاثينات من القرن العشرين نشر غربال دراسة تحت عنوان: " مصر عند مفرق الطرق- رسالة حسين أفندى الروزنامجى وتشتمل هذه الدراسة على تحقيق مخطوط بعنوان : " ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندى أحد أفندية الروزنامة فى مصر العثمانية" وهو عبارة عن أسئلة موجهة إلى "المسيو ستيف" مدير مالية مصر – خلال الحملة الفرنسية إلى حسين افندى حول احوال الفلاحة فى مصر ونظام الالتزام والضرائب، وبعض النواحى المالية وإجابات حسين افندى عليها. (١)

وقد مهدت دراسة هذا المخطوط الطريق لكل من تصدى لتاريخ مصر العثمانية بالدراسة، وأكدت ان شفيق غربال كان محققا من الطراز الأول خاصة وانه اضاف إلى

---

(١) انظر مجلة كلية الآداب: المجلد الرابع جـ١، مايو ١٩٣٦، ص ١- ٧١.

والجدير بالذكر ان المؤرخ الأمريكى ستانفورد شو Stanford shaw قد قام بنشر هذا المخطوط فى عام ١٩٦٤ تحت عنوان: ottoman Egypt in the Age of French Revolution

المخطوط من الشروح والتعليقات ما أوضح فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى وإيمانه بدور مصر الحضارى.

ويستمر غربال فى دراسته عن هذه الفترة فيخرج كتابا بعنوان محمد على الكبير[1]، وفيه وصف للمناخ الذى كانت تعيشه مصر قبيل عصر محمد على، ونجاح محمد على فى إقامة سلطة مركزية تجمع كل القوى المتصارعة فى إطار واحد، وقيامه بحركات إصلاحية وعمرانية واسعة فى شتى المناحى حتى عادت مصر كما كانت مهدا للحضارة، كما وصف الصفوة المثقفة التى أرسلها محمد على إلى أوربا لدراسة العلوم الحديثة وعادت إلى مصر لتطبيق العلم على العمل بأنها ساعدت فى النهوض بالزراعة والصناعة وبناء الجيش والأسطول وأخذت عبقريتها تدب فى جسم مصر وروحها كما تدب الخميرة فى العجين، وأوضح أن ما قام به محمد على من اصلاحات فاق ما كان يقوم به الفرنسيون لو امتد حكمهم فى مصر، ثم أرجع نجاح محمد على فى اصلاحاته وفشل السلطان العثمانى محمود الثانى فى الاصلاحات التى قام بها فى تركيا إلى ان محمد على كان يعتمد على ثلاثة أسس وهى: القوة ، والعلم ، والمال فى حين اعتمد السلطان العثمانى على القوة العسكرية وحدها.

أما عن مساوئ السخرة والاحتكار وقصر المناصب العليا على الارستقراطية العثمانية وغيرها فقد بررها غربال بانه كان لابد من التضحية بجيل أو جيلين فى سبيل بناء حكومة قوية ومعمرة فى مصر.

وأما عن مواقف محمد على من السلطنة العثمانية وأوربا فقد تمكن غربال بفضل اتساع ثقافته ، وتمكنه من أساليب الكتابة التاريخية إلى ربط تاريخ محمد على بالأوضاع العامة فى الدولة العثمانية وأوربا، وطبيعة المؤامرات الدولية التى أحاطت به كما رأى أن محمد على وهو قائد عثمانى مسلم كان لابد له من مساعدة الخليفة العثمانى على إصلاح دار الاسلام، وعلى الاحتفاظ بها مصونة ضد غزوات أعداء الاسلام، وانه ظل على ايمانه بهذا الموقف حتى فقد الثقة بالسلطان بعد صلح كوتاهية فى عام ١٨٣٣ وبدأ يفكر فى الانفصال عن الدولة العثمانية وإعلان استقلال ما يسمى عربستان أى البلاد

---

[1] نشر ضمن سلسلة اعلام الاسلام فى عام ١٩٤٤ واعادت دار الهلال نشره فى اكتوبر ١٩٨٦.

العربية عنها، ولكنه كان يتردد فى اتخاذ هذه الخطوة خشية ما يترتب عليها من المحاذير ولرفض الدول الأوربية لها.

وعند تحليلنا لما كتبه غربال عن محمد على نجد أنه تأثر تأثرا واضحا بأستاذه توينبى فى إيمانه بدور الصفوة المبدعة فى مجالات النشاط البشرى، وبنظريته عن فكرة التحدى والاستجابة Challenge and Response حين تطرق إلى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب، يضاف إلى ذلك أنه دافع عن كل اعمال محمد على وإنجازاته على حين أن هناك العديد من المآخذ على محمد على وبعض أعماله التى كان يجب عليه توضيحها لا تبريرها.

وإلى جانب ذلك نجد للأستاذ غربال دراسة قيمة تحت عنوان: " تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية الجزء الأول، بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال إلى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢- ١٩٣٦[١]، وهو كما يرى صاحبه فى مقدمته " محاولة لتركيب صورة واضحة من الحوادث، والوقائع والسياسات والخطط والبواعث والأغراض والأمانى والأحلام والشهوات التى توالت على مصر، والتى يتكون منها تاريخ العلاقات بين مصر وانجلترا.

ويلاحظ فى هذا الكتاب بصفة عامة أنه بحث علمى مدعم بالوثائق والتحليلات العلمية البعيدة عن التحيز المعروضة بأسلوب مشوق جذاب . وفى فصول هذا الكتاب تعرض غربال للمفاوضات المصرية البريطانية بصفة عامة ، وبين كيفية نشأتها وكيف رضى بها الانجليز والزعماء المصريين بوصفها وسيلة لتحقيق الأمانى وصيانة المصالح، وتعرض للأحداث التى سايرت المفاوضات، وقدم وصفا موجزا للسياسة العامة للاحتلال تجاه المصريين ثم تطرق إلى العلاقات المصرية البريطانية إبان الحرب العالمية الأولى بصورة مبدعة ووصف المبررات التى استندت إليها انجلترا كى تفرض حمايتها على مصر، وموقف الزعماء المصريين من ذلك، كما تعرض المؤلف للتحفظات الأربعة التى صحبت انتهاء الحماية فى فبراير ١٩٢٢ وتوقف عند عقد معاهدة ١٩٣٦ ومع ان كتاب الأستاذ غربال يعتبر أثرا فريدا من نوعه من حيث الموضوع وطريقة

[١] نشرته مكتبة النهضة المصرية فى مايو ١٩٥٢ اى قبيل ثورة ٢٣ يوليو بشهرين.

عرضه وتدعيمه بالوثائق، وكثرة التحليلات المدعمة بوجهات النظر المختلفة، التى تؤكد فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى فانه مما يؤخذ على هذا الكتاب ان صاحبه لم يتعرض كثيرا للظروف الدولية العامة ذات التأثير المباشر فى العلاقات المصرية البريطانية، وربما يكون قد أجل كتابة ذلك للجزء الثانى من الكتاب الذى كان يعتزم إصداره ولكنه لم ير النور فقد توفى دون أن ينتهى من كتابته.

وعلى كل حال فان لهذه الدراسة مغزى مهما وهى انها كانت المحاولة الأولى من جانب غربال للكتابة فى القضايا المعاصرة والتعرض للحركة الوطنية المصرية بعد ان كان القرن التاسع عشر وحده يحتل مكان الصدارة من اهتماماته.

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ القى غربال عشرة أحاديث باللغة الانجليزية فى البرنامج الأوربى بالاذاعة المصرية فى عام ١٩٥٤[١]، عن تكوين مصر وفيها تحدث عن محبوبته ذات الأحرف الثلاثة وهى مصر فأوضح ان مصر هبة المصريين لا هبة النيل كما قال هيردوت لأن النيل الذى تقع مصر على ضفتيه قد قطع آلاف الأميال قبل ان يصل إلى مصر ومع ذلك فلا توجد غير مصر واحدة على طول مجراه، أقامها المصريين بكدهم وعرقهم ، فهم الذين فلحوا الأرض وسقوها وزرعوها، وهم الذين أقاموا السدود والعمران فى شتى أرجائها، ولولا جهودهم هذه لتحولت مياه النيل إلى مستنقعات وأماكن خربة تنتشر منها الملاريا والأوبئة كما يحدث فى أماكن عديدة بأفريقية، ومن هنا فان البشر هم الذين صنعوا مصر ، وهؤلاء البشر الذين فعلوا ذلك هم المصريون.

كما أثبت غربال فى أحاديثه ايضا ان مصر مهد الحضارة التى تجمعت حولها كل الأحداث، وان موجات الغزاة التى وفدت إليها لم تستطع ان تفت فى عضدها او تؤثر فى شخصيتها.

ونظرا لأهمية هذه الأحاديث فقد جمعت فى كتاب صدر فى القاهرة باللغة الانجليزية فى عام ١٩٥٥ ثم ترجم إلى العربية ونشرته وزارة الثقافة المصرية فى عام

---

[١] اذيعت هذه الأحاديث بعد ذلك من محطات انجليزية وأمريكية متعددة.

١٩٥٧ كما ترجمته "كارمن رويث برافو" الباحثة بقسم الدراسات السياسية بكلية الآداب جامعة مدريد إلى الأسبانية. [١]

أما عن آخر ما كتبه غربال فكان بعنوان: "منهاج مفصل لدراسة العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم وقد بين فيه العوامل التاريخية التى أثرت فى بناء الأمة العربية وحددها فيما يلى:

١- الأثر العثمانى فى الأمة العربية.

٢- الغزو الأوربى وأثره فى الأمة العربية.

٣- التطور الداخلى للأمة العربية.

وشرح كذلك ظروف وقوع العالم العربى تحت الحكم العثمانى والظروف التى أدت إلى الغزو الأوربى للأقطار العربية والنتيجة التى خرج بها غربال من دراسته لهذا الموضوع تتلخص فى أن عوامل التدافع والتصادم بين الأمة العربية والقوى الغازية لها انجلت عن ظهور النهضة العربية الحديثة وإلى جانب ذلك فان لغربال جهودا كبيرة فى مجال الترجمة من الانجليزية إلى العربية وبخاصة فى مجال التوجيه والمراجعة والاشراف على نقل عدد من أمهات الكتب التاريخية اللازمة لتثقيف الجيل العربى وإفادة الدارسين والباحثين[٢]، كما أن له العديد من البحوث والمقالات التاريخية المنشورة فى المجلات العلمية[٣]، وفى الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية[٤]، وفى تقديمه لكتب تلاميذه وأصدقائه وفضلا على ذلك فله عدد كبير من الأحاديث الاذاعية فى موضوعات تاريخية متنوعة منها وموضوعات فى التاريخ الاسلامى ، وسلسلة أخرى عنوانها "العالم الاسلامى من المحيط إلى الخليج" لو جمعت فى صورة مدونات لكانت تراثا ضخما من المؤلفات.

---

[١] صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد، المجلد الرابع عشر مدريد، ١٩٦٧- ١٩٦٨ ، ص ٧- ٤٧.

[٢] مذكرة مقدمة من كلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح الأستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية، ١٩٦٠.

[٣] انظر على سبيل المثال مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية المجلد الثانى، العدد الأول، القاهرة، مايو ١٩٣٤ دراسة بعنوان امير سورى فى ايطاليا، ص ٧٦- ١١١.

[٤] انظر مادة (الترك) فى الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية.

وبعد أن تعرضنا لمؤلفات غربال يتضح لنا مدى قدرته وتمكنه من أصول فن التاريخ، وإدراكه لحقائق تاريخ بلده، يضاف إلى ذلك ان كتاباته تتحلى بالعمق ويتجلى فيها الموضوعية وعدم إلقاء الأحكام جزافا وأنه وإن كان قد تأثر بمدرسة توينبي كثيرا فانه لم يخضع في كثير من الأحيان لفلسفة تاريخية معينة بل كان يأخذ من كل تفسير بقدر طبيعة الدراسة التي يتعرض لها والملابسات التي تحيط بها، وحينما يتعرض لاحدى القضايا الشائكة التي تتعدد الآراء فيها، كان في معظم الأحيان لا يفرض على القارئ رأيا بعينه بل كان يستشهد بآراء من تعرض لهذا الموضوع ليبحث القارئ معه عما هو أقرب من الموضوعية وأحيانا كان يبدي رأيه في همس هادئ أبعد ما يكون عن التكلف، وأقرب إلى اللمسات الفكهة الانسانية المهذبة.

وعلى كل حال لم تكن مؤلفات غربال ومصنفاته العلمية وحدها كل ما قدمه، بل لعل أهمها تلاميذه الذين تشربوا ثمرات فكره، ونبضات عقله فقد سأله يوما أحد الأجانب عن أخر مؤلفاته وكان في مجلس العلم من تلاميذه فأشار إليهم قائلا: هؤلاء هم كتبي.[1]

هذا عن غربال وجهوده المتعددة في المجالات التاريخية اما عن أنشطته العلمية الأخرى والمناصب المتعددة التي تولاها فقد انتخب شفيق غربال وكيلا لكلية الآداب فعميدا لها في مايو ١٩٣٩ وحتى مارس ١٩٤٠.[2]

وفي عام ١٩٤٠ نقل غربال من الجامعة إلى وزارة المعارف ليبدأ مرحلة جديدة في خدمة التربية والتعليم ، وهي خدمة وطنية جليلة ، وظل هناك حتى ديسمبر ١٩٤٢ يعمل وكيلا مساعدا بالوزارة ، ثم عاد إلى منصبه بالجامعة لإدارة دفة المدرسة التاريخية.

وفي يناير ١٩٤٥ نقل إلى وزارة المعارف مستشارا فنيا فوكيلا لها إلى جانب تعيينه أستاذا غير متفرغ بكلية الآداب في فبراير ١٩٤٩ وأتاح له ذلك الالتقاء بطلابه والاستمرار في مدرسته التاريخية ثم نقل وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية لفترة أعيد

---

[1] المجلة التاريخية المصرية: مقال الدكتور عزت عبد الكريم سابق الذكر، ص ٢٥.

[2] جامعة القاهرة: دليل كلية الآداب ١٩٦٨- ١٩٦٩، ص ١٠٠.

بعدها إلى وزارة التربية والتعليم حيث نهض بنصيب كبير فى أعمال لجان المناهج بالوزارة.[1]

أما عن دور الأستاذ غربال فى إنشاء الجمعية التاريخية التى تعتبر وبحق ربيبته القريبة من قلبه فواضح وملموس فبعد عودته من بعثته بانجلترا سعى سعيا ملموسا من أجل إنشائها وحاول عن طريق حسين حسنى أحد كبار رجالات القصر الملكى اقناع الملك بأهميتها حتى صدر المرسوم الملكى فى عام ١٩٤٥ بإنشاء الجمعية وصدر بعده أمر ملكى بتعيينه نائبا لرئيس الجمعية واستمر الحال على ذلك حتى انتخب لمنصب الرئيس بعد صدور القانون رقم ٣٨٤ لسنة ١٩٥٦ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة وخلال ذلك إشرف غربال على إنشاء مكتبة الجمعية التى تدين له بالكثير من الفضل، هذا إلى جانب رئاسته لتحرير مجلة الجمعية وإخراجه لمجموعة قيمة من مطبوعاتها يضاف إلى ذلك أن الأستاذ غربال كان سباقا إلى المساهمة فى أنشطة الجمعية الثقافية فشارك فيها بمحاضراته التى كانت تتعدد أحيانا فى الموسم الثقافى فى الواحد[2]، وإلى جانب ذلك فقد ساهم فى إنشاء متحف الحضارة المصرى فى عام ١٩٤٩ والذى كان من أعظم مآثرنا العلمية، وكان المشرف على لجانه المختلفة يوجهها بآرائه وتحقيقاته كذلك مثل غربال الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات تاريخية، فقد ترأس وفد مصر إلى الجمعية العمومية لليونسكو فى عام ١٩٤٨ وانتخب عضوا بالمجلس التنفيذى لهذه الهيئة عدة سنوات فظل يمثل الشرق الأوسط لدى هذه المنظمة من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥١.

يضاف إلى ذلك ان هيئة اليونسكو اختارته فى عام ١٩٥١ لعضوية لجنة من اثنى عشرة مؤرخا من أبرز مؤرخى العالم ليكونوا مستشارين لها فى شئون تاريخ العالم وهم مشروع المؤلف الضخم الذى تكفلت به اليونسكو.

وبالإضافة إلى ذلك كان غربال عضوا بمجمع اللغة العربية فى الفترة بين عام ١٩٥٦ وسنة وفاته، كما كان عضوا بالمجمع العلمى المصرى، والجمعية الجغرافية، والمجلس الأعلى للآثار، ومركز تسجيل الآثار المصرية القديمة، وجمعية الاثار القبطية،

---

(١) ظل غربال بوزارة التربية إلى أن أحيل إلى التقاعد فى عام ١٩٥٤ بعد أن بلغ الستين.

(٢) للتفاصيل انظر كتابنا: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة علمية لمؤسسة ثقافية، القاهرة، ١٩٨٥.

ولجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ورئيس الشعبة التاريخية للجنة الثقافة التابعة لجامعة الدول العربية.

هذا إلى جانب انه رأس مجلس مديرى الموسوعة العربية الميسرة فيما بين عامى ١٩٥٩ – ١٩٦١. (١)

وعلى الرغم من مشاغل غربال فى وظائفه التى استنفدت الكثير من وقته ظلت صلته بالدراسات التاريخية مستمرة واستمرت مدرسته التاريخية القائمة على حب البحث والتزام المنهج العلمى قائمة. (٢)

وبعد تقاعده تولى منصب مدير معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية فبعث فيه الحركة والنشاط، ووثق علاقاته بالهيئات العلمية والجامعية التى لم تعرف قبل غربال ان هناك معهدا بهذا الاسم، كما نهض المعهد فى عهده نهضة علمية كبيرة. (٣)

يضاف إلى ذلك ان غربال عمل على توجيه طلابه بالمعهد توجيها علميا فأخذ يشرف على عدد كبير من الرسائل التاريخية فى المعهد يتناول تاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر حتى خرجت على يديه موضوعات عن العرب والترك (١٩٠٨-١٩١٦) وتاريخ الوحدة العربية حتى عام ١٩٤٥ والمسألة المراكشية ١٩٠٢- ١٩١٢ واليمن فى عهد الامام يحى ١٩١١- ١٩٤٨ وغيرها.

وظل غربال يشغل منصبه فى هذا المعهد بجدارة وهمة حتى يوم وفاته فى ١٩ اكتوبر ١٩٦١ بعد مرض قصير لم يمهله إلا أياما فذهب إلى جوار ربه فبكاه أصدقاؤه وتلاميذه ومقدرو علمه وعارفو فضله. (٤)

---

(١) مذكرة مقدمة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بترشيح الاستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠.

(٢) المذكرة المقدمة من الجمعية التاريخية سابقة الذكر.

(٣) محمد مهدى علام: مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما، المجمعيون القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٨٠.

(٤) Abdel Rahman Zaki: Mohammed shafik Ghorbal 1894- 1961 . Cairo , 1962.

ومما سبق يتضح ان شفيق غربال كان مؤرخا وعالما من الطراز الأول يستقرئ الحضارات كما يستقرئ الوثائق والنصوص، وأنه مصرى اصيل عمل فى تواضع ورحابة افق على النهوض بالدراسات التاريخية فأرسى قواعدها ووجهها التوجيه العلمى السليد ، كما يتضح أن جهوده لم تقتصر على إنعاش الدراسات التاريخية فى مصر بل تعداها إلى المشاركة فى الحركة الفكرية بكل جوانبها وأبعادها، فكان بحق المثل الأعلى للأستاذ الجامعى الذى يحق لمصر ان تفتخر به.

٢-الدكتور محمد صبرى السربونى

١٨٩٤- ١٩٧٨ [١]

مؤرخ مصرى مرموق من جيل العمالقة ذلك الجيل الذى حمل راية التنوير، وكان بمثابة المصابيح الهادية من زمن لم يميز معظم أفراده بين النور والظلمة ولا يفرق بين النعمة والنقمة ، وقد عرف بالسربونى نسبة إلى جامعة السربون بفرنسا التى تلقى العلم فيها وقد غلب عليه هذا اللقب خاصة وأنه كان أول مصرى يحصل على شهادة الدكتوراه فى التاريخ من السربون.

وقد ولد الدكتور صبرى فى مدينة المرج بالقليوبية[٢]، وتعلم فيها القراءة والكتابة ثم تلقى دراسته فى القاهرة فحصل على الابتدائية من مدرسة النحاسين، ثم التحق بالخديوية الثانوية، وفشل فى الحصول على البكالوريا منها ثم تحقق له ذلك عن طريق نظام المنازل.

وبعد ان حصل على البكالوريا سافر فى عام ١٩١٣ على نفقته إلى فرنسا للدراسة، والتحق بجامعة السربون وتخصص فى دراسة التاريخ الحديث بغرض الحصول على درجة الليسانس التى كانت تكلف من يطلبونها من المصريين عناءً ثقيلا خاصة وانهم كانوا يكلفون بدراسة اللاتينية ليؤدوا فيها امتحانا تحريريا، ولم

---

(١) ذكر البعض ان مولده كان فى عام ١٨٩٠ انظر على سبيل المثال فتحى رضوان: افكار الكبار.

(٢) احمد حسين الطماوى: صبرى السربونى سيرة تاريخية وصورة حياة، القاهرة، أعلام العرب ١٩٨٦ ص ٢٤ علما بان موطن أسرته الأصلى هو مدينة بلبيس شرقية.

تكن اللاتينية تدرس فى مصر لا فى المدارس الثانوية ولا فى المدارس العالية وكان على الطلبة المصريين مجاراة زملائهم من الطلاب الفرنسيين فى هذه اللغة التى لم يسمعوا بها قبل وصولهم إلى فرنسا على حين كان الطلاب الفرنسيون يدرسونها فى مدارسهم الثانوية، ثم يدرسونها فى الجامعة قبل ان يتقدموا لامتحان الليسانس. (١)

وعلى أى حال فقد تقدم صبرى لامتحان الليسانس فى عام ١٩١٨ وهو نفس العام الذى تقدم فيه الدكتور طه حسين لهذه الدرجة ونجح طه حسين ولم يوفق محمد صبرى فى هذا العام لرسوبه فى اللاتينية. (٢)

وفى أثناء وجود صبرى فى باريس التقى بأعضاء الوفد المصرى الذى حضر إلى مؤتمر الصلح للدفاع عن حقوق مصر وعرض مطالبها، وكان من أشد المتحمسين لسعد زغلول فعمل سكرتيرا له خلال فترة وجوده بباريس مما كان له تأثيره على أحكامه التاريخية عن هذا الزعيم المصرى.

وبعد ان حصل صبرى على دكتوراه الدولة من جامعة السربون عاد إلى مصر فى عام ١٩٢٥ حيث عمل مدرسا للتاريخ بمدرسة المعلمين العليا ثم فى الجامعة المصرية عند افتتاحها ونظرا لأنه كان من غير أهل الثقة لدى القصر الملكى الذى كان يكن له الكثير من الكراهية خصوصا وأنه كان قد قال عن الملك فؤاد بأنه ملك بلا شعبية- نقل من الجامعة إلى دار العلوم فى عام ١٩٢٧ ثم ابتعد عن السلك الجامعى فعمل مديرا للبعثة التعليمية فى جنيف وتولى إدارة المطبوعات المصرية بالنيابة وفى عام ١٩٥١ عين مديرا لمعهد الوثائق والمكتبات التابع للجامعة المصرية. (٣)

---

(١) طه حسين : الايام جـ ٣، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص ١١٧- ١١٨.

(٢) على الرغم من ان الدكتور طه حسين أشاد بموقف صبرى السربونى منه لابتهاجه بنجاحه رغم اخفاقه هو فى الامتحان فان السربونى كان له قول آخر فى طه حسين ولا ندرى إذا كان قد أصاب عين الحقيقة أم لا عندما ذكر انه عندما أعلنت نتيجة الليسانس لم يجد اسمه ولا اسم طه حسين، ثم وجد بعد ذلك اسم طه حسين محشورا بين السطور بعد ان ذهب طه وزوجته سوزان إلى السربون، واستدر عطفهم واستثار شفقة هيئة الممتحنين عليه.

انظر : الأيام ، جـ ٣ ، ص ١٢٠-، والطماوى، ص ٤٨.

(٣) لتفاصيل ذلك انظر : الطماوى، ص ١٦٢- ١٦٤.

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو خرج فى حركة التطهير إلى المعاش نتيجة لاتهامه بالتزوير فى نتيجة امتحان مسابقة القبول بمعهد الوثائق.

وللدكتور صبرى مؤلفات عديدة فى التاريخ والأدب والفكر وعن مؤلفاته التاريخية نذكر ان معظمها كتب بالفرنسية وقد علل الدكتور صبرى ذلك بقوله اننا إذا كنا قد أصدرنا كل كتبنا التاريخية أولا بلغة أوربية كالفرنسية مثلا فما ذلك إلا لأن هذه اللغة لغة علمية كثيرة التداول، ولأن الأمانة العلمية، وقوة الحكم والتقدير متوفرتان عند الأوربيين ، ولأن مصدر تشويه الحقائق ونشرها شرقا وغربا هو أوربا نفسها[(١)]، وقد عاهد القراء على أن ينشر بالعربية كل ما كتبه بغيرها، وبدأ فعلا ينشر تاريخ الامبراطورية السودانية ولكن يبدو أن المتاعب التى تعرض لها بعد ذلك قد جعلته يتوقف عن هذه المهمة.

وفيما يلى نعرض للمؤلفات التاريخية:

١- الثورة المصرية الذى صدر الجزء الأول منه بالفرنسية فى عام ١٩١٩ تحت عنوان La Revolution E'Gyptienne وقدم له أولار Aulard أستاذ الثورة الفرنسية بالسربون ويذكر الدكتور صبرى انه ألف هذا الكتاب بتشجيع من سعد زغلول[(٢)]، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن صاحبه أبرز مظاهر كفاح الشعب المصرى، وتماسك وحدته الوطنية خلال الثورة، وأثبت الفظائع التى ارتكبها الانجليز ضد الوطنيين المصريين، كما نشر به بعض الصور لمظاهرات النساء ورجال الدين، وجنازات الشهداء مما كان له أصداء واسعة فى الرأى العام الأوربى.

٢- المسألة المصرية: وقد صدر الجزء الأول منه بالفرنسية فى عام ١٩٢٠ والجزء الثانى فى عام ١٩٢١ وتناول الجزء الأول القضية المصرية منذ حملة بونابرت على مصر إلى ثورة ١٩١٩ أما الجزء الثانى فقد ركز على لجنة ملنر ومقاطعة

---

(١) انظر الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٤٩، ص ٦.

(٢) الجمهورية فى ١٩٦٤/٩/٢٠.

المصريين لها وتبرز أهمية هذا الكتاب فى أن صاحبها نجح فى إبراز وجهة النظر المصرية امام الأوربيين.

٣- نشأة الروح القومية فى مصر La Genese de L'Esprit Nationnel Egyptien وهذه الدراسة هى التى حصل بها الدكتور صبرى على الدكتوراه فى عام ١٩٢٤ من جامعة السربون، وتتجلى أهميتها فى أن صاحبها أرخ بنشأة الروح القومية فى مصر منذ عصر محمد على إلى قيام الثورة العرابية بروح وطنية ورؤية جديدة[١]، فأوضح أن نشأة الروح القومية فى مصر لم تبدأ مع الحملة الفرنسية كما يزعم الكثيرون بل إلى حركة على بك الكبير الذى أعلن انفصال مصر عن الدولة العثمانية، وحاول أن يكون تعامل الدول الأخرى مع مصر دون وسيط[٢]، وفتح الشام والحجاز بصفته حاكما لدولة مصر المستقلة.

٤- تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم، وقد صدر هذا الكتاب فى عام ١٩٢٦ وفيه ربط السياسة الانجليزية والعثمانية والأوربية فيما يعرف بالمسألة الشرقية، كما أوضح وجهة النظر المصرية تجاه الثورة العرابية. [٣]

٥- الثورة الفرنسية ونابليون وفيه عرض للمراحل المختلفة التى مرت بها الثورة الفرنسية، وسياسية فرنسا الداخلية والخارجية أثناء حكم نابليون.

٦- الامبراطورية المصرية فى عهد محمد على والمسألة الشرقية L'Empire Egyptien Sous Mohamed Ali Et La Question d'orient (1811-1841).

وقد سجل فى هذا الكتاب الضخم المكون من ٦٠٥ صفحة أسرار المسألة الشرقية بوجه عام والمسألة المصرية بوجه خاص فى سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٤٩ وقد ارجع المؤلف نشأة هذه المسألة إلى بدء انحلال الدولة العثمانية بسبب سوء إدارة حكامها

---

[١] الكاتب : ديسمبر ١٩٦١.

[٢] الطماوى: المرجع السابق، ص ٧٨.

[٣] قررت وزارة المعارف هذا الكتاب على طلاب مدرسة المعلمين العليا فى عام ١٩٢٨ ولكنها سرعان ما امرت بالغائه بعد قليل وقررت مكانة كتاب محمد رفعت المعنون " تاريخ مصر السياسى فى الأزمة الحديثة".

واختلاف عناصر سكانها وكثرة الدسائس ضدها فى الداخل والخارج كما تطرق إلى تمكن محمد على من رفع اسم مصر عاليا حتى تم عقد معاهدة لندن ١٨٤٠.

٧- الامبراطورية المصرية فى عهد اسماعيل والتدخل الانجليزى الفرنسى L'Empire Egyptien sous Ismail et L'ingerence Anglo francaise , 1863-1879.

وقد صدر هذا الكتاب فى باريس باللغة الفرنسية عام ١٩٣٣ وفيه تحدث عن تاريخ مصر فى عصر اسماعيل ، والتوغل الأوربى فى افريقية، وتعرض لمسألة قناة السويس من جوانبها الخفية وفى هذه الدراسة اعتمد السربونى على وثائق محفوظات سراى عابدين ووثائق الارشيف النمساوى، ويؤخذ على هذه الدراسة ايضا أن عنوانها لم يكن يتفق مع وصف مصر الدولى فى ذلك الوقت فمصر لم تكن امبراطورية فى عهد اسماعيل وكان من الأنسب ان يكون العنوان الفتوحات المصرية فى عصر اسماعيل والتدخل الانجليزى الفرنسى لايقافها.

٨- مصر فى افريقية الشرقية – هرروزيلع وبربرة.

وقد صدر فى عام ١٩٣٩ وفيه أوضح دور مصر فى نشر الحضارة والمدنية وتعاليم الاسلام الصحيحة فى هذه البلاد كما وقف على نتيجة هامة، وهى ان العمران المصرى فى هذه المناطق رغم قصر حكم المصريين لها قد تفوق على العمران الانجليزى المصرى فى السودان رغم طول امده.

٩-الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر.

وترجع قصة هذا الكتاب إلى رغبة محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء فى إعداد مذكرة عن القضية السودانية، يمكنه الاستفادة منها خلال عرضة للقضية فى مجلس الأمن، وتكليف السربونى باعداد هذه المذكرة التى سعد بها لأنها حسب قوله لم تكن مسألة وطنية فحسب بل هى أكثر من ذلك فهى أمانة علمية قبل كل شئ[1]، وقد تطورت هذه المذكرة وأصبحت كتابا بالفرنسية تحت عنوان السودان المصرى ١٨٢١- ١٨٩٨ ثم ترجمت بعد ذلك إلى العربية وأضيف إليها بعض الموضوعات، وحملت عنوان

---

[1] انظر الامبراطورية السودانية، ص ٤.

"الإمبراطورية السودانية" وفى يقيننا ان عنوان هذا الكتاب يحتاج إلى إعادة نظر، لأنه لو طبقنا مقومات مفهوم الامبراطورية على السودان لما وجدنا شيئا يتسق مع هذا الاسم خاصة وان السودان كان جزءا من ممتلكات مصر فى ذلك الوقت.

وعلى أى حال فقد بين السربونى فى هذه الدراسة الصلات الوطيدة بين مصر والسودان، وتطرق إلى الأطماع الأوربية التى تهدف إلى السيطرة عليه، وتقطيع أوصاله، ومما يؤخذ على ما كتبه السربونى فى هذه الدراسة قوله عن التوسع المصرى فى افريقية بأنه احتلال وكان من الممكن ان يطلق عليه فتح أو توسع خاصة وان كلمة احتلال[1]، دائما ما تطلق على الأوربيين الذين يستولون على البلاد الشرقية.

١٠-أسرار قضية التدويل واتفاقية ١٨٨٨م.

أصدر السربونى هذا الكتاب بعد تأميم قناة السويس فى عام ١٩٥٦ مفصلا فيه وجهة النظر المصرية فأوضح فيه أحقية سيادة مصر على القناة كما أكد أن بريطانيا هى التى خرقت اتفاقية ١٨٨٨ فى أثناء احتلالها لمصر، وأن هذه الاتفاقية كانت تعطى لمصر حقها الكامل فى القناة، وقد رجع السربونى خلال تأليفه لهذا الكتاب إلى العديد من الوثائق الرسمية كالكتاب الأزرق الانجليزى والكتاب الأصفر الفرنسى، كما رجع إلى وثائق موجودة فى سجلات الخارجية الفرنسية والانجليزية، وقد أهدى السربونى هذا الكتاب للرئيس عبد الناصر وحاول فى مقدمته التقرب إليه ومغازلته بشكل واضح فيقول يجب على الكتّاب أن يحتذوا فى كتاباتهم خطب عبد الناصر فى رصانتها واتزانها[2]، وقد شكره عبد الناصر على إهدائه وتمنى له التوفيق فى أبحاثه ودراساته وهذا الكتاب على صغر حجمه يعد سندا قويا ودفاعا بارعا عن حق مصر فى السيادة على القناة.

١١-فضيحة السويس:

وقد صدر فى عام ١٩٥٨ مذيلا بوثائق هامة تدين دى لسبس وتكشف خططه، وتشير إلى المؤامرات الدولية التى حيكت ضد مصر نتيجة لعودة حقوقها فى القناة.

---

[1] انظر على سبيل المثال صفحات ٤٤، ١٣٢، ٢٤٣ من كتاب الامبراطورية السودانية.

[2] انظر كتاب القناة – أسرار قضية التدويل واتفاقية ١٨٨٨، ص ٣.

وإلى جانب ذلك فقد قدم السربونى للعديد من الكتب الهامة ومن أبرزها مذكرات احمد عرابى "كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية" وكان من أوائل المصريين الذين دافعوا عن هذه الثورة وزعيمها فقال فى مقدمته للمذكرات "كانت الثورة العرابية أول حركة قومية قام بها المصريون بعد عدة قرون استسلموا فيها للغاصب حتى خيل للناس انهم خلقوا للضيم كما خلق غيرهم للحكم والسلطان[١]، ومع أن هذا الكتاب صدر فى عهد الملك فؤاد فلم يتورع صبرى السربونى فى مهاجمة والده اسماعيل بقوله "كان المصريون يشكون حقا من حكومة اسماعيل المطلقة التى كانت ترهقهم بضرائبها وأحكامها الجائرة[٢]، كما اتهمه بالتفريط فى حقوق مصر بقوله "ترك اسماعيل مصر مثقلة بالديون وترك موارد البلاد ومرافقها فى قبضة الشركات الاجنبية تستغلها لحسابها، وترك الإدارة المصرية فى ايدى الأوربيين مما جرح المصريين فى عزتهم القومية.

وهكذا كتب صبرى السربونى تاريخ وادى النيل بروح وطنية خالصة، وبرؤية علمية خالية من القيود، وغير مقيدة بوجهة نظر حكومية او غيرها فكانت كتاباته ذخرا لمصر الذى دافع عن قضاياها، ولتاريخ مصر الذى شابته بعض المؤثرات سواء من القصر أو الأجانب، فأرخ لتاريخ مصر فى القرن التاسع عشر، ودافع عن قضايا وطنه دفاع العالم المتمكن القادر على ابراز الأحداث التى صنعت المسيرة العلمية لمدرسة التاريخ الحديث.

ولم يقتصر دور السربونى على تأليف الكتب بل كلفته الحكومة بالعديد من البحوث منها البحث الذى كلفته به وزارة المعارف عن نظارة حسين فخرى ومبدأ تعيين الوزراء.[٣]

---

[١]انظر الجزء الأول من المذكرات، المقدمة ص (أ) علما بأننا قمنا بتحقيق هذه المذكرات كاملة فى عام ٢٠٠٥م.

[٢]المقدمة ص (د)

[٣]دار الوثائق القومية : محافظ عابدين: محفظة ٢٣١، الجامعة المصرية ملف بعنوان " جمعيات ومعاهد وأندية فى مصر.

والجدير بالذكر ان الخديو عباس حلمى الثانى كان قد كلف حسين فخرى باشا بتأليف نظارة جديدة بدلا من رئيس النظار مصطفى فهمى دون أخذ رأى الانجليز، مما أدى إلى حدوث الأزمة المعروفة فى التاريخ بالأزمة الوزارية ١٨٩٣ للتفاصيل انظر كتابنا مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١٦٤ وكتابنا الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى ، ص ٦٥- ٧٥.

يضاف إلى ذلك انه قام بوضع مشروع لمرسوم ملكى عن إنشاء معهد فاروق الأول للثقافة العلمية العليا بهدف ايجاد ثقافة قومية فى البلاد تتفق مع روح العصر ومظاهر التقدم الحديث، ودراسة عبقرية الشرق وفلسفته وتاريخه وآدابه، والعناية فى الوقت نفسه بدراسة عبقرية الغرب والمقارنة بينهما.

ويبدو أن الدكتور صبرى قد قدم هذا المشروع بصفة شخصية دون أن يطالبه أحد به[1]، وعرض على اللجنة القومية للاحتفالات الخاصة بذكرى محمد على الكبير المئوية ١٩٤٩ وكان مصيره الحفظ فى الأدراج المغلقة.

وإلى جانب ذلك فللسربونى مقالات هامة على صفحات الأهرام، يضاف إلى ذلك أن السربونى كان من رواد الأدب ونقاده خاصة وانه كان يرى فى التاريخ الأدبى استمرارا للتاريخ السياسى والاجتماعى كما أنه كان مغرما بالشعر والشعراء، ومن يرجع إلى الشوقيات المجهولة التى جمعها فى جزءين كبيرين فى مطلع الستينات يشعر بانه استملك طرائق البحث وأدواته كما أنه كان مفكرا اجتماعيا متفهما لأوضاع زمانه، ومتشربا لروح عصره ونتيجة لذلك تعرف على اشياخ الحركة الأدبية فتوطدت صلته بإسماعيل صبرى، واحمد شوقى ، وخليل مطران وغيرهم ومما أضافه للمكتبة الأدبية نذكر:

١-أدب وتاريخ:

وقد صدر فى عام ١٩٢٧ عن دار الكتب المصرية وهو مقسم إلى كتب، الكتاب الأول محمود سامى البارودى ، والكتاب الثانى اسماعيل باشا صبرى، والكتاب الثالث تاريخ الحركة الاستقلالية فى ايطاليا، والكتاب الرابع مختارات من مقالاته التى ظهرت فى الصحف من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٢٧ وقد نشر فى مقدمة الكتاب الأول الخاص بمحمود سامى البارودى رسالة من امير الشعراء احمد شوقى يقرظ فيها هذا الكتاب.

٢-الشوامخ

وقد صدر فى أربعة أجزاء عن دار الكتب المصرية فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٤- ١٩٤٧ وانفرد الجزء الأول بأمرئ القيس، والثانى بالشعر الجاهلى خصائصه

---

[1] دار الوثائق القومية: محافظ عابدين محفظة ٢٣١ ملف بعنوان جمعيات ومعاهد واندية فى مصر.

وأعلامه والثالث بذى الرمة والرابع بأبى عبادة البحترى وقد قرظ خليل مطران شاعر القطرين الجزء الأول من هذا الكتاب.

٣-شعراء العصر: وقد صدر فى جزءين ما بين عامى ١٩١٠- ١٩١٢ وفيه تطرق لأبرز شعراء عصره.

٤-فى السياسة والأدب والاجتماع: وقد نشر فيه أهم المقالات والأبحاث التى قام بنشرها خلال عشرين عاما من سنة ١٩٢٧ حتى عام ١٩٤٨.

٥-الشوقيات المجهولة: بها آثار شوقى التى لم يسبق كشفها أو نشرها وقد نشرتها دار الكتب فى جزءين أوضح فيهما صبرى السربونى أضواء جديدة على حياة شوقى وعصره ونشر فيهما من أشعاره ما لم يسبق نشره فى دواوين شوقى ومؤلفاته.

ومع كل ذلك فإن السربوني – ذلك العالم الفذ- لم يتمتع بشهرة واسعة كما تمتع به من هو أقل منه خبرة ومقدرة ، ربما لأنه لم يعرف كيف يسبح مع التيار، وربما لأنه كان يدافع عما يعتقد انه حق، ويحاول أن يأخذ الأمور عنوة واقتدارا فى كثير من الأحيان مما حجب عن الكثيرين سحر شخصيته ورونقها وعطاءها، ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه من القلائل الذين اجتمعت فيهم جيل البعث الذى مهد الطريق لبناء مصر المعاصرة[1]، وإذا كان البعض قد أخذ عليه أنه لم يستطع تكوين مدرسة تاريخية من تلاميذه كما فعل غربال ، فالرد على ذلك انه لم يعمل بالجامعة فترة طويلة، كما أن عمله بمدرسة المعلمين او بدار العلوم لم يكن ليتيح له مثل هذا الأمر، ويكفيه فخرا كونه اول مصرى يحصل على دكتوراه الدولة فى الأداب من السربون وأن كل محاولاته وخبراته وجهوده جديرة بالاحترام والتقدير ولعل المؤسسات العلمية والثقافية فى مصر تتنبه إلى قيمة عطائه وتعمل على ترجمة مؤلفاته التاريخية المهمة التى كتبها بالفرنسية إلى العربية ليضيف إلى المكتبة العربية وللمتحدثين بالضاد تراثنا قويا مهما.

كما يكفيه فخرا ما ذكره عنه بعض معاصريه لقد قال سعد زغلول عن الدكتور صبرى بعد أن قدمه محمد كامل سكرتير الوفد له اثناء لقائهما بباريس "أجل هذا شاب مهذب أحب الاحتفاظ به".

---

[1] للتفاصيل انظر الطماوى : المرجع السابق، ص ٢٦٧ وما بعدها.

وقال عنه فتحى رضوان أحد أقطاب الحزب الوطنى " كان دخول محمد صبرى السربونى المصرى المنحدر من أصلاب الفلاحين فى ميدان التاريخ فى مجاليه القومى والأجنبى خطوة لا يستهان بها، ولكن هذا الخطوة كانت مزدوجة الأثر، كانت من جهة تحريرا لميدان التاريخ فى بلادنا من الاحتكار الأجنبى بعامة والانجليزى والفرنسى بصفة خاصة وكانت من وجهة أخرى تجديداً فى أسلوب كتابة التاريخ".

وقال عنه بدر الدين أبو غازى الوزير الفنان ان صبرى السربونى كان أخر كتاب عصر النهضة ومفكريه العظام ، انه عبقرية من عبقريات مصر النادرة".

وقال عنه الفنان كامل الشناوى انه "نشر عدة مؤلفات تاريخية معروفة بدقة الفهم، وتحرى الحقائق، وتحليل العصر الذى يؤرخ له من شتى نواحيه الاجتماعية والسياسية باسلوب واضح، وهو يشرح أراءه فى جامعة يحتل فيها وحده كرسى الاستاذية وكل من حوله تلاميذ.

وقالت عنه جريدة الأهرام أنه "شارك منذ بداية القرن فى كل الأحداث التى صنعت المسيرة المصرية".

وعلى أى حال فقد تبرم السربونى بالناس فى أخريات حياته ، وضاق صدره بهم وساء ظنه فيهم ، وأصبح من السهل إثارته لأوهى الأسباب.

وفى مساء الأربعاء الموافق الثامن عشر من يناير ١٩٧٨ صعدت روحه إلى بارئها بعد حياة مليئة بالأعمال الكبار (٨٨ عاما) ومن العقوق أن يمضى منسيا فى عصر ندر فيه الوفاء وقل الأوفياء ، وفى يقيننا ان نشر مذكراته المخطوطة سيكون فيه تكريم له ، وإضاءة هامة لتاريخنا المعاصر. وفى النهاية نختتم هذه الدراسة بقول هذا المؤرخ المرموق **"إذا كنا قد ضللنا فالتاريخ لن يضلل ، ولكل جيل كتابه فى عنقه".**

٣-الدكتور محمد فؤاد محمد شكرى

١٩٠٤-١٩٦٣

من مؤرخى التاريخ الحديث والمعاصر المرموقين، والذين أفنوا ذاتهم من أجل ارتقاء الحركة التاريخية فى مصر شخصيات مغمورة بالنسبة لجيلنا الحالى رغم أهمية ما خلفته تلك الشخصيات من آثار امتلأت بها أرفف المكتبة التاريخية ، وكل من حاول

الكتابة فيها تعثر لندرة المادة العلمية التى يمكن أن يجمعها عنها ومن هؤلاء الدكتور محمد فؤاد شكرى.

ولد محمد فؤاد شكرى فى مدينة حلوان بالقاهرة فى ٢٧ من اغسطس ١٩٠٤ من أسرة حلبية الأصل قاهرية الموطن، ونظرا لوفاة والده وهو فى سن مبكرة تبناه خاله "حسن بك مياس" واعتنى بتربيته.

وقد تلقى الدكتور شكرى تعليمه فى مدرسة حلوان الابتدائية ومدرسة السعيدية الثانوية ثم تخرج فى مدرسة المعلمين العليا فى عام ١٩٢٧ ونظرا لتفوقه فى دراسته وحصوله على الدرجات التى تؤهله لاستكمال دراسته العليا فى الخارج أوفدته وزارة المعارف فى بعثة إلى جامعة ليفربول بانجلترا لمدة ثلاثة سنوات للتخصص فى تاريخ القرون الوسطى بهدف اعداد مدرسين للمدارس الثانوية التابعة لوزارة المعارف[١]، ثم اوفد فى بعثة صيفية لمدة ثلاثة اشهر بنفس الجامعة فى عام ١٩٣٣ وخلال ذلك استطاع ان يغير تخصصه إلى التاريخ الحديث فقدم رسالته للماجستير عن عصر الخديو اسماعيل ثم اختاره البروفيسور "فيتشى" أستاذ التاريخ الحديث بجامعة ليفربول للحصول على الدكتوراه فى موضوع جهود الخديو اسماعيل نحو الغاء النخاسة والرق فى السودان وهناك استطاع أن يحصل على الدكتوراه فى موضوع بعنوان " الرق فى السودان فى عصر اسماعيل"[٢]، وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ وبعد انتهاء دراسته وعودته إلى مصر عمل مدرسا بمدرستى شبرا الثانوية والتوفيقية فترة ثم نقل إلى الجامعة المصرية فى اكتوبر من عام ١٩٣٦.

وفى عام ١٩٣٧ تقدم الاستاذ محمد شفيق غربال رئيس قسم التاريخ بمذكرة إلى عميد كلية الآداب يقترح فيها ترقية الدكتور شكرى إلى درجة مدرس فئة (أ) نظرا لأنه يؤدى عمله فى الكلية بكل أمانة وإخلاص. [٣]

---

(١)دار الوثائق القومية: ملفات البعثات . ملف رقم ١٣٨ بعثة ١٩٣١.

(٢)المجلة التاريخية المصرية: المجلد الحادى عشر ١٩٦٣.

(٣)دار الوثائق القومية : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣١ الجامعة المصرية مذكرة عن حالة الدكتور/ محمد فؤاد شكرى بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٣٧.

وقد وافق مجلس الكلية على هذا الاقتراح، واستمر الدكتور شكرى يزاول عمله بالجامعة باحثا ومعلما حتى حصل على درجة الاستاذية فى عام ١٩٥٢ وخلال تلك الفترة ضم إلى الوفد المصرى كمستشار للقضية الليبية خلال عرضها على هيئة الأمم المتحدة كما انتدب للعمل مع وزارة الخارجية خلال فترة تحرير ليبيا.

وقد جمع الدكتور شكرى إلى جانب غزارة المادة عمق الفكرة واصالة الرأى لا يقتنع بالسطحية فى معالجة الأمور، وانما يغوص فى اعماق المادة العلمية ليخرج بالثمين من الافكار وإلى جانب ذلك كان استاذا معلما بكل معانى الكلمة يوجه تلاميذه بالرأى السديد والعلم الواسع والخبرة الاصيلة ، يعرض فكره ورأيه فى حرية، ويدير المناقشات والجلسات العلمية والتى كان يحضرها لفيف من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية فى منزله بعد ظهر كل خميس يضيف خلالها من علمه ما يفتح الآفاق بين الباحثين. [١]

وحول منهجه ورأيه فى دور المؤرخ وفلسفة التاريخ يرى الدكتور شكرى أن مهمة المؤرخ تنبع من تحرى الحقائق أولا وذلك عن طريق أن يكلف المؤرخ نفسه مشقة التنقيب عن تفاصيل ودقائق الوقائع التى يريد أن تستند عليها احكامه او يجرى عليها تعليقاته حتى يستطيع ربطها ربطا صحيحا. [٢]

وبالنسبة لتفسير التاريخ وفلسفته فانه يرى ان تفسير التاريخ عملية مستمرة، وذلك فى ضوء ما هو متجدد دائما من تيارات فكرية ناشئة من تراكم الحقائق المستكشفة من بطون الوثائق والأسانيد والتى هى كذلك منبعثة من تطوير المجتمع فى شتى مناحيه. [٣]

وعن فلسفة التاريخ فهو يرى انها تعنى التفسير السليم والصحيح الذى يجعل ممكنا إدراك الغاية من الأحداث التى وقعت ولا يجب اطلاقا ان تكون مجرد استصدار

---

[١] محمود صالح منسى : قناة السويس بين اتباع سان سيمون وفردينان دى لسبس تحت عنوان : وفاء وتقدير.

[٢] محمد فؤاد شكرى : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر جـ ١، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٨، تصدير الكتاب ص (و).

[٣] انظر كتابة . الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩- ١٨٤٨ المجلد الأول.

أحكام مبسترة او ابداء ملاحظات وآراء سريعة قد تكون عليها مسحة من الطرافة فى بعض الأحيان ولكنها فى كثير من الأوقات تكون متعارضة مع الحقيقة. (١)

وحول هذا المنهج خرجت على يدى الدكتور شكرى عشرات الرسائل العلمية الجادة والمتنوعة فى موضوعاتها واتجاهاتها، والعديد من المؤلفات التى يشار لها بالبنان.

ومن الرسائل العلمية التى اشرف عليها الدكتور شكرى نذكر رسالة مصطفى أبو حاكمة للماجستير (دراسة علاقة فلسطين بمشروعات محمد على وابراهيم فى الشام"(٢)، ورسالتى محمد عبد الرحمن برج للماجستير والدكتوراه "حياد قناة السويس منشأ فكرة الحياد وتطورها من وقت الامتياز الأول لنهاية الحرب العالمية الأولى ١٨٥٤- ١٩١٩"(٣)، وأهمية قناة السويس الاستراتيجية والسياسية وتأثيرها على العلاقات بين مصر وبريطانيا ١٩١٥- ١٩٥٤(٤)، ورسالتى السيد محمد رجب حراز للماجستير والدكتوراه انتشار النفوذ الايطالى السياسى فى ساحل البحر الأحمر الغربى والسودان الشرقى وأفريقيا الشرقية فى القرن التاسع عشر وتأسيس مستعمرتى أرتريا والصومال(٥)، وانتشار النفوذ البريطانى فى شرق افريقيا ووسطها فى القرن التاسع عشر(٦)، ورسالة يوسف خليل جاد الله للدكتوراه "تطور الحركة القومية فى مصر ١٨٨٢- ١٩١٩"(٧)، ورسالة محمود حلمى مصطفى للماجستير "التنظيمات الإدارية والحكومية وتأثيرها فى مصر فى الفترة ما بين ١٨٨٢- ١٩١٤(٨)، ورسالة محمد صديق سلجوقى " تأسيس دولة الأفغان الحديثة"(٩)، ورسالة ليلى الصباغ للماجستير "احتلال العثمانيين لسوريا وبداية سوريا العثمانية"(١٠)، ورسالة نصيف صليب للدكتوراه تاريخ

---

(١)انظر كتابة مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ، جـ١، ص (و)
(٢)تم اجازتها فى عام ١٩٥٥.
(٣)تم اجازتها فى عام ١٩٥٧.
(٤)تم اجازتها فى عام ١٩٦١
(٥)تم اجازتها فى عام ١٩٥٨
(٦)تم اجازتها فى عام ١٩٦٣
(٧)تم اجازتها فى عام ١٩٥٧
(٨)تم اجازاتها فى عام ١٩٥٨.
(٩)تم اجازاتها فى عام ١٩٦٠
(١٠)تم اجازاتها فى عام ١٩٦١.

العلاقات بين مصر وأثيوبيا وأثرها على السودان الشرقى فى الفترة ١٦٨٢- ١٨٧٩[١]، ورسالة احمد فريد على للدكتوراه "تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية واثرها فى تطور الحركة الوطنية ١٩١٤- ١٩٥٢. [٢]

وبالنسبة لمؤلفات الدكتور شكرى العديدة والمتنوعة فتشمل خمسة عشر كتابا منها خمسة فى تاريخ مصر وخمسة فى تاريخ السودان وثلاثة فى تاريخ أوربا واثنان فى تاريخ ليبيا وفيما يلى نعرض لبعضهم:

١-عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر: [٣]

أوضح الدكتور شكرى فى هذه الدراسة ان الحملة الفرنسية على مصر كانت أول تجربة استعمارية من نوعها قامت على أسس مغايرة لتلك التى شيدت عليها الدول الاستعمارية فى السنوات السابقة مستعمراتها وانها كانت اول تجربة للحكم الأجنبى الأوربى صادفتها مصر فى القرن التاسع عشر، كما عنى بإبراز شخصية جاك مينو الذى اكتملت فى عهده المشاريع والنظم الاستعمارية الفرنسية الجديدة ومدى رد الفعل الذى حدث بين المصريين نتيجة لأساليب الحياة الجديدة التى شاهدوها.

والمتفحص لهذه الدراسة يرى ان المؤلف قد عنى باستقصاء الحقائق التى اتصلت بأصول هذه الحملة وتعمق فى بحث النتائج التى ترتبت عليها هذا إلى جانب اعتماده على مجموعة من الوثائق والأسانيد الأصلية التى لم يسبقه احد إلى نشرها.

والشئ اللافت للانتباه والمضحك المبكى فى نفس الوقت قيام دار الفكر العربى بنشر هذا الكتاب بعد وفاة صاحبه بعنوان آخر هو "الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر " وتقديم الدكتور بدوى عبد اللطيف أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية اصول الدين جامعة الأزهر له.

---

[١] تم اجازاتها فى عام ١٩٦١.

[٢] تم اجازاتها فى عام ١٩٦٢

[٣] القاهرة مكتبة الخانجى ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢.

٢-الحملة الفرنسية وظهور محمد على: [١]

ربطت هذه الدراسة تاريخ الحملة الفرنسية على مصر بتاريخ الاستعمار الفرنسى الحديث وأبرزت ما أحدثته هذه الحملة فى حياة الشعب المصرى من تغييرات متعددة، وتطرقت إلى الأسباب التى أدت إلى فشل هذه الحملة، كما تعرضت للطريقة التى وصل بها محمد على إلى حكم مصر، واستغلاله لكافة الظروف التى مكنته من الاستئثار بها.

٣-مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١- ١٨١١: [٢]

وتتناول هذه الدراسة تاريخ مصر خلال السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر أى منذ خروج الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٨٠١ إلى قيام مذبحة القلعة فى عام ١٨١١.

وقد أرجع الدكتور شكرى سبب اختياره لهذه الفترة إلى انها مليئة بالأحداث ذات الأثر الحاسم فى تاريخ مصر حيث شهدت بداية التنافس الانجليزى الفرنسى على الاستئثار بالنفوذ السياسى فى مصر.

وقد قسم الدكتور شكرى دراسته إلى ثلاثة أجزاء شمل الجزء الأول منها فترة الفوضى السياسية بعد خروج الفرنسيين من مصر وظهور محمد على، وتناول الجزء الثانى ولاية محمد على والمشاكل التى واجهته فى بداية حكمه، وتطرق إلى حملة فريزر على مصر وفشلها، أما الجزء الثالث فتناول سياسة محمد على بعد انفراده بالسلطة ووصوله إلى منصب الباشوية، ودعم أركان حكمه بإقصائه للمشايخ والقضاء على المماليك.

---

[١]قامت دار المعارف بنشره.

[٢]طبعته جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٨ فى ثلاثة اجزاء.

٤-بناء دولة مصر محمد على – السياسة الداخلية: (١)

وقد عالج هذا الكتاب سياسة محمد على الداخلية، وأحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والحربية فى عهده فى محاولة لاستجلاء الجوانب الغامضة واستكمال ما أغفلته المؤلفات الأخرى، ومناقشة ما ورد فيها من آراء.

وإلى جانب ذلك اشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الوثائق التاريخية الأصلية التى ترسم صورة واضحة لأحوال مصر فى ذلك الوقت ومن أهمها تقرير الدكتور بورنج Bowring الخبير البريطانى بشئون الشرق الأوسط والمستخرج من سجلات مجلس العموم المحفوظة فى Public Record office والذى يقدم مادة طيبة للمؤرخ حول عصر محمد على.

٥-ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها: (٢)

يرجع تأليف هذا الكتاب إلى ان الدكتور شكرى شهد مولد دولة ليبيا عن كثب وأسهم بنصيب كبير فى النشاط السياسى الذى كان يتوقف نجاحه أو إخفاقه على ظفر القطر الليبى بوحدته واستقلاله أو حرمانه منها وكان لزاما عليه ان يعرض للحقيقة والتاريخ كل ما لديه من وثائق وأسانيد للاحاطة بالتيارات والدوافع التى ساعدت على تشكيل كل ما وقع من حوادث فى تلك الفترة.

٦-السنوسية دين ودولة: (٣)

حاول الدكتور شكرى فى هذه الدراسة اثبات الدور الهام والمؤثر الذى قامت به هذه الحركة الدينية فى ليبيا سواء فى الدين أو السياسة، فقد عملت على اقتفاء أثر السلف الصالح بتعميم التعليم الدينى ووسيلتهم إلى ذلك إنشاء الزوايا التى تعد بمثابة دور عبادة ومراكز حياة وعمل ونظام بمعنى ان هذه الدعوة لم تقتصر على العبادة والتصوف بل دعت أيضا إلى العمل المنتج والنشط حتى يعيش أفرادها من كدهم وعرقهم ، كما

---

(١) بالاشتراك مع عبد المقصود العنانى وسيد خليل وقد نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٤٨.

(٢) نشرت بالقاهرة فى عام ١٩٥٧.

(٣) نشرت بالقاهرة فى عام ١٩٤٨.

تعرضت هذه الدراسة ايضا لوقوف السنوسيين ضد بعثات التنصر والمحاولات الاستعمارية للهيمنة على البلاد الاسلامية.

٧-مصر والسيادة على السودان – الوضع التاريخى للمسألة: [١]

وفى هذه الدراسة تناول الدكتور شكرى العلاقات المصرية السودانية منذ الفتح المصرى للسودان فى عهد محمد على إلى عقد الوفاق الثنائى بين مصر وبريطانيا فى عام ١٨٩٩ وفى ثنايا ذلك حاول إزالة ما علق بالأذهان عن مساوئ الحكم المصرى فى السودان مستندا فى ذلك على الوثائق والأسانيد التى لا تنفى ذلك فحسب بل انها لتدل دلالة واضحة على ان حكم المصريين للسودان كان عادلا يهدف إلى تحقيق الخير للسودانيين والسير بهم إلى مراقى التقدم والحضارة.

ومع كل ذلك وعلى الرغم من غزارة المادة العلمية فى هذا الكتاب فيبدو أن الدكتور شكرى لم يكن موفقا فى اختياره لعنوان الكتاب ، خصوصا وان كلمة السيادة تعد كريهة لدى أبناء مصر والسودان على السواء وشعوب الأرض قاطبة.

٨-مصر والسودان – تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠- ١٨٩٩: [٢]

تتناول هذه الدراسة تاريخ وادى النيل شماله وجنوبه وذلك منذ أن تأسست الوحدة السياسية فى مطلع القرن التاسع عشر إلى الاحتلال البريطانى لمصر فى عام ١٨٨٢ وضياع السودان ثم استرجاعه وإنشاء نظام الحكم الثنائى فى السودان بين مصر وبريطانيا فى عام ١٨٩٩ تلك الاتفاقية المشهورة التى خولت انجلترا رسميا حق الاشتراك فى إدارة شئون الحكم فى السودان ورفع العلم الانجليزى إلى جانب العلم المصرى ، وتعيين حاكم عام للسودان بناء على طلب الحكومة البريطانية مما أدى إلى استنكار مصر لتلك الاتفاقية وسخط الصحف العربية على ما اعتبره سلبا لحقوق مصر الادارية فى السودان.

---

[١] نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٤٦.

[٢] نشرته دار المعارف فى عدة طبعات كان آخرها الطبعة الثالثة فى عام ١٩٦٣.

والكتاب فى مجمله يسجل أحداث البلدين الشقيقين بطريقة علمية مؤيدة بالوثائق والأسانيد.

٩-الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩- ١٨٤٧: [١]

عالج الدكتور شكرى فى هذه الدراسة المكونة من جزئين الصلة بين منشأ الفكرة القومية والمذهب الحر من ناحية وظهور البرجوازية او الطبقة المتوسطة التى خاضت غمار نضال عنيف ضد الاقطاعيين والحكومات المطلقة السلطة والطبقات الارستقراطية فى المجتمع الأوربى من ناحية أخرى، كما أوضح ان الثورة الفرنسية وامبراطورية نابليون كانتا بمثابة التجربة الحاسمة لاختبار قدرة البرجوازية على الوصول إلى قمة السلطة، وتحطيم بقايا الاقطاع فى كافة أنحاء أوربا، ثم تعرض للأسباب التى أدت إلى سقوط الامبراطورية النابليونية وبعث الملكية والنظام الاقطاعى من جديد ، والذى كان يمثل نظامه اصدق تمثيل الوزير النمساوى "مترنخ".

والكتاب فى مجمله محاولة جادة لسد فراغ فى المكتبة العربية حول دراسة تاريخ أوربا القرن التاسع عشر على يد أستاذ متخصص خاصة وان الإعتقاد السائد بين أساتذة الجامعات المصرية وقتذاك هو أن الأوربيين أولى وأحق بتدوين تاريخهم مما جعل معظمهم يؤثرون النقل والترجمة على التصنيف والتأليف.

واستمر الدكتور شكرى فى إثراء المكتبة التاريخية العربية حتى أصيب بتصلب فى الشرايين، وأقعده مرضه الشديد عن مزاولة عمله، وعلى الرغم من ان مجلس الجامعة وافق على سفره للعلاج فى الخارج فان اللجنة الطبية بوزارة الصحة رأت ان علاجه متوفر فى مصر ولا داعى لسفره ، وحددت له مبلغا لمساعدته على تكاليف العلاج، وبعد ان نفد هذا المبلغ لم يجد الدكتور شكرى ثمنا للدواء ولم تمهله منيته ليستكمل دراساته فانتقل إلى جوار ربه فى ١٩٦٣/١١/٢٤ بعد حياة علمية حافلة ، ورغبة من جامعة القاهرة فى مساندة أحوال أسرته المعيشية قامت بشراء مكتبته الزاخرة بألف من الجنيهات وهو مبلغ ليس بقليل فى ذلك الوقت، ولكن مع الأسف قامت مصلحة الضرائب بحجز جزء كبير من هذا المبلغ.

---

[١] نشرت دار الفكر العربى فى عام ١٩٥٨.

وعلى الرغم من أنه كان يجب على الجمعية التاريخية – التى تمثل المؤرخين المصريين على كافة اتجاهاتهم – القيام بتأبينه بشكل يتلاءم مع مكانته العلمية فان شيئا من ذلك لم يحدث واقتصر الأمر على نعيه فى سطور قليلة ومقتضبه فى المجلد الحادى عشر للمجلة عام ١٩٦٣[1]، على حين قامت الجمعية بتأبين غيره من المؤرخين بما يتناسب مع مكانتهم.

وقد يجرنا ذلك إلى التطرق للحديث عن الموضوعية والذاتية لدى بعض المؤرخين وهل العلاقات الانسانية والخلافات الشخصية مع الآخرين يمكن أن تطغى على ما عداها من الأمور أم أن موضوعية المؤرخ تقتضى تجرده من العواطف الذاتية والتحيز الشخصى.

الواقع ان خلافات الدكتور شكرى مع الأستاذ غربال رئيس الجمعية التاريخية وقتذاك وتلاميذه من المؤرخين كان لها أكبر الأثر فى ابتعاد شكرى عن أنشطة الجمعية التاريخية وفى عدم حصوله على حقه من التكريم ليس فى حياته وحسب بل بعد مماته ايضا.

وهكذا طويت سيرة عالم ضليع ، وأستاذ كرس حياته لخدمة الحركة التاريخية تأليف وتدريسا وكان جزاؤه النكران وعلى أى حال فقد خسرت الجامعات المصرية والعربية بوفاته خسارة جسيمة.

٤-الدكتور حسن عثمان كامل

١٩٠٨- ١٩٧٣

يمثل الدكتور حسن عثمان نمطا فريدا من المؤرخين المصريين فقد كان فنانا بالدرجة التى كان بها مؤرخا وأدبيا ، فمزج الفن بالتاريخ مزجا ينبض بدم الحياة ويتخايل فى ثوب الجمال، عشق عصر النهضة الأوربية، وقد أدى عشقه وتعلقه بهذا العصر إلى ايجاد مدرسة مصرية متميزة فى الأدب الانسانى والفنى والاجتماعى، مدرسة تقوم على

---

[1] بمناسبة مرور ما يقرب من ثلاثين عاما على وفاته رأت الجمعية التاريخية اقامة محاضرة عنه تتفق ومكانته العلمية، فالقى تلميذه الدكتور محمد عبد الرحمن برج هذه المحاضرة بمقر الجمعية فى ١٩ ديسمبر ١٩٩٣ تحت عنوان " محمد فؤاد شكرى مؤرخا".

المنهج العلمى فى التاريخ وتدعو إلى الجمع بين الفن والأدب والتاريخ وإدخال دراسة الثقافة الفنية مثل فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنون الموسيقى والمسرح ضمن مناهج الدراسة فى كليات الآداب بهدف خدمة الدراسات الانسانية والتى من بينها التاريخ. (١)

وإلى جانب ذلك كان حسن عثمان من الرعيل الأول الذى أبرز أهمية ترجمة المؤلفات التاريخية من الايطالية إلى العربية وجعلها من اهتمامات الباحثين.

ولد حسن عثمان بالقاهرة فى ٢٠ مايو ١٩٠٩ وتلقى دراسته الجامعية بكلية الآداب بالجامعة المصرية، ونهل من ينابيع العلم على يد الرعيل الأول من علماء مصر، وقد عرف خلال دراسته باجتهاده وإخلاصه ونشاطه الدائب فى طلب العلم ، وإلى جانب ذلك كان يتصف بعدة صفات كريمة لعل أبرزها عزة النفس وانفة الطبع، ولم يكن حصوله على الليسانس فى التاريخ بدرجة الامتياز فى عام ١٩٣٢ إلا ثمرة لكفاحه من أجل الوصول إلى التفوق، وبرغم ذلك عين فى السنة نفسها مدرسا بمدرسة امبابة الابتدائية بالجيزة(٢)، ثم حصل حسن عثمان على درجة الماجستير باشراف شفيق غربال فى عام ١٩٣٤ فى موضوع كان يبدو غريبا فى ذلك الوقت وعنوانه " فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان" وكان بذلك أول من نال درجة الماجستير فى التاريخ الحديث بالجامعة المصرية وبعدها أوفدته كلية الآداب فى بعثة إلى جامعة روما بايطاليا فى عام ١٩٣٥(٣) ، للحصول على الدكتوراه فى تاريخ الشرق الأدنى وكانت بعثته هذه موفقه غاية التوفيق ، خاصة وان البعثات فى ذلك الوقت كانت مقصورة على انجلترا وفرنسا ، وبعد أن درس اللغة الايطالية وحصل على دبلوم فى الأدب الايطالى واللغة من جامعة بيرودجا فى عام ١٩٣٥ استهوته مظاهر النهضة الايطالية وآدابها وفنونها فى القرنين

---

(١)انظر كتابه منهج البحث التاريخى ، القاهرة، دار المعارف الطبعة الرابعة، ص ٤٤.

(٢)المجلة التاريخية المصرية: المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤،من خطاب تأبين الدكتور حسن عثمان الذى القاه الدكتور محمد السروجى.

(٣)محافظ عابدين : محفظة ٢٣١ تعليم ، جامعة فؤاد الأول ، كلية الآداب.

الخامس عشر والسادس عشر[1]، فدفعه ميله إلى الأدب والفن إلى دراسة دانتى أحد أعلام عصر النهضة الايطالية[2]، ولكن أستاذه لم يوافقه على ذلك فى أول الأمر لسببين:

١-سوء تقدير الجامعة المصرية للدكتوراه الايطالية.

٢-ان تاريخ الشرق الأدنى الحديث هو مجال بعثته.

ولكن هذه المعارضة لم تستمر طويلا فبعد أن ارسل حسن عثمان إلى استاذه غربال ترجمته للجحيم ، بدأ يتفهم مدى شغف تلميذه بدراسة تراث " دانتى" ومبلغ معاناته فى إتمام هذا العمل فكتب إليه فى السادس من نوفمبر ١٩٥٩ يقول " كنت سعيدا من أجلك – فقد لقيت على ما يظهر الكثير من أجل دانتى، وأن إتمام العمل الذى يصحب الانسان عمرا نوع من فك الرقبة – فهنيئا لك نعمة الحرية، وبقى – بعد ان تتم ما تبقى من دانتى ان تدخل (فى اعتبارك) ما اكتسبت من نظرته للإنسان، وعلى كل حال فلكل يوم شأنه، ولنجعل اليوم يوم ارتياح لشأن تم وللغد شئونه". [3]

وقد حصل حسن عثمان على الدكتوراه من جامعة روما فى ديسمبر ١٩٣٨ وعين فى اعقابها مدرسا مساعدا بكلية الآداب بالجامعة المصرية وبقى كذلك حتى نقل إلى كلية الآداب جامعة الاسكندرية فى عام ١٩٤٢ ليشغل وظيفة مدرس فى التاريخ الحديث، وفى مارس ١٩٤٧ رقى إلى وظيفة أستاذ مساعد وبقى بها إلى أول ديسمبر ١٩٥٠ ثم نقل إلى معهد الدراسات السودانية بجامعة القاهرة أستاذا لكرسى تاريخ السودان وآثاره.

وفى عام ١٩٦٤ تولى منصب رئيس المعهد ، وبقى إلى أن أحيل إلى المعاش فى عام ١٩٦٨ وظل يشغل وظيفة أستاذ تاريخ السودان حتى وفاته فى ٢٩ اكتوبر ١٩٧٣.

---

[1] من حديث الدكتور عزت عبد الكريم اثناء حفل التأبين.

[2] ولد فى فلورنسا عام ١٢٦٥ وتمثلت فيه آثار العصور الوسطى مع تراث العصور القديمة وثقافة العصر الذى عاش فيه.

[3] حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، ص ٩٤.

وقد أشرف الدكتور حسن عثمان على عدد قليل جدا من الرسائل وبخاصة فى أثناء عمله بمعهد الدراسات الافريقية نذكر منها الرسالة التى أعدها جميل اسحق عبيد للدكتوراه وعنوانها مديرية خط الاستواء فى الفترة من ١٨٦٣- ١٨٩٢.

وللدكتور حسن عثمان العديد من المؤلفات المتنوعة باللغات العربية والايطالية والانجليزية وان كان معظمها يدور حول الشاعر الايطالى دانتى وتلك الأبحاث هى:

١- البحر الأحمر كطريق تجارى فى عهد البيزنطيين والعرب والمماليك.

٢- دير الأنبا انطونيوس.

وقد نشر البحثان فى كتاب بعنوان: " رحلة كلية الاداب إلى ساحل البحر الأحمر وبعض مناطق الآثار بالوجه القبلى برئاسة الأستاذ شفيق غربال.

٣-كيف يكتب التاريخ، سبع مقالات بمجلة الرسالة. [١]

٤-البحر مناجاة ادبية. [٢]

٥-فخر الدين الثانى امير لبنان وبلاط تسكانا (١٦٠٥- ١٦٣٥) عرض ونقد لكتاب الأب بولس قرالى مع تقديم وثائق جديدة لم تنتشر عنه. [٣]

٦-سافونا رولا (اربع مقالات). [٤]

٧-سوريا ولبنان فى التاريخ المعاصر – عرض ونقد لكتاب البرت حوارنى. [٥]

هذا عن أبحاثه ودراساته المتنوعة ، اما أبحاثه عن دانتى فهى كثيرة نذكر منها:

١-دانتى اليجييرى: حياته وشخصيته. [٦]

---

[١]انظر اعداد مجلة الرسالة اغسطس – ديسمبر ١٩٤١

[٢]انظر مجلة الرسالة عدد ١٧ نوفمبر ١٩٤١

[٣]انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، المجلد السادس ١٩٤٢

[٤]انظر مجلة الثقافة الأعداد ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢، ٢٥٥ سبتمبر – نوفمبر ١٩٤٣.

[٥]المجلة التاريخية المصرية: المجلد الأول اكتوبر ١٩٤٨.

[٦]انظر مجلة الكاتب المصرى : العدد ٣١ من المجلد الثامن : ابريل ١٩٤٨.

٢-فرنتشسكا دار يمينى عند دانتى اليجييرى- ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم. [١]

٣-فاريثاتا دلى أوبرتى وكافالكانتى دى كافالكانتى فى جحيم دانتى – ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم. [٢]

٤-اوجولينو دى لاجيرار دسكا فى جحيم دانتى – ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم. [٣]

٥-الانشودة الخامسة من مطهر دانتى ، ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من المطهر[٤]، وإلى جانب ذلك كان لقيام حسن عثمان بالتدريس فى معهد البحوث والدراسات الافريقية أثره فى دراسته للكوميديا الالهية إذ أخذ يهتم بإبراز ما ذكره دانتى عن افريقية، ونتيجة لذلك كتب ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع. أولهما أفريقية فى جحيم دانتى ، وقد قام فيه بترجمة بعض النصوص الواردة فى هذا الموضوع وقدم لها بالعديد من التعليقات والشروح. [٥]

وثانيها كان بعنوان " افريقية فى مطهر دانتى وقدم فيه نصوصا من المطهر للاستشهاد بها مع تحليلها والتعليقات عليها. [٦]

اما الثالث فكان بعنوان " افريقية فى فردوس دانتى وهو عبارة عن ترجمة لبعض النصوص من الفردوس وتحليلها والتعليق عليها.

وكتب الدكتور حسن عثمان بحثا بالانجليزية بعنوان:

---

[١]انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ ١، المجلد ١١ مايو ١٩٤٩.

[٢]انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ٢ ، المجلد ١١ ديسمبر ١٩٤٩

[٣]انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جـ٢، المجلد ١٢ ديسمبر ١٩٥٠

[٤]انظر مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة جـ١ ، المجلد الثامن عشر مايو ١٩٥٨.

[٥]انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ١٩٥٦.

[٦]انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، العدد الرابع عشر، ١٩٦٠.

Dante in Arabic , In the Seventy third Annual Report of the Dante society of America, Widener Library , Harvard University , Cambridge Massachuseets U.S.A , 1955.

كما كتب مقدمة بالايطالية والعربية لكتاب الاستاذ " طه فوزى " عن دانتى اليجييرى الذى صدر فى القاهرة

Dante eil Mondo Arabo , nella rivista "Fattie Notizia " de lla Pirelli agosto , 1967.

اما الكتب التى ألفها او ترجمها فهى:

١-رسالة للماجستير المعنونة " فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان " نوقشت بالجامعة فى عام ١٩٣٤ ولم تنشر حتى الان.

2-Fakhr- ud- Din II Emero del libano ele sue Rela zionicon l'occidente, con Documenti Inediti , P.1 Roma , 1938.

وهى رسالته للدكتوراه التى حصل عليها من جامعة روما فى عام ١٩٣٨ ولم تنشر إلى الان. [١]

٣-تاريخ مصر فى العصر العثمانى (١٥١٧- ١٧٩٨) وقد نشره بالاشتراك مع الاستاذ محمد محمد توفيق فى كتاب " المجمل فى التاريخ المصرى"[٢]، الذى أصدره بعض أعضاء هيئة التدريس[٣]، بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول فى عام ١٩٤٢ وفيه تعرض إلى الفتح العثمانى لمصر، والحكومة والإدارة فى مصر العثمانية، وبعض النواحى فى تاريخ مصر العثمانى.

---

[١]من خطاب التأبين للدكتور السروجى ، ص ٦.

[٢]اعتمد المؤلفان فى هذا الكتاب على العديد من الوثائق التركية التى تتعلق بتاريخ الادارة العثمانية فى مصر.

[٣]شارك فى تأليف هذا الكتاب الأساتذة سليمان حزين، وعبد المنعم ابو بكر، وابراهيم نصحى، وحسن ابراهيم ، وحسن عثمان واحمد عزت عبد الكريم، ومحمد مصطفى صفوت ، وكان الهدف من تأليفه وضع الحجر الأول فى كتابة تاريخ شامل لمصر باللغة العربية.

٤-منهج البحث التاريخى وقد صدرت منه طبعات عديدة كان أولها فى عام ١٩٤٣ وهذا الكتاب من المؤلفات ذات الأهمية القصوى لدى الباحثين، وخاصة ان صاحبه اعتمد فيه على خلاصة ما ورد فى العديد من المؤلفات الأوربية والأمريكية والعربية الخاصة بمناهج البحث كما أنه استرشد فيه ببعض ما كتبه علماء المسلمين فى الرواية والحديث.

٥-سافورنا رولا: الراهب الثائر وقد صدر عن دار الكاتب المصرى بالقاهرة فى عام ١٩٤٧ وحاز به صاحبه على جائزة الدولة فى عام ١٩٤٩.

٦- أن أهم عمل قام به حسن عثمان هو ترجمته للكوميديا الالهية والتى قام بنشرها فى الفترة من ١٩٥٩ – ١٩٧٢ وقد صدر منها.

أ-النشيد الأول "الجحيم " فى عام ١٩٥٩.

ب-النشيد الثانى "المطهر" فى عام ١٩٦٤.

ج-النشيد الثالث "الفردوس" فى عام ١٩٧٢.

وقد زودت هذه الترجمات بمقدمة وتحليل وشروح وتعليقات، وطريقته فى ترجمة الكوميديا هى أن يجمع فى النص المترجم بين روح البيان العربى والمحافظة على المعنى.

ونتيجة للجهود المضنية التى بذلها الدكتور حسن عثمان وبخاصة فى ترجمة أمهات الأدب الايطالى – فى مجال الدراسات الدانتية – إلى العربية حصل على العديد من الجوائز الدولية.

وإلى جانب ذلك اشترك الدكتور حسن عثمان فى العديد من المؤتمرات الدولية منها:

١-المؤتمر الدولى الدانتى فى فلورنسا فى ابريل ١٩٦٥.

٢-المؤتمر الدولى الدانتى فى افينون فى اكتوبر ١٩٦٥.

يضاف إلى ذلك انه كان عضوا فى العديد من الجمعيات العلمية نذكر منها عضويته بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية وجمعية دانتى بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة، وعضويته الفخرية فى المجمع العلمى للعلماء الدانتيين فى روما. (١)

لقد كانت آمال الدكتور حسن عثمان العلمية كبيرة فقد كان ينوى قبل وفاته أن يفرغ للقيام بدراسة عن العلاقة بين الموسيقى والأدب فى عصر دانتى وادخال دراسة الثقافة الفنية مثل فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنون الموسيقى والمسرح ضمن مناهج الدراسة فى كليات الآداب بهدف خدمة الدراسات الانسانية والتى من بينها التاريخ.

ومن المشروعات التى راودته، وشغلت تفكيره ايضا ترجمة أعمال بترارك، ولكن المنية أعجلته عن أن يحقق شيئا من ذلك.

وتقضى مشيئة الله ان تنعاه مصر فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ فى خلال انتصاراتها فى معارك أكتوبر، وفى يوم وداعها لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فيضيع نبأ وفاته فى زحمة الأحداث. (٢)

وهكذا ترك حسن عثمان دنياه بعد أن ترك تراثا هاما ورصيدا قيما فى الدراسات استطاع من خلاله أن يترك بصماته على مسار التاريخ الحديث.

٥-الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

١٩٠٩- ١٩٨٠

ولد الدكتور عزت عبد الكريم فى شبين الكوم بمحافظة المنوفية فى ١٩ يونيه عام ١٩٠٩ وأتم تعليمه الابتدائى بمدرسة قنا الابتدائية عام ١٩٢٢ والثانوى بمدرسة الزقازيق الثانوية فى عام ١٩٢٦ حيث حصل على شهادة البكالوريا (أدبى) وفى أعقاب ذلك التحق بكلية الآداب قسم التاريخ بالجامعة المصرية وبزّ أقرانه فى الدراسة خاصة وأنه كان اسبقهم فى ارتياد المكتبة بعد انتهاء المحاضرات فى كل يوم ، وظلت المكتبة

---

(١)من خطاب التأبين للدكتور السروجى، ص ١٠.

(٢)د. السروجى : من خطاب التأبين.

والاطلاع فيها جزءا لا يتجزء من حياته ، كذلك كمنت فيه منذ دخوله الجامعة بذرة الفكر العميق ، وظلت البذرة تؤتى ثمرها على مدى الأيام. [١]

وبعد تخرجه من كلية الآداب فى عام ١٩٣٠ أوفدته الجامعة إلى بعثه فى اوربا إلا ان رسوبه فى الكشف الطبى حال دون سفره فبقى فى مصر يواصل الدروس بجد واجتهاد. [٢]

وحصل على دبلوم معهد التربية فى عام ١٩٣٣ ثم تابع دراسته العليا فحصل على درجة الماجستير فى عام ١٩٣٦ بإشراف الأستاذ محمد شفيق غربال وكان موضوع رسالته " تاريخ التعليم فى عصر محمد على" ثم كان أول من ينال درجة الدكتوراه فى التاريخ من خريجى الجامعة وذلك فى عام ١٩٤١ وكان موضوع رسالته " تاريخ التعليم فى مصر منذ أواخر عصر محمد على إلى أوائل حكم توفيق" وكانت بإشراف غربال ايضا فاغنى ذلك المكتبة العربية بأضخم بحث فى تاريخ التعليم أصبح المرجع الأول فى ذلك الحقل فى شتى الجامعات، وقد رشحته كلية الآداب ليكون مساعدا فى قسم التاريخ فعمل بالتدريس فى جامعة فؤاد الأول منذ عام ١٩٣٨ ثم نقل إلى جامعة ابراهيم باشا الكبير (عين شمس) منذ انشائها فى عام ١٩٥٠.

وقد اجتمعت فى عزت عبد الكريم كل سمات المؤرخ من حيث الرغبة فى طرق أبواب العلم بهدف الوصول إلى الحقيقة ويقظة الضمير العلمى، وعدم التحيز، وسماحة النفس وادراك المواقف والربط بين الأحداث، وحس المؤرخ يضاف إلى ذلك نبل خلقه ، وذكاؤه المتوقد. وكل هذه الصفات جعلت منه ينبوعا دافقا من العلم والخلق وسفرا شع ضياؤه على المدرسة التاريخية الحديثة فلا غرو إذا احاطه تلاميذه بهالة مضيئة من مشاعر الحب والتقدير، سواء فى ذلك من تلقوا عنه ، ومن قرأوا له، ومن اتصلت أسبابهم بأسبابه، ومن أفادوا منه عن قرب فى محاضراته أو عن بعد فى كتبه وأبحاثه.

ونتيجة لذلك دعى للتدريس وإلقاء المحاضرات ومناقشة الرسائل الجامعية فى كثير من الجامعات العربية والأجنبية فى دمشق، وبنغازى، والخرطوم، وبيروت،

---

[١] اوضح ذلك رفيق صباه الدكتور عبد الحميد البطريق فى مقابله لى معه خلال صيف ١٩٩٢.

[٢] محافظ عابدين : محفظة ٢٣١ تعليم – جامعة فؤاد الأول – كلية الآداب.

والكويت، ووهران فأكسبه هذا سمعة علمية مرموقة فى مختلف المؤسسات العملية العربية، وعمل استاذا زائرا فى جامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٥٢ وأتيح له حضور عدد من المؤتمرات العلمية فى التاريخ: مؤتمر التاريخ والآثار فى المغرب عام ١٩٥٨ ومؤتمر التاريخ الآسيوى فى الهند عام ١٩٦١ ومؤتمر التاريخ الدولى فى بغداد عام ١٩٧٣[١]، ومؤتمر الحضارة العربية بالجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٥.[٢]

هذا بالإضافة إلى قيامه بالتدريس بمعهد البحوث والدراسات العربية منذ إنشائه وفى كل هذه المجالات تميز الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بسمات الاستاذ العالم من اهتمام بمحاضراته وبحوثه ، وتوثيق علاقته الأبوية بطلابه الذين ترك فيهم آثارا باقية كان يغذيها استمرار صلاته بهم بعد التخرج من الناحية العلمية والناحية الاجتماعية.

ولعل ما يضاف إلى رصيده العلمى تأسيسه لسمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس فى عام ١٩٥٥ للإشراف المتواصل على أبحاث تلاميذه بالدراسات العليا وتدريبهم على اصول البحث العلمى وتوجيههم إلى المادة التاريخية الأصيلة، وبقى مواظبا فى شتى الظروف على عقد هذه الجلسة العلمية مساء كل يوم خميس حتى صار السمنار الذى يحمل اسمه سمة مميزة وبارزة فى مجال العلاقات الجامعية والعمل العلمى وصار له فى مختلف الجامعات المصرية والعربية تلامذة ومريدون يشغل معظمهم منصب الاستاذية فى هذه الجامعات.

وقد وجه الدكتور عزت عبد الكريم تلاميذه فى الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر ومن الرسائل التى خرجت على يديه فى هذا المجال نذكر رسالتى الدكتور عبد العزيز نوار للماجستير والدكتوراه "داود باشا والى بغداد ١٨١٦-١٨٣١" و"تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ١٨٣١- ١٨٧٢" ورسالتى الدكتور جمال زكريا قاسم للماجستير والدكتوراه "دولة

---

[١] من مذكرة قدمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية إلى المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لترشيح الدكتور احمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية عام ٧٢- ١٩٧٣.

[٢] سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيسه ، ص ٥.

البوسعيد فى عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٧٤١- ١٦٨١" ورسالتى الدكتور السيد مصطفى سالم للماجستير والدكتوراه "اليمن فى عهد الامام يحى". و"الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨- ١٦٣٥" ورسالتى الدكتور يونان لبيب رزق للماجستير والدكتوراه "العلاقات الخارجية للدولة المهدية فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى" و"السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول"، ورسالة عمر على اسماعيل للماجستير "انهيار الأسرة القرمانية فى ليبيا ١٨٢٧- ١٨٣٥".

وإلى جانب ذلك فقد شجع الدكتور عزت تلاميذه على طرق تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى والاهتمام بدراسة البناء الاجتماعى للأمة المصرية فى العصر الحديث فكتب رؤوف عباس الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩- ١٩٥٢ للماجستير والملكيات الزراعية الكبرى وأثرها فى المجتمع المصرى ١٨٣٧- ١٩١٤ للدكتوراه وكتب محمود متولى الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها.

ومما يجدر بالذكر ايضا ان الدكتور عزت عبد الكريم أسهم إسهامات جادة منذ سنوات طويلة فى اعداد المناهج التاريخية للمدارس الثانوية فشارك فى وضع بعض الكتب المدرسية وكان أهمها كتاب فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر، والكتاب الذى شارك الدكتور البطريق والدكتور ابو الفتوح رضوان فى تأليفه تحت عنوان تاريخ مصر الحديث والذى كان جديدا إذا ما قيس بكل الكتب المدرسية التى كتبت قبله. (١)

وفى مجال التأليف والترجمة نجد للدكتور عزت عبد الكريم مؤلفات تقترن باسمه منها" تاريخ التعليم فى عصر محمد على" و "تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على إلى اوائل حكم توفيق " (فى أربعة أجزاء) كما شارك فى تأليف كتاب " تاريخ أوربا الاقتصادى و "المجمل فى تاريخ مصر العام".

ولعل آخر كتبه كان كتابه " دراسات فى تاريخ العرب الحديث" وفيما يلى نعرض لهذه المؤلفات:

---

(١) ابو الفتوح رضوان: التاريخ فى مناهج الدراسة بمصر، ص ١٤٣.

١-تاريخ التعليم فى عصر محمد على: [1]

وقد ملأت هذه الدراسة فراغا كبيرا فى ميدان دراسة التربية والتعليم بمصر خاصة وأنها مدعمة بالوثائق فى كل فصل من فصولها حيث استعان المؤلف بمصادر متعددة أهمها لوائح التعليم والدفاتر المصرية والتركية والوثائق المختلفة الخاصة بإصلاح التعليم هذا بالإضافة إلى كتب المعاصرين.

كما تتميز هذه الدراسة بقدرة صاحبها على الموازنة والمقارنة بين المصادر ومحاولة كشف ما بها من غموض.

٢-تاريخ التعليم منذ أواخر حكم محمد على إلى أوائل عهد توفيق ويتكون من ثلاثة أجزاء وجزء خاص بالوثائق واللوائح التعليمية[2]، ويعالج الجزء الأول تاريخ التعليم فى مصر فى عصرى عباس وسعيد من ١٨٤٨ إلى ١٨٦٣ ويفرد المؤلف بعد ذلك جزءين لدراسة التعليم فى عصر اسماعيل فيطالعنا فى الجزء الأول بمحاولات نشر التعليم الأولى والابتدائى بين عامة الناس خاصة بعد أن طالب مجلس شورى النواب بتعليم أبناء الشعب ، ووضعت الخطط فى لائحة رجب الشهيرة فى عام ١٨٦٧ لتحقيق ذلك.

وفى الجزء الثانى عالج عزت عبد الكريم الاصلاحات الخاصة بتنظيم التعليم والخطط الدراسية وتعرض بشكل واضح للتعليم التجهيزى والعالى وللبعثات التى تم ايفادها إلى اوربا.

وقد شجعت وفرة المعلومات فى هذا الموضوع المؤلف على الخوض فى تفاصيل عديدة منها تعرضه لذكر أسماء نظار المدارس وموظفى الديوان وأسماء المدارس الأجنبية وغيرها وكان يمكنه الاكتفاء بذكر معظم هذه البيانات والاحصاءات فى الجزء الخاص بالملاحق، يضاف إلى ذلك انه لم يتعرض بالمقارنة بين ما حدث للتعليم فى مصر من تطوير وما كان يسود أوربا من تقدم فى ذلك الوقت، كما انه لم يعالج بعض الاتجاهات الثقافية التى تمخض عنها ذلك العصر كحركة ظهور الوعى القومى فى الميدان التعليمى، وأثر نشاط الجاليات الأوربية فى النهضة العلمية بمصر.

---

[1] نشرته مكتبة النهضة المصرية فى عام ١٩٣٨.

[2] تولت وزارة المعارف طبع هذه الأجزاء لاهميتها العلمية والتعليمية.

ومع أن هذه الدراسة أشبه بتقويم للتعليم، ومع أنها تعد دراسة هامة فى تاريخ مصر الاجتماعى الوصفى فأنها أيضا كشفت لنا حقائق جديدة وهامة عرضها صاحبها بطريقة تميزت بحسن التعليق والتدليل مع الاهتمام بالتفاصيل.

-تاريخ أوربا الاقتصادى:

ويستشف من هذه الدراسة تمكن الدكتور عزت عبد الكريم من المزج الدقيق بين التطور الاقتصادى فى أوربا الحديثة وتاريخها السياسى والاجتماعى.

-تاريخ مصر من الحملة الفرنسية إلى نهاية عصر اسماعيل ١٧٩٨- ١٨٧٩:

وقد نشرت هذه الدراسة ضمن كتاب "المجمل فى تاريخ مصر العام" الذى صدر فى عام ١٩٤٢ بقلم مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة فؤاد الأول، وهى عبارة عن دراسة هامة يرجع إليها الدارسون لتطور مصر الحديثة والراغبون فى تتبع المعالم الأساسية فى هذا التاريخ، وقد برزت فيها العوامل التى تضافرت على تشكيل تاريخ مصر فى هذه الفترة وهى شخصية ولاة مصر وموقف الدولة العثمانية، وسياسة الدول الأوربية بإزاء مصر، ونشأة الشعور القومى. (١)

-العرب والسياسة الدولية:

دراسة أصدرها المكتب الثقافى لحزب البعث العربى بسورية عرض فيها الدكتور عزت لنشوء الوعى القومى عند العرب وأثره فى ايجاد رابطة الجامعة العربية، وضرورة اتباع سياسة حيادية تجاه التيارات السياسية الدولية. (٢)

-دراسات فى تاريخ العرب الحديث:

ويضم هذا الكتاب ست دراسات فى تاريخ العرب الحديث سبق نشر أربع منها، أما الدراستان الخامسة فلم يسبق نشرها وهذه الدراسات الست على الرغم من تنوعها من حيث الموضوع والزمان والمكان فانها ترتبط باطار واحد هو اطار التاريخ العربى الحديث منذ بدايته فى فترة الفتوح العثمانية حتى حرب يونيو ١٩٦٧ وآثارها، فإذا كان

---

(١) للتفاصيل انظر المجمل فى التاريخ المصرى ص ٢٨٥- ٣٧٥.

(٢) الكتاب: المجلد السادس فى يونيو ١٩٤٨، ص ١٣٢.

عنوان الفصل الأول هو " العلاقات بين الشرق العربى وأوربا فى القرنين السادس عشر والتاسع عشر" فان عنوان الفصل الأخير من هذا الكتاب "المعالم الرئيسية فى تاريخ القضية الفلسطينية وبين هذا وذاك تناول فصول الكتاب دراسات منوعة من تاريخ العرب الحديث فى المشرق والمغرب فعن المشرق تناول الفصل الثانى من الكتاب "التقسيم الادارى لسورية فى العهد العثمانى" وتناول الفصل الثالث "دمشق فى منتصف القرن الثامن عشر" ودرس الفصل الرابع "نهضة مصر فى القرن التاسع عشر" أما عن المغرب فقد تناول الكتاب فى فصله الخامس المسألة الجزائرية فى السياسة الدولية منذ تأسيس النيابة إلى حملة ١٨٣٠.

وفى مجال التحقيق العلمى أصدر الدكتور عزت عبد الكريم تحقيقا لحوليات الكاتب الدمشقى الشيخ احمد البديرى الحلاق الذى صور الحياة الاجتماعية فى دمشق فى القرن الثانى عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى. وقد صدر تحقيقه لهذه المخطوطة بمقدمة طويلة شملت حوالى ستين صفحة بين فيها اهمية الموضوع وعرض للمواد التى تحويها الحوليات. [١]

وفى هذا المجال ايضا نشر فى حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس عن "التنظيم الادارى بسورية فى العصر العثمانى" هذا إلى جانب بحوث اخرى نشرت فى مجلات وحوليات علمية منفردة "فى أصول المسألة الجزائرية " و "التغيير الاجتماعى لمجتمع القاهرة فى القرن التاسع عشر و "أزمة الفكر العربى فى مطلع العصر الحديث" و "الجبرتى مؤرخ مصرى على مفترق الطرق " والتأليف التاريخى فى مصر بين التقليد والتجديد.

وفى مجال الترجمة أسهم الدكتور عزت عبد الكريم فى ترجمة كتاب البندقية جمهورية ارستقراطية[٢]، لشارل ديل[٣]، والذى تعرض لنظام البندقية السياسى وتطورها التاريخى، وتطرق إلى العوامل التى كونت عظمتها ثم الأسباب التى أدت إلى انحلالها وقد بذل الدكتور عزت جهدا بارزا فى انتقاء المصطلحات اللازمة للتعبير عن مكنون

---

[١] نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى عام ١٩٥٩.

[٢] نشرتها دار المعارف فى عام ١٩٤٨ وقد شارك فى ترجمتها الاستاذ توفيق اسكندر.

[٣] استاذ التاريخ البيزنطى بجامعة باريس وعضو المجمع الفرنسى.

المعانى التى أرادها الكاتب، ووفى شروط الأمانة فى النقل فجاءت الترجمة دقيقة وممتعة، يضاف إلى ذلك قيامه بمراجعة بعض الترجمات المهمة التى أثرت المكتبة العربية فى موضوعات لها أهميتها ، ساعده فى ذلك تمكنه العلمى، والمامه الواسع بأساليب اللغتين العربية والانجليزية وقد عرف عنه الدقة والحرص فى هذا المجال. [١]

وإلى جانب ذلك أصدر الدكتور عزت عبد الكريم سلسلة " المكتبة التاريخية" ذلك المشروع العلمى الذى قام على أساس تكوين سلسلة من الدراسات التاريخية بأقلام المتخصصين فى شتى فروع المعرفة التاريخية ليستفيد منها طلاب الجامعات وكل صاحب حظ من ثقافة، وقد أخذ هذا المشروع طريقه إلى الظهور فى يونيو ١٩٥٨، وصدّر الدكتور عزت كل كتاب من هذه المجموعة بمقدمة علمية شاملة. [٢]

ونتيجة لجهود الدكتور عزت عبد الكريم المثمرة ودوره فى خدمة الدراسات التاريخية تم اختياره رئيسا للجمعية التاريخية فى الفترة من ١٩٦٥- ١٩٧٦ وقد بذل فيها من جهده ووقته خاصة فى مجال تنظيم الندوات، والمواسم الثقافية ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتها فى تاريخها، ويرجع نجاح هذه الندوات إلى الجهود التى كان يبذلها فى الترتيب والتنظيم والإدارة الحكيمة، وإلى خبرته وولعه الشديد بأن تأتى ثمار هذه الندوات يانعة[٣]، فقد حرص على إقامة ندوة سنوية لمناقشة حياة مؤرخ من اعلام مؤرخى مصر وسيرته ومنهجه وأعماله العلمية على نحو علمى يليق بمكانته وذلك بهدف إحياء ذكرى أعلام المؤرخين ، وحتى يتوفر لمثل هذه الندوات الامكانات المادية والإعلامية وغيرها شارك المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى هذه الندوات، وقد بدأت هذه الندوات بندوة عن المؤرخ " تقى الدين المقريزى" فى الرابع من مايو ١٩٦٦ وتلتها ندوة عن المؤرخ " القلقشندى" ثم ندوة عن المؤرخ " عبد الرحمن بن عبد الحكم " وندوة عن "أبى المحاسن بن تغرى بردى" وتبعتها الندوة العلمية عن "ابن

---

[١] مذكرة الجمعية التاريخية بشان ترشيح الدكتور احمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية.

[٢] انظر العدد الأول من السلسلة.

[٣] د. عبد المنعم الجميعى : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية – دراسة تاريخية لمؤسسات علمية ، ص ١٥٧.

إياس" ثم احتفلت الجمعية فى عام ١٩٧٤ بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة المؤرخ " عبد الرحمن الجبرتى".

ويضاف إلى ذلك ان الدكتور عزت عبد الكريم دفع الجمعية إلى المشاركة فى العديد من المناسبات العلمية والقومية فقد أقامت الجمعية ندوة مصطفى كامل " بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد الزعيم مصطفى كامل.

ولم تقتصر ندوات عزت عبد الكريم على الجمعية التاريخية بل أقام فى سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس الذى يعتبر لبنة من لبناته العديد من المؤتمرات السنوية فنظم السمنار ندوة " وثائق تاريخ العرب الحديث" وندوة " البحر الأحمر فى التاريخ" وندوة " الثورة العرابية بمناسبة مرور مائة عام على قيامها".

هذا عن الدكتور عزت عبد الكريم الباحث والمعلم والمؤرخ وهناك مجال آخر برز فيه وهو التطبيق العلمى لأفكاره ولأستاذيته فى مجال أوسع حين تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ثلاث سنوات ١٩٦١- ١٩٦٤ شهدت فيها الكلية آثار جهوده وعلاقاته بطلبته وأعضاء هيئة التدريس فقد كان قدوة فى الانكباب على العمل فى دقة وإحاطة واسعة ، وقد أهله ذلك لتولى وكالة جامعة عين شمس ثم تعينيه مديرا للجامعة نفسها فى عام ١٩٦٨ حتى أحيل إلى المعاش فى العام التالى.

ولم تقتصر جهوده فى خدمة التعليم الجامعى على جامعة عين شمس وإنما امتدت إلى التعليم الجامعى بصفة عامة فاختير رئيسا للجنة قطاع الدراسة والعلوم الانسانية بالمجلس الأعلى للجامعات وهى اللجنة التى اشرفت على تطوير الدراسة بكليات الآداب، ودار العلوم فى سنتى ٦٨- ١٩٦٩ كما كان ايضا مقررا للجنة الدائمة لفحص انتاج أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية.

وقد شارك الدكتور عزت عبد الكريم فى نشاط " المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية عدة سنوات، فكان عضوا به، كما عمل عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس وظل الدكتور عزت ملتصقا بقاعات الدرس معتزا بأستاذيته قبل كل شئ. وعندما داهمه المرض، وكلت قواه الجسدية ، ظل كما هو صاحب الذهن الصافى،

والمنهج الفكرى السليم يتحامل على نفسه، ويرأس حلقات البحث بضمير يقظ ، وحافظة واعية ، وحاسة نقد عميقة.

وهكذا كان للدكتور عزت عبد الكريم الاثر الكبير فى تكوين جيل كبير من دارسى التاريخ الحديث وأساتذته فى شتى البلدان العربية طوال مدة تربو على الاربعين عاما قضاها فى حماسة وصبر كبيرين فكان نعم الأستاذ والموجه لتلاميذه والناهلين من علمه.

هذا إلى جانب انه ترك الدنيا فى عام ١٩٨٠ بعد ان خلف وراءه تراثا هاما للأجيال القادمة ، واستطاع بذلك ان يترك بصماته على مسار تاريخنا الحديث.

الدكتور محمد أحمد انيس

١٩٢١-١٩٨٦

المؤرخون نوعان نوع تصنعه الظروف، ونوع يستطيع ان يصنع الظروف، النوع الأول يقتصر دوره داخل حدود الحرم الجامعى، ولا يزيد فكره على مجرد معلومات موضوعه بين دفتى كتبه. أما النوع الثانى فهو موهوب لديه ملكة النقد والفحص والاستقراء والأفق الواسع وكثيرا ما يسبق فكره عصره. والدكتور محمد انيس من النوع الثانى فانه كان مؤرخا يملك القدرة على إدراك المواقف، ويحترم فكره ويصون نفسه عن الامتهان، لا يداهن ولا يرائى ويتحلى بسلامة الفكر وصواب الحكم وعمق الايمان بقضايا امته ، وكان على استعداد لمواجهة أعتى التحديات والمخاطر فى سبيل الدفاع عن حق يعتقده أو فكرة يؤمن بها، أو من أجل الدفاع عن مظلوم سلب حقه، او اعتدى على فكرة دون يأس أو كلل او استسلام يضاف إلى ذلك انه قاد مدرسة التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى مصر لا بقلمه وفكره فحسب وإنما بأعصابه وشرايينه حتى أخذت هذه المدرسة تدلو بدلوها ضمن المدرسة التاريخية المصرية.

وقد ولد الدكتور محمد انيس فى ١٩٢١/٨/١٨ بشياخة الغريب قسم الدرب الأحمر أحد أحياء القاهرة الشعبية لأسرة من الحرفيين يعملون فى بناء وترميم المساجد

بمعنى ان اسرته لم تكن بعيدة عن شظف العيش[١]، وان كانت قد عرفت طريقها إلى التعليم.

وبعد أن انهى محمد انيس دراسته الابتدائية التحق بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية[٢]، وخلال ذلك شارك فى المظاهرات الكبيرة التى قامت احتجاجا على "تصريح هور" فى عام ١٩٣٥.

وبعد ان حصل أنيس على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) فى عام ١٩٤٣ وكان الأول على دفعته حصل على دبلوم معهد التربية العالى فى عام ١٩٤٥[٣]، وقبل التحاقه بالجامعة عمل مدرسا بالمدرسة النموذجية ثم أوفدته الجامعة فى بعثة دراسية بانجلترا لدراسة التاريخ الحديث. فسافر إلى لندن فى ٨ ديسمبر ١٩٤٥ والتحق بجامعة برمنجهام تحت إشراف البروفسور هاوجود Howgood[٤]، وهناك احتك بالمجتمع الانجليزى عن قرب وشاهد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى خلفتها الحرب العالمية الثانية فى بريطانيا، ووصول حزب العمال إلى قمة السلطة فى عام ١٩٤٥ بما يحمله من مبادئ وأفكار اشتراكية، وتطلع الانجليز إلى تغييرات اجتماعية جذرية، وبروز الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى كقوة ذات تأثير على مجريات الأحداث العالمية.

يضاف إلى ذلك مشاركته فى الحلقات الثقافية حول مناهج البحث وفلسفة التاريخ والمدارس المختلفة التى لعبت دورا فى تفسيره[٥]، كل ذلك جعل انيس ينفتح على الفكر الاشتراكى ويقرأ فيه بنهم وحب شديدين.

---

[١] كانت أسرة الدكتور انيس فقيره من ناحية الأب وفقيرة من ناحية الأم والذى شجع أفرادها على مواصلة التعليم هو الشيخ على الشهداوى خال غير شقيق لأم الدكتور محمد انيس حيث كرس وقته لتعليم افراد الاسرة للتفاصيل : انظر تعليق الدكتور عبد العظيم انيس فى تكريم محمد انيس المواجهة: الكتاب السابع صيف ١٩٨٨، ص ١١٩.

[٢] اسمها حاليا الحسينية الثانوية.

[٣] دار الوثائق – البعثات : ملف رقم ٦١٤٤ – ملخص حالة عضو بعثة كلية الآداب – جامعة فؤاد الأول.

[٤] دار الوثائق: الملف سابق الذكر، مذكرة بشأن مد بعثة حضرة محمد احمد انيس.

[٥] د. على بركات: التاريخ وقضايا المنهج فى مصر المعاصرة – قضايا فكرية ١٩٩٢، ص ٨٣ وقد استقى المعلومات الخاصة بالأصول الاجتماعية لمحمد انيس عن طريق لقائه بالدكتور عبد العظيم انيس ومناقشته فى هذا الموضوع.

وخلال ذلك تمكن محمد انيس من الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه، من جامعة برمنجهام فى مايو ١٩٥٠ بعد أن مدت إدارة البعثات بعثته لمدة سنتين وكان موضوع رسالته يدور حول الصراع على البحر الأحمر كطريق للمواصلات فى القرن الثامن عشر.

The Development of the British interests in the Late 18th century.

وبعد أن أتم الدكتور أنيس رسالته عاد إلى مصر ليعمل مدرسا للتاريخ الحديث بجامعة القاهرة، وخلال ذلك أثبتت عقليته الواعية المتفتحة وحسه التاريخى المرهف القدرة على التمييز بين ما يدور حوله ، كما استطاع بدقة ملاحظته وحرية فكرة ان يتخطى الحواجز، ويعالج الكثير من الأمور التى كانت تعد محظورة فى ذلك الوقت، ففى الخمسينات من هذا القرن حينما كانت مصر تنتقل من العصر الملكى إلى العصر الجمهورى، وكان كل صاحب رأى يعد خطرا فى نظر السلطة كانت محاضرات الدكتور انيس الجريئة بالجامعة تطرح القضايا الشائكة التى كانت تجول بخواطر الطلاب حول الماضى والحاضر والمستقبل والعلاقة بين الوطنية والحرية والسيادة والاستقلال، وعلاقة مصر بالعالم العربى بصفتها مركز الثقل فى المنطقة العربية، وكان الدكتور انيس يطرح الأسئلة التى تبحث عن إجابات ليشحذ همم طلابه، ويستثير نفوسهم، ويدفعهم إلى التفكير من أجل البحث معه عن الحقيقة، ثم يقوم بمناقشة ما طرحه من أسئلة من جميع نواحيها فى لغة سهلة يسيرة تتميز بعفوية الحركات وحسن الاستطراد وبساطة الطرفة والجمع بين القدرة على تمثيل الحقائق التاريخية والأسلوب الذى يفضى إلى تفهم هذه الحقائق. وبعد ان يضع الدكتور انيس النقاط على الحروف يخرج طلابه من قاعات الدرس وهم يشعرون انهم أصبحوا أقدر على فهم وتفسير الأحداث التى تلاحق وطنهم لذلك أحبه طلابه وقدروا فيه فكرة ومقدرته ودقة ملاحظته وصفاء ذهنه واتساع خياله وإدراكه للمواقف هذا فضلا عن روحه المرحة.

وحين تعرض الدكتور انيس لمضايقات السلطة التى كانت تلاحقه، وتمهد لفصله من الجامعة فى عام ١٩٥٤ اعتكف عن الذهاب إلى الجامعة أحتجاجا على ذلك وأضرب تلاميذه فى قسم التاريخ عن الدراسة دفاعا عن استاذهم واحتجاجا على ما يحاك ضده ،

ونتيجة لإلحاح طلابه عاد إلى قاعة الدرس ليلقى محاضراته، وليرفع عاليا راية القيم الجامعية الحقة. (١)

وحين وقع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ وكانت الجامعة لا تزال مفتوحة ، والطلاب ينتظرون محاضرة أستاذهم، دخل الدكتور أنيس قاعة المحاضرة ولم يقل غير كلمات محدودة " ليس الآن وقت الكلام ، وانما هو وقت النضال، وليس عندى ما أقوله سوى دعوتكم جميعا للخروج فى هذه اللحظة، والانضمام على مراكز التدريب.

وهكذا خرج الطلاب يبحثون عن تلك المراكز التى كان يجرى اعدادها على عجل(٢). لقد أحب الدكتور انيس مصر وعشق تاريخها، فعبر بقلمه وفكره عن قضايا وطنه، ووجه درس التاريخ الاجتماعى والاقتصادى – وبخاصة بعد وصوله إلى كرسى استاذية التاريخ فى جامعة القاهرة- وهو الدرس الذى يرى ان المحرك الأول لتسيير التاريخ هو الشعب ومن هنا حاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بابراز دور المقاومة الشعبية، ورد اعتبار الشعب المصرى وسيرته فى صنع الأحداث، ومقاومة الوطنيين للنفوذ الاستعمارى بكافة اشكاله، وإبراز دور الحركات الوطنية فى مواجهة الاحتلال، كما تصدى لدور المدرسة الاستعمارية التى ترى ان استمرار حركة التغريب هى الطريقة المثلى للحاق الشرق بالغرب، وان مواكبة الغرب والتبعية له ضرورة حيوية لإنقاذ الشرق من براثن التخلف.

وانطلاقا من ذلك وجه الدكتور انيس تلاميذه فى الدراسات العليا إلى التركيز على دراسة الحركات الوطنية فى مصر، وثورات التحرر فى العالم العربى، ودراسة القوى الاجتماعية، ودورها فى مواجهة الاستعمار والمتمثلة فى الحركات العمالية والطلابية والفلاحية وطبقة المثقفين، وقد خرجت على يديه عشرات الرسائل فى هذا المجال نذكر منها رسالتى الدكتور عبد العظيم رمضان للماجستير والدكتوراه "تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦" و"تطور الحركة الوطنية فى مصر من إبرام معاهدة ١٩٣٦ إلى بداية الحرب العالمية الثانية " ورسالة الدكتور على بركات

---

(١) الاخبار فى ١٩٨٦/٩/٧ مقال للاستاذ نبيل زكى تحت عنوان: "لله وللتاريخ".

(٢) الأهرام فى ١٩٨٦/٩/٧ مقال للدكتور عادل غنيم تحت عنوان: " محمد انيس.. المؤرخ الوطنى الذى فقدناه".

للدكتوراه "تطور الملكية الزراعية فى مصر وأثره على الحركة السياسية ١٨٤٦- ١٩١٤" ورسالة الدكتور مصطفى النحاس جبر للماجستير " سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦- ١٩١٤" ورسالة الدكتوراه نوال راضى للماجستير " الحركة العمالية واثرها في تطور التاريخ السياسى فى مصر ١٨٩٩- ١٩٣٠" ورسالة الدكتور عبد المنعم الجميعى للماجستير "الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى" ورسالتى الدكتوراه عادل غنيم للماجستير، والدكتوراه " الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧- ١٩٣٦" و "الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب الثانية" ورسالة الدكتور اسماعيل ياغى للماجستير "حركة رشيد علالى الكيلانى" ورسالتى الدكتور عبد الأمير العكام للماجستير والدكتوراه "تاريخ حزب الاستقلال العراقى ١٩٤٦- ١٩٥٨ والحركة الوطنية فى العراق ١٩٢١- ١٩٣٣ ورسالة عبد الله جندى ايوب للماجستير " كفاح الأمير عبد القادر الجزائرى ضد الفرنسيين فى الجزائر " ورسالة احمد صدقى الدجانى للماجستير "نشأة الحركة السنوسية ونموها فى القرن التاسع عشر، ورسالة عبد الفتاح ابو عليه للماجستير "الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠- ١٨٩١" ورسالة خيرية قاسمية للماجستير "الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨- ١٩٢٠، وأغلب الظن ان فترة طويلة ستمضى حتى يمكن دراسة المجالات التى دعا إليها الدكتور انيس وفتح أبوابها ومد آفاقها خاصة وانه كان يخوض غمار الأفكار الصعبة ولا يقتنع باليسير الهين دون ان يكل عزمه أو يفتر إزاء ما يلقى من صعاب.

قد يقول البعض ان دراسة الحركات الوطنية وحركات التحرر تتسم فى بعض الأحيان بالحماسة وتدفق العواطف القومية مما يكون له اثره على موضوعية الباحث[1]، وقد يقول بعض آخر ان تاثير القومية فى الدراسات التاريخية تقترب بالباحث من الذاتية على حساب الحقيقة العلمية، ومع تسليمنا بكل ذلك فانه يمكن القول ان الدراسات التى قام بها الدكتور انيس أو أشرف عليها كانت فى جلها تخاطب العقل وتعتمد على الوثائق والمصادر الأصلية التى تعد المادة الأساسية لكتابة التاريخ، وأنها أسهمت بصورة

---

[1] ان تأثير القومية على كتابات المؤرخين الألمان والفرنسيين كان كبيرا وقد ظهر ذلك خلال حركة بعث بروسيا وما تبعه من رواج فكرة سمو الجنس الأرى بالنسبة للألمان، وخلال الثورة الفرنسية وتمجيد البعض لها بدرجة اخرجت كتاباتهم عن الموضوعية بالنسبة للفرنسيين.

واضحة فى غرس وطنية مستنيرة وفى تغذية الشعور الوطنى لدى المصريين، وفى احياء ماضيهم الوطنى بكل عناصره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ومن أبرز القضايا التى تجشم الدكتور انيس المتاعب من اجل تحقيقها قضية المحافظة على الوثائق المصرية ودراستها والبحث عن المغمور منها وقد تمكن من تحقيق ما يلى:

أولا: استصدار قوانين تمنع تسرب الوثائق المصرية الى الخارج.

ثانيا: تأسيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر[1]، بهدف تجميع وثائق التاريخ المصرى المعاصر من مختلف الجهات والشخصيات وإتاحة الفرصة للباحثين من داخل المركز وخارجه للإفادة بها فى اعداد دراساتهم وقد تمكن هذا المركز خلال اشراف الدكتور محمد انيس عليه فى الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٥ من جمع شتات الوثائق المتعلقة بعصر الملك فؤاد وترتيبها وفهرستها، ولعل أهمها تقارير الأمن والمراسلات بين البلاط الملكى وغيره من الجهات فى الخارج والداخل هذا بالإضافة إلى تسجيل ما لدى السياسيين القدامى من معلومات مثل ذكريات عبد الفتاح عنايت الذى كان مشتركا فى احدى خلايا الجهاز السرى اثناء ثورة ١٩١٩ وعبد العزيز على الذى لعب دورا فى نفس الثورة، وذكريات بعض الشهود العيان الذين عاشوا احداث حركة اللواء الأبيض بالسودان فى عام ١٩٢٤.

وقد قطع هذا الاتجاه شوطا طويلا غير ان هذا المركز اخذ يتعثر بعد وفاة الرئيس عبد الناصر، وبروز دعوة اعادة كتابة تاريخ مصر الحديث عن طريق لجنة رسمية يتم تكليفها من قبل الدولة ويكون لها القول الفصل والحكم القاطع فيما تكتبه.

أما عن مؤلفات الدكتور انيس وآثاره العلمية فقد كانت تعبر أصدق تعبير عن إيمانه بقدرات الشعب المصرى الخلاقة، ومحاولاته المستمرة للوقوف ضد ظالميه

---

(١) أنشئ هذا المركز بقرار وزارى فى ١٩٦٤/٦/٢٥ باسم مركز دراسات التاريخ القومى، وكان يتبع مصلحة الاستعلامات التابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومى فى ذلك الوقت ثم ضم إلى دار الكتب والوثائق القومية فى عام ١٩٦٦ وفى عام ١٩٦٧ تم تعديل اسم المركز إلى مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، وصار تابعا لوزارة الثقافة ، وفى عام ١٩٧١ اصبح المركز واحدا من المراكز العلمية التى يضمها قطاع النشر والمراكز العلمية بالهيئة العامة للكتاب.

ومغتصبى حقوقه فمن يقرأ دراساته وأبحاثه فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر يجد فيها (بانوراما) لإنتاجه الفكرى الذى يرقى فوق أسلوب سرد الحوادث والوقائع ويتميز بالأصالة ، ويقوم على الدراسات المهضومة التى تخاطب العقل ، وتتغزل فى حب مصر والدفاع عن حقوقها بطريقة محببة للعقل والنفس معا ويشعر بأنه يقرأ لمؤرخ قادر على توصيل الحدث ونقله بطريقة صحيحة مؤثرة وكأنه يعيش فى العصر الذى يتحدث عنه وكأن الحدث يتمثل امامه.

لقد ظل الدكتور انيس فى كتاباته يدعو على نفض تراب النسيان الذى تراكم على صفحات الكفاح الوطنى سعيا وراء الأسرار والخفايا المجهولة ، وبحثا عن التراث الفكرى والحضارى فى أحشاء التاريخ كما أنه طرق بابا جديدا للوصول إلى ما هو غير متاح فى الكتب والوثائق المستهلكة ألا وهو الحصول على مذكرات السياسيين الذين شاركوا فى الأحداث ثم دراستها واستخلاص ما بها من أسرار وأخبار والربط بينها وبين شتات المتفرقات التاريخية والحقائق المضطربة المتنازعة بحثا عن الحقيقة الواضحة الأركان وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير.

ومع ان اهتمامات الدكتور أنيس تركزت فى دراسة تاريخ مصر المعاصر والبحث فى دهاليز هذا التاريخ بحثا عن شخصياته المحركة فانه لم يغفل ايضا دراسة الحكم العثمانى للوطن العربى وأثره.

وتناول الدكتور انيس فى كتاباته التاريخ الأوربى فى محاولة منه لإبراز اهمية التفسير الاقتصادى فى فترة انتقال أوربا إلى العصور الحديثة.

وفيما يخص تاريخ مصر المعاصر أصدر الدكتور انيس كتابا بمناسبة اشتراك مصر فى مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ وكان عنوانه " المؤتمر الآسيوى الأفريقى" اوضح فيه أسباب إنتهاج مصر لسياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى. وفى عام ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية أصدر الدكتور أنيس كتابا بعنوان: " دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية" أوضح فيه أن الوحدة العربية هى السبيل الأمثل لحركة النضال الوطنى فى العالم العربى، وان مصر قلب العروبة النابض ورائدة الكفاح ضد الاستعمار ستظل مركز الثقل فى العالم العربى.

وفى عام ١٩٦٢ أصدر الدكتور انيس كتابا تحت عنوان: " صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل " انفرد فيه بنشر رسائل جديدة لمصطفى كامل كان قد كتبها فى الفترة من ٨ يونيو ١٨٩٥ إلى ١٩ فبراير ١٨٩٦ وتوضح معظمها علاقته بالخديو عباس الثانى خلال هذه الفترة المبكرة من حياته الوطنية وأثناء دراسته للحقوق فى فرنسا.

وقد أبرزت هذه الدراسة صفحة جديدة من حياة مصطفى كامل حرصت مدرسة الحزب الوطنى على التكتم عليها وهى أن الخديوية هى التى كانت تنفق على رحلة مصطفى كامل فى اوربا عام ١٨٩٥.

وفى عام ١٩٦٣ نشر كتابه " دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩" وهو يحوى المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية وهى توضح العديد من النقاط الغامضة خلال اشتعال الثورة ودور عبد الرحمن فهمى فى ضم العمال خلال الثورة، وبشكل أزاح الستار عن جوانب هامة من نضال الوفد الذى سعى لتحقيق استقلال مصر بكافة الطرق والسبل العلنية والسرية معا.

وفى عام ١٩٧٢ نشر كتابه ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها فى الأهرام فى عام ١٩٦٧ وتتمثل قيمة هذا الكتاب فى ان صاحبه فتح للمؤرخين بابا جديدا باعتماده على الوثائق البريطانية فى تحديد مسئولية الوفد فى هذه الحادثة وربطه للأحداث فى إطارها الدولى، وبحكم فكره التقدمى استطاع أن يثبت ان الأمر يرجع إلى رغبة بريطانيا فى الاستناد إلى قوة شعبية ممثلة فى حزب الوفد، وهذه الرغبة دفعتها إلى ما حدث وهذا يؤكد فى النهاية نفى المزاعم التى ترددت حول عمالة النحاس للانجليز وتورطه فى الأمر.

وفى عام ١٩٧٢ ايضا صدر له كتاب بعنوان " حريق القاهرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مرة، وهو عبارة عن مقالات كان قد نشرها بالأرقام فى عام ١٩٦٩ وقد حصر فيه مسئولية حريق القاهرة فى المخابرات البريطانية والقصر الملكى.

وفى عام ١٩٧٣ نشر أوراق حسن باشا نشأت تحت عنوان " صفحات مجهولة من التاريخ المصرى أو سنوات الصراع العنيف بين عباس وفؤاد" وقد تعرض فيه للدور الذى لعبه الملك فؤاد لمنع الخديو عباس من العودة إلى مصر.

وفى عام ١٩٨٤ نشر الدكتور محمد انيس مجموعة محاضراته التى كان قد ألقاها على طلاب المعهد العالى للدراسات الاشتراكية فى عام ١٩٦٥ فى كتاب تحت عنوان: " تطور المجتمع المصرى من الاقطاع إلى ثورة ٢٣ يوليو.

هذا عما كتبه الدكتور انيس فى تاريخ مصر المعاصر وأما فيما يخص التاريخ العثمانى فقد تعرض فى كتابه الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤- ١٩١٤ لمسئولية الدولة العثمانية عن تخلف العالم العربى، وكان ممن يرون أن النظام العثمانى نظام اقطاعى، وأن العثمانيين سيطروا على العالم العربى بقوة السلاح، وأنهم جنس غريب عن العرب، ولم يفكروا قط فى العمل لمصلحة العرب.

كما كتب الدكتور انيس دراسة بعنوان " مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى"[١]، تعرض فيه لكتابات المؤرخين المصريين خلال هذه الفترة، وناقش محتويات هذه الكتابات والمدارس التى ينتمى إليها اصحابها، وإلى جانب ذلك نجد له ثلاث دراسات عن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى عاصر أجزاء من تاريخ مصر العثمانية وهى " الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار"[٢]، وحقائق جديدة عن عبد الرحمن الجبرتى مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية[٣]، وقد اعتمد فيها على عدد من الوثائق المحفوظة بدفتر خانة المحكمة الشرعية بالقاهرة[٤]، والجبرتى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى[٥]، وقد تعرض فيه لأهم مصادر تاريخ

---

[١]نشر معهد الدراسات العربية العالية هذه الدراسة فى عام ١٩٦٢.

[٢]نشرت هذه الدراسة فى مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة، المجلد ١٨، جـ١، مايو ١٩٥٦.

[٣]نشرت هذه الدراسة فى المجلة التاريخية المصرية المجلدان التاسع والعاشر ٦٠- ١٩٦٢ ، ص ٦٩- ١١٥.

[٤]استطاع الدكتور انيس فى هذه الدراسة اضافة بعض المعلومات الجديدة بالنسبة للجبرتى واسرته، وان يثبت بالقطع ان عبد الرحمن الجبرتى توفى فى عام ١٢٤٠هـ/ ١٤ مايو ١٨٢٥ وليس كما يذكر البعض انه توفى فى رمضان ١٢٣٧هـ يونيو ١٨٢٢.

[٥]عبد الرحمن الجبرتى – دراسات وبحوث ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب، ص ٩٥- ١٢٠.

مصر العثمانية، وأسباب تدهور التأليف التاريخى فى العصر العثمانى وقد قسم المؤرخين فى هذه الفترة إلى ثلاثة اقسام وهى:

مدرسة المؤرخين التقليديين، ومدرسة التراجم، ومدرسة الاجناد، ثم بدأ يوضح مميزات الجبرتى على غيره من المؤرخين، وكيف كتب مؤلفاته ، وأهمية هذه المؤلفات فى ميزان التاريخ.

وأما عن كتابات الدكتور انيس فى التاريخ الأوربى فقد ركز فيها على اثر التاريخ الاقتصادى فى انتقال أوربا من العصور الوسطى إلى الحديثة ففى كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع الدكتور سعيد عاشور تحت عنوان "النهضات الأوربية فى العصور الوسطى وبداية الحديثة" انفرد بدراسة تحت عنوان: " النهضة الأوربية فى القرن الخامس عشر" وفيها تعرض لصرامة نظام الطبقات فى أوربا العصور الوسطى بحيث اضحى الانسان معه خاضعا فى كل نواحى حياته المهمة لمجموعة ضخمة من العادات والتقاليد الموروثة داخل طبقته حتى إذا ما ظهرت النهضة اخذت حواجز التقاليد العتيقة فى الانهيار. [١]

أولا: المقالات التاريخية:

للدكتور انيس دراسات تاريخية مهمة فى الصحف والمجلات المصرية والعربية نذكر منها: "وثائق الثورة العرابية" التى نشرت فى مجلة الكاتب على حلقات[٢]، والصراع بين الخليفة والورثة"[٣]، (محمد فريد وعلى فهمى كامل) و"الحزب الجمهورى ١٩٠٧- ١٩٠٨"[٤]، و"سعد زغلول وضمير الأمة المصرية"[٥]، والأوراق الخاصة للورد كيلرن- السنة الأولى للمندوب السامى[٦]،

---

[١] انظر الفصل الرابع من الكتاب ، ص ٢٣٩- ٣١٣.

[٢] الكاتب اعداد يونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر ١٩٦٩.

[٣] الاهرام فى ١٩٧٣/٨/٣.

[٤] الكاتب ديسمبر ١٩٦٩.

[٥] الهلال اغسطس ١٩٨٤، ص ٩٠- ٩٧.

[٦] الاهرام فى ١٩٧٣/٣/٥.

والنحاس ومعاهدة ١٩٣٦[١]، وحادث ٤ فبراير ١٩٤٢[٢]،وحريق القاهرة[٣]، ولماذا سمح الانجليز للملك فاروق باقالة حكومة الوفد بعد الحرب الثانية[٤]، و٢١ فبراير فى التاريخ المصرى[٥]، و"أزمة الحركة الوطنية ابان الحرب العالمية الأولى"[٦]، و"الاحتلال البريطانى والحركة الوطنية - مؤامرة شبرا ١٩١٢[٧]، وشفيق غربال ومدرسة التاريخ المصرى الحديث. [٨]

وتكمن أهمية هذه الدراسات فى أن صاحبها يُعد من المؤرخين المصريين القلائل الذى بذلوا جهدا كبيرا فى خدمة تاريخ مصر المعاصر والكتابة فيه من خلال وثائقه.

ثانيا: المقالات السياسية:

وحول المقالات السياسية التى كتبها الدكتور انيس فى الصحف والمجلات المصرية والعربية فهى عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "العدوان الامبريالى والثورة الاجتماعية"[٩]، و"الوحدة الوطنية الفلسطينية"[١٠]، و"ثورة على ضفاف النيل"[١١]، و"مسئولية الشعب بعد عبد الناصر"[١٢]، و"الأبعاد التاريخية لمعركة الصمود

---

[١] الاهرام فى ٦ / ٣/ ١٩٧٣.
[٢] نشرها الاهرام على حلقات فى عام ١٩٦٧
[٣] نشرها الاهرام على حلقات فى عام ١٩٦٩
[٤] الاهرام فى ١٩٧٢/١١/١٣.
[٥] روزاليوسف فى ١٩٧٢/٢/٢١.
[٦] الاهرام فى ١٩٧٢/٦/١٦
[٧] الاهرام فى ١٩٧٢/٥/٢٦.
[٨] المجلة العدد ٥٨ فى نوفمبر ١٩٦١.
[٩] الكاتب فى اكتوبر ١٩٦٧.
[١٠] الكاتب فى ابريل ١٩٧٠
[١١] الكاتب فى يوليو ١٩٦٩
[١٢] الكاتب فى نوفمبر ١٩٧٠

الراهنة"[١]، و"اسرائيل – هل اقتربت نهاية بن جوريون"[٢]، و"شئون عربية حقيقة الغاء القاعدة الامريكية بالظهران"[٣]، و"الثورة الدائمة".[٤]

وهكذا جعل الدكتور انيس من تاريخ مصر قضية جماهيرية وعامة يشارك فيها كافة أبناء الشعب. هذا عن نشاط الدكتور انيس داخل مصر، أما خارجها فقد عمل استاذا بجامعات الجزائر والعراق واليمن الشمالية، كما عمل مستشارا ثقافيا لإمارة ابو ظبى وخلال ذلك قدم آثارا واضحة للعيان سواء بالإسهام فى إنشاء قسم من أقسام التاريخ أو إصدار مجلة علمية أو كتابة بعض المقالات التاريخية فى الصحف.

ومما سبق يتضح أن التاريخ عند الدكتور انيس لا يعدو أن يكون محاولة للإجابة عن بعض المشكلات التى تواجه مصر لذلك كانت طريقته فى المعالجة هى تحديد المشكلة ثم محاولة ايجاد الحلول لها بطريقة تتميز بالأصالة والعمق.

إن مشكلة الدكتور انيس انه عاش فى عصر شديد التعقيد ملئ بالتحديات، عصر تفشت فيه الأنانية، وانعدم فيه الوفاء والإخلاص فمع انه عاش مرحلة انتقال مصر من الملكية إلى الجمهورية وعاصر فترة الناصرية بما لها وما عليها فانه تعذب بأخطائها، ومع أنه احترم أفكار رجالات الثورة فانه لم يسترح إلى كثير ممن نسبوا أنفسهم إليها، ومع أنه تعرض للكثير من العنت وسوء الفهم حتى من جانب بعض المقربين إليه فانه كان يتميز بالسماحة وصفاء القلب، وكان رده على هؤلاء هو الابتسامة وفتح أبواب الحوار لإزالة اى خلافات دون مجاملة فى الحق أو فى موقف يعتقده.

لقد صوره اعداؤه وبعض من لا يعرفونه جيدا كرجل مشاكس يميل إلى اختلاق المشاكل ولكن الواقع انه كان صاحب شخصية متميزة لها طابعها الخاص، وصاحب إرادة قوية لا تتبدل ولا تتغير باختلاف الظروف والأحوال كما أنه كان صاحب نفس كبيرة، ووطنية متألقة دافقة وحب بارز لتاريخ مصر خاصة الحديث منه والمعاصر.

---

[١] الجمهورية فى ١٨ ابريل ١٩٦٨

[٢] الاهرام فى ١٥ مارس ١٩٦١

[٣] الاهرام فى ٢٣ مارس ١٩٦١

[٤] الكاتب فى مايو ١٩٧٣

وقد فكر الدكتور انيس فى أواخر أيامه فى تجميع هذه المقالات فى كتاب كبير حتى لا يطويها النسيان ولكن وفاته المفاجئة حالت دون ذلك.

لقد كان الدكتور أنيس يكره الظلم ومحاولات قهر الانسان ولم يكن يداهن او يرائى بل كان كالمرأة الصافية متواضعا لا يضيق صدره أو ينقبض قلبه من مزاح ومع غزارة علمه لم يكن يدعى المعرفة بكل شئ فإذا التبس عليه امر من الأمور لم يجد غضاضة فى ان يحيل سائلية إلى المصادر التى يمكن من طريقها التحقق من المعلومة التى يريدها.

وقد زاد من محبة الطلاب للدكتور انيس انه كان يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا مفعما بالحب والإخلاص، وكان إنسانا عطوفا يحس بإحساسهم ويتألم لآلامهم، ويتأثر بمشكلاتهم ومحنهم وأذكر أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ واستمرار اعتداءات أسرائيل على مدن القناة، واضطرار الحكومة المصرية إلى تهجير أهالى القنال إلى داخل البلاد علم الدكتور انيس ان اسرة احد تلاميذه كانت ضمن المهجرين، وأنها تعيش فى احدى الخيام المعدة لذلك فأسرع بشراء بعض الهدايا لأطفال هذه الأسرة وأخذ يبحث عنها وسط خيام المهجرين بالقاهرة ، حتى قابل عائلها ، وكانت لمسات أنيس العطوفة ذات أثر جميل فى نفس هذه الأسرة فقد خففت عنها لوعة ما هى فيه، وأظهرت لها أن الدنيا ما تزال بخير.

لقد ترك الدكتور انيس فراغا كبيرا فى قلوب تلاميذه وأصدقائه ومقدرى علمه ، كما ترك فراغا كبيرا فى ميدان الدراسات التاريخية والبحث العلمى، وانه ليعز علينا أن يختفى هذا الكوكب اللامع الذى لم تهادنه الأيام بصروفها ونوائبها، ومع ذلك ظل منافحا عن الحق فى شده، مجاملا فى عزة، ودودا فى رقه، وتثير أحاديثه العجب والإعجاب والدهشة والتساؤل فكان بذلك من الأفذاذ الذين شقوا طريقهم بفكرهم وتركوا بصماتهم الواضحة فى ميدان الحركة التاريخية المصرية وإلى جانب ذلك كان قلمه فى يده "كالمبضع فى يد الجراح الماهر لا يشق إلا بتقدير ولا يقطع إلا بقدر". وأننى اغبط نفسى إذ عاصرته وتتلمذت عليه ولازمته.

وبانتهاء الحديث عن دور الدكتور أنيس كرائد مؤسس للمدرسة التاريخية الحديثة، فإننا لا نغفل دور باقى الرواد الذين حملوا الراية وساهموا بجهودهم فى النهوض بهذه المدرسة وهذا ما سنتعرض له فى الفصل القادم.

الفصل السادس

مؤرخون رواد

أحمد عبد الرحيم مصطفى – عبد الحميد البطريق – عبد العزيز الشناوى – عبد العزيز نوار – صلاح العقاد – رءوف عباس – عاصم الدسوقى

هناك مؤرخون رواد شاركوا فى مسايرة حركة تطوير المدرسة التاريخية المصرية وامدادها بكل فكر جديد، ومن هؤلاء نذكر : احمد عبد الرحيم مصطفى الذى فتح آفاق المعرفة والدراسات الأوربية أمام طلابه وعبد الحميد البطريق صاحب الينبوع الدافق من العلم والخلق والإنسانية وعبد العزيز الشناوى صاحب التجارب المريرة مع ثوار ٢٣ يوليو والتى أودت به إلى السجن والتعذيب وعبد العزيز نوار الذى كان خبيرا فى الدراسات التاريخية العراقية والعربية وصلاح العقاد الذى قهر الظلام وتمرس على أن تكون بصيرته عوضا عن بصره ورءوف عباس الذى قام بتنشيط تيار مدرسة التاريخ الاجتماعى والاقتصادى داخل المدرسة التاريخية وعاصم الدسوقى الذى يكشف دائما بدراساته وتحليلاته عن خفايا تاريخ مصر الحديث، ويفتح أبواب الحوار فى محاولة لإظهار الحقائق واستمر يمد طلابه بالمشورة والإرشاد دون كلل أو ملل.

وفيما يلى نعرض لهؤلاء:

١-الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى

قال عنه بعض تلاميذه والدارسين عليه أنه فتح آفاق المعرفة والقراءات الأوربية من خلال الايحاءات وأنه يتميز بالمقدرة الفذة على صياغة أكبر الأفكار بأبسط وأدق الألفاظ وأنه يتمتع بالنظرة الشاملة فى تحليل الحدث ولا ينغلق داخل رؤية محددة ضيقة، كما أنه ترك حرية رؤية التفسير لتلاميذه ووجههم إلى تجنب التحيز العاطفى للزعماء واضفاء هالات البطولة والتقديس عليهم.

ولد أحمد عبد الرحيم فى اسرة ريفية متوسطة الحال بسوهاج فى ١٩٢٥/١١/٢٨ فكان جده يعمل بالزراعة ، وكان والده فى بداية حياته العملية موظفا بشركة للسجاير ثم ترك وظيفته واشتغل بالأعمال التجارية البسيطة. [١]

وبعد أن أنهى أحمد عبد الرحيم دراسته الجامعية عمل مدرسا بالمدرسة الثانوية فى سوهاج ثم عين معيدا بجامعة ابراهيم باشا (عين شمس) فى عام ١٩٥١ وخلال ذلك سجل رسالته للماجستير فى جامعة فؤاد الأول تحت عنوان " علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣- ١٨٧٩[٢]، وكانت تحت إشراف الدكتور محمد فؤاد شكرى فى بداية الأمر ثم انتقل الاشراف إلى الدكتور احمد عزت عبد الكريم بعد ذلك.

وبعد حصول احمد عبد الرحيم على الماجستير فى عام ١٩٥١ سجل بحثه للدكتوراه لأول مرة فى كلية الآداب جامعة عين شمس عن المسألة المصرية من عام ١٨٧٩ إلى عام ١٨٨٢ ثم حصل على أجازة دراسية فى عام ١٩٥٢ إلى لندن وباريس للاطلاع على الوثائق المودعة بدور المحفوظات فى كل منهما وخلال ذلك سجل بحثه فى جامعة لندن تحت عنوان شئون مصر الداخلية والخارجية ١٨٧٦ ــ ١٨٨٢. [٣]

The Domestic and Foreign Affairs of Egypt 1876 to 1882

وكان ذلك تحت إشراف الاستاذ هارولد بون Harold Bowen وبعد أن حصل احمد عبد الرحيم على الدكتوراه عين مدرسا بآداب عين شمس فى عام ١٩٥٦ وتدرج فى سلك الدرجات العلمية حتى وصل إلى الاستاذية فى عام ١٩٦٨.

وللدكتور احمد عبد الرحيم مؤلفات عديدة نذكر منها:

١- علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣- ١٨٧٩ وفيها قسم العلاقات بين مصر والباب العالى إلى أربعة اقسام وهى مجهودات اسماعيل لتوطيد حكمه وحكم من يخلفه على أسس شرعية، والخدمات التى قدمها

---

[١] ضمن لقاء لى مع الدكتور احمد عبد الرحيم فى قسم التاريخ بآداب عين شمس فى ديسمبر ١٩٩٢.

[٢] نشرت دار المعارف هذه الدراسة فى عام ١٩٦٧

[٣] نشرت دار العارف هذه الدراسة عام ١٩٦٢ بعد قيام المؤلف بعمل بعض التعديلات الطفيفة عليها تحت عنوان : مصر والمسألة المصرية من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٨٨٢.

اسماعيل للدولة العثمانية، ومحاولات اسماعيل الجادة لتوسيع استقلال مصر الذاتى حتى نجح فى الحصول على لقب خديو ، وعقد بعض الاتفاقات مع دول أوربا، ثم فترة الأزمات بينه وبين الباب العالى والتى حاول اسماعيل خلالها تجنب الصدام الشديد مع الاستانة حتى يتمكن من وقف الخطر الانجليزى الفرنسى الداهم على مصر وانتهاء الأمر بخلعه بناء على الحاح الانجليز والفرنسيين على السلطان العثمانى.

ومع أن هذه الدراسة قد غطت فترة من اهم فترات التاريخ المصرى بشكل اعتمد فيه صاحبها على مجموعات هامة من الوثائق الانجليزية والفرنسية والمصرية، فأننا كنا نفضل ان يكون عنوانها علاقات الخديوى اسماعيل بالباب العالى بدلا من علاقات مصر بتركيا خاصة وان تركيا كدولة تحت هذا الاسم لم تكن قد ظهرت فى ذلك الوقت بل كان اسم الدولة العثمانية هو المسمى الغالب عليها.

٢- مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦- ١٨٨٢، وهذه الدراسة كما ذكرنا ترجمة لرسالة الدكتوراه التى حصل عليها الدكتور أحمد عبد الرحيم من جامعة لندن.

وقد تناولت هذه الدراسة الأسباب التى أدت إلى خلع الخديو اسماعيل ومقدمات الثورة العرابية وتطرقت إلى مجلس شورى النواب والمذكرة المشتركة والوزارة الوطنية والمواجهة بينها وبين القوى المناهضة لها فى الداخل والخارج، والمؤامرات التى أحيكت ضد الحركة الوطنية حتى انتهى الأمر باحتلال انجلترا لمصر قبل ان ينتهى مؤتمر الآستانة من النظر فى المسألة المصرية.

وفى رأينا ان تحليل المؤلف للصراع بين الدول الكبرى على مصر ينم على تمكنه من الامساك بخيوط بحثه ، كما يدل على قراءاته المتعددة فى العلوم السياسية غيرها.

ومع أن الدكتور أحمد عبد الرحيم قد أوضح للقارئ فى هذه الدراسة المختصرات التى اتبعها فى كتابة الهوامش فان البعض يتحفظ على الطريقة التى كتب بها عنوان الوثائق الانجليزية عندما ترجم Foreign office التى يساوى اختصارها F.O إلى ف . و.. ومع ذلك فلكل طريقته فى توضيح ما يراه مناسبا.

وإلى جانب ذلك فللدكتور احمد مؤلفات اخرى بعضها فى تاريخ مصر والآخر فى تاريخ العالم العربى، وعن كتاباته فى تاريخ مصر نذكر:

"تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة[1]، ومشكلة قناة السويس ١٨٥٤- ١٩٥٨"[2]، و "تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة"[3]، و"العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦- ١٩٥٦"[4]، و "شفيق غربال مؤرخا"[5]، و "شخصيات مصرية". [6]

يضاف إلى ذلك انه شارك فى العديد من الندوات ببحوث هامة نذكر منها "الجبرتى مؤرخا"[7]، أما عن كتابات الدكتور احمد فى تاريخ المشرق العربى فنذكر منها: " حركة التجديد الاسلامى فى العالم العربى الحديث"[8]، و" الولايات المتحدة والمشرق العربى"[9]، و "مضايق تيران ومشكلة الشرق الأوسط". [10]

ولم تقتصر جهود الدكتور أحمد عبد الرحيم على التأليف بل قام بترجمة بعض الكتب التاريخية الهامة إلى العربية ومن ذلك نذكر ترجمته لكتاب ستون ويليمز بريطانيا والدول العربية- عرض للعلاقات الانجليزية المصرية ١٩٢٠- ١٩٤٨[11]، وكتاب هاملتون جب وهارولد بووين "المجتمع الاسلامى والغرب". [12]

وقد اشرف الدكتور أحمد عبد الرحيم على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، ومن أبرز تلاميذه الدكتور عبد الخالق لاشين والدكتور عاصم دسوقى.

---

(1) نشره معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧٣.

(2) نشره معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٦٧.

(3) نشرته دار المعارف فى عام ١٩٦٧.

(4) نشره معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٦٨.

(5) مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الحادى عشر ١٩٦٣.

(6) نشر ضمن سلسلة كتاب الهلال العدد ٥١٦ فى ديسمبر ١٩٩٣.

(7) نشر ضمن عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث ، ص ٢٩ وما بعدها.

(8) نشره معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧١.

(9) نشره عالم المعرفة بالكويت فى عام ١٩٧٨.

(10) دراسة قدمها ضمن أبحاث الأسبوع العلمى الثالث لسمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس عام ١٩٧٩ انظر البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ص ٥٧١- ٥٩٠.

(11) نشر فى عام ١٩٥٢.

(12) نشر مرتين والثانية كانت ضمن سلسلة تاريخ المصريين فى عام ١٩٨٩.

وعلى الرغم من إعارة الدكتور احمد عبد الرحيم إلى جامعة الكويت واستمراره بها سنوات طويلة فان علاقته بزملائه وطلابه لن تنقطع فاستمر يمدهم بالمشورة والإرشاد كلما طلب منه ذلك كما استمر فى عطائه العلمى الذى أثرى به المكتبة التاريخية المصرية.

وفى النهاية يمكن القول انه بفضل هؤلاء الرواد وغيرهم شقت المدرسة التاريخية المصرية طريقها بخطوات متقدمة إلى درجة لم يعد تاريخنا حكرا على دراسات المستشرقين بل أخذنا منهم وأعطيناهم ، وشاركناهم ونافسناهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجة أن الباحث الأوربى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع إلى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه.

وهذا يعنى ان تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتباع المنهج العلمى، والسير على قواعده قد أصبح أمرا واقعا ، ومعلما رئيسيا لا يستطيع أحد أن ينكره او يتجاهله كما يعنى أن أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما ضخما من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر بكافة جوانبه.

٢-الدكتور عبد الحميد محمد البطريق ١٩٠٨- ١٩٩٩

فى بدايات القرن الماضى وبالتحديد فى السادس والعشرين من أغسطس ١٩٠٨ ولد عبد الحميد البطريق بالابراهيمية محافظة الشرقية فى أسرة تنتمى إلى البرجوازية الريفية وهى الطبقة التى كانت ينتمى إليها معظم قادة النهضة الفكرية فى مصر فى أوائل القرن العشرين فوالده كان تاجرا ومن كبار الملاك الزراعيين الذى تركزت املاكهم فى الإبراهيمية وأجداده تولوا عمدية بلبيس من ايام محمد على.

وبعد ان تلقى عبد الحميد البطريق دراسته الأولية فى الابراهيمية انتقل إلى الزقازيق فأكمل بها دراسته الابتدائية والثانوية وهناك قابل رفيق صباه احمد عزت عبد الكريم وتوطدت أواصر الصداقة بينهما. وبعد أن انتهى من دراسته الثانوية التحق بالجامعة المصرية حيث حصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ فى عام ١٩٣٠

وعلى دبلوم معهد التربية العالى فى عام ١٩٣٢ وبعدها التحق بوزارة المعارف حيث عين مدرسا بمدرسة فاروق الأول الثانوية.

ونظرا لأن التاريخ والكتابة التاريخية قد استهوياه منذ مطلع شبابه فقد التحق بالدراسات العليا فى الجامعة، وحصل على الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) فى عام ١٩٤٣ وكانت رسالته بعنوان " محمد على فى بلاد العرب" ونالها بمرتبة الشرف الأولى، وكانت من أولى الرسائل التى أشرف عليها المؤرخ محمد شفيق غربال وسرعان ما لمع اسم عبد الحميد البطريق بصفته احد الباحثين المصريين الجدين فأرسلته الجامعة فى بعثة إلى بريطانيا لاستكمال دراسته وهناك تتلمذ على أيدى كبار المؤرخين الاوبيين امثال Dodwell وبرنارد لويس واستطاع الحصول على الدكتوراه P.H.D من جامعة لندن فى عام ١٩٤٧ وكان عنوان رسالته: " ARABIA under ottoman and Egyptian Rule , 1810- 1841".

وبعد عودته من البعثة فى عام ١٩٤٨ عين الدكتور البطريق فى كلية البنات بالزمالك ، وبعد ان انضمت هذه الكلية إلى جامعة عين شمس عين أستاذا مساعدا فى كلية البنات جامعة عين شمس واستمر فى التدرج بالمناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الاستاذية ، وإلى رئاسة قسم التاريخ بنفس الكلية.

ولم يقتصر نشاط الدكتور البطريق داخل اروقة الجامعة بل برزت له العديد من الأنشطة العلمية والمهام القومية خارجها فانتدب مديرا لتحرير مجلة الاذاعة فى عام ١٩٥٣ وتولى رئاسة البعثة التعليمية بالمملكة المتحدة، وعمل مستشارا ثقافيا بسفارة مصر فى لندن من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٢ وهناك أعانه حسه التاريخى على أن يهتم اهتماما خاصا بتتبع المواقف الحاسمة فى تاريخ أوربا والتى ارتبط معظمها بمصائر الشعوب فكتب بعض الدراسات فى التاريخ الأوربى نذكر منها " تاريخ اوربا من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا"[١]، و" التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر"[٢]، (بالاشتراك) و "التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥- ١٩٦٠".[٣]

---

[١] نشرته جامعة الرياض فى عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨.

[٢] نشرته دار الفكر العربى.

[٣] نشره المركز العربى للبحث والنشر بالقاهرة فى عام ١٩٨٠.

ومما يحمد للدكتور البطريق خلال فترة تواجده بالمملكة المتحدة مساندته المستمرة لطلاب البعثات خاصة فى فترة قطع العلاقات بين مصر وبريطانيا نتيجة للعدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ حيث ساند فكرة بقائهم حتى اتمام دراستهم حتى لا يتعرض مستقبلهم العلمى للخطر، وكان المصرى الوحيد الذى ظل يرعى مصالح مصر فى لندن خلال فترة قطع العلاقات يضاف إلى ذلك قيامه بالقاء بعض المحاضرات عن مصر والعالم العربى بدعوة من بعض الجامعات الانجليزية خاصة مانشستر وليدز وليفربول.

وبعد عودة الدكتور البطريق من لندن فى عام ١٩٦٢ انتدب مستشارا لسلسلة كتب اخترنا لك " كما أعانته إجادته الفائقة للغات الأجنبية خاصة الانجليزية على انتدابه لرئاسة تحرير مجلة أراب اوبزرفر Arab observer وفى عام ١٩٨٢ عين الدكتور البطريق أستاذا متفرغا للتاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس واستمر فى عطائه العلمى فاختير عضوا بالمجالس القومية المتخصصة " لجنة التاريخ والحضارة" وعضوا بالمجلس الأعلى للثقافة " لجنة التاريخ والآثار" وعضوا بلجنة التحكيم لجائزة الدولة التشجيعية ، وعضوا باللجنة الدائمة لفحص الانتاج العلمى لترقية أساتذة الجامعات المصرية، وعضوا باللجنة الدائمة لترقية أساتذة الأزهر.

يضاف إلى ذلك قيام الدكتور البطريق بالمشاركة فى تطوير الكتب التاريخية التى تقررها وزارة التربية والتعليم على طلابها فوضع بالاشتراك مع الدكتور عزت عبد الكريم والدكتور ابو الفتوح رضوان كتابا عن تاريخ العرب فى العصر الحديث لطلاب السنة الثالثة من التعليم الثانوى كما شارك أيضا فى تأليف كتاب جديد فى تاريخ مصر الحديث وكان جديدا بالفعل إذ قيس بكل الكتب المدرسية التى كتبت قبل تأليف هذا الكتاب(١)، ومما يحسب له فى هذا المجال ايضا قيامه باستخدام طريقه المشروع فى دراسة التاريخ وتدريب طلابه وطالباته بجامعة عين شمس على هذه الطريقة. (٢)

---

(١) ابو الفتوح رضوان : التاريخ فى مناهج الدراسة بمصر ، ص ١٤٣.

(٢) يكلف الطلاب خلال استخدام هذه الطريقة باختيار موضوع للدراسة يدخل فيه التاريخ والجغرافيا كمحور للمناقشة والبحث.

وحول اهتمام الدكتور البطريق بالوثائق المصرية، فقد شارك فى دعم المجلس الأعلى للوثائق التاريخية وقام فى عام ١٩٦٤ ضمن لجنة مكونة من الدكتور احمد عزت عبد الكريم والدكتور محمد حمدى البكرى بتقييم مذكرات بعض زعماء مصر السياسيين خاصة محمد فريد وسعد زغلول، فاطلع عليها وكتب تقييم لها قبل أن يطلع عليها احد من الباحثين.

وللدكتور البطريق العديد من البحوث والملفات سواء فى المنهج او فى تاريخ مصر او العالم العربى أو الاسلامى ومن هذه الدراسات نذكر " المنهج والكتاب فى تدريس التاريخ"[١]، "ابراهيم باشا فى بلاد العرب"[٢]، و "محمد على ومشروع غزو العراق"[٣]، و " من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧- ١٨٤٠"[٤]، و "الأمة العربية"[٥]، و "الوهابية عقيدة ودولة"[٦]، و "اشراف الحجاز فى الوثائق المصرية ١٨١٣- ١٨٤٠"[٧]، و" من التأميم إلى العدوان"[٨]، و" الجنوب العربى فى مطلع القرن التاسع عشر"[٩]، و "باكستان فى ماضيها وحاضرها"[١٠]، "وثائق الحكم المصرى فى الجزيرة العربية ١٨١٩- ١٨٤١"[١١]، و"الوجود المصرى فى الخليج العربى وأثره فى السياسة البريطانية ١٨٣٦ ــ ١٨٤٠. [١٢]

هذا عن البحوث المنشورة بالعربية، أما عن البحوث المنشورة بالانجليزية فنذكر:

---

[١] صحيفة التربية العدد الرابع يوليو ١٩٥٠.

[٢] من ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ١٨٤٨- ١٩٤٨ مجموعة ابحاث ودراسات لتاريخه نشرتها الجمعية التاريخية بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته ص ٣- ٣١.

[٣] مجلة كلية الآداب بالجامعة الاردنية، المجلد الأول، العدد الأول يناير ١٩٦٩، ص ٤٩- ٦٠.

[٤] نشره معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة فى عام ١٩٦٩.

[٥] نشرته دار المعارف.

[٦] حولية كلية البنات جامعة عين شمس يوليو ١٩٦٤.

[٧] نشرته جامعة الرياض.

[٨] حولية كلية البنات جامعة عين شمس.

[٩] نشر ضمن كتاب الموسم الثقافى لجامعة الرياض ، ١٩٧٤.

[١٠] سلسلة اخترنا لك.

[١١] ضمن ندوة وثائق تاريخ العرب التى اقامها سمنار جامعة عين شمس فى عام ١٩٧٧.

[١٢] وزارة الدفاع ، الكلية الحربية ، تاريخ الجيش، ١٩٨١.

1-Egyptian – Yemeni Relations and their implications for British Policy in the Red sea.

(Published in Political and social change in Modern Egypt London 1968).

2-Modern Egypt. (A historical synopsis, 1956).

ونتيجة للجهود العلمية التى بذلها الدكتور البطريق فقد لقى من تكريم الدولة ورجال الثقافة ما هو جدير به فقد كرمته الدولة حينما منحته وسام الاستحقاق من الطبقة الثالثة فى عام ١٩٥٤ ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى فى عام ١٩٦٨ وكان من مظاهر تكريمه ايضا حصوله فى عام ١٩٨١ على نوط الكلية الحربية الذهبى مع شهادة تقدير لأبحاثه العلمية.

وظل الدكتور البطريق يزاول نشاطه فى خدمة الدراسات التاريخية حتى وافته المنية فى نهاية عام ١٩٩٩م.

٣-الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى ١٩١١- ١٩٨٦

رغم ان الاستاذ الجامعى يعد مثقف الأجيال وشاحن قلوبها إلى المثل العليا والأفكار المتجددة، فان عدم شعوره بالأمن على نفسه وإحساسه بظلم وقع عليه قد يجعله حادا فى تصرفاته حتى مع أقرب الناس إليه وهذا الحديث يمكن ان يكون المدخل ان نقترب به من الدكتور الشناوى عندما نكتب عنه ، وعما قدمه لتاريخ مصر الحديث.

ولد عبد العزيز الشناوى بمدينة الاسكندرية فى عام ١٩١١، وتخرج من كلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٤ وحصل على الدبلوم العالى فى التربية عام ١٩٣٦، وعلى درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول فى عام ١٩٤٨ تحت إشراف المؤرخ محمد شفيق غربال، وفى عام ١٩٥٣ حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الاسكندرية تحت إشراف الدكتور محمد مصطفى صفوت وكانت بعنوان السخرة فى حفر قناة السويس – عصر اسماعيل.

وعن حياة الدكتور الشناوى العلمية فقد عمل مدرسا بالمدارس الثانوية عقب حصوله على دبلوم التربية، كما عمل مدرسا بمعهدى اسيوط والاسكندرية للمعلمين، وبعد حصوله على الدكتوراه انتقل للعمل فى السلك الجامعى فعين استاذا مساعدا للتاريخ الحديث بكلية المعلمين بالقاهرة ثم استاذا ورئيسا لقسم التاريخ بها.

وللدكتور الشناوى مع قادة ثورة ٢٣ يوليو تجارب مريرة أودت به إلى السجن بعد اتهامه خطأ بإخفاء بعض الوثائق الخاصة بقناة السويس وبعد انتهاء ازمته وخروجه من السجن تقدم لشغل وظيفة أستاذ كرسى التاريخ الحديث التى كانت جامعة الأزهر قد أعلنت عنها فى عام ١٩٦٤ ووقع عليه الإختيار لشغل هذه الوظيفة بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، ولما أنشئ قسم التاريخ بكلية البنات الاسلامية فى عام ١٩٦٩ انتدب انتدابا كليا للتدريس به.

وللدكتور الشناوى مؤلفات عديدة منها ما ساير فيه مدرسة رانكة الألمانية من حيث تفصيل الأحداث، ومنها ما ساير فيها التيار الاسلامى خصوصا بعد عمله بجامعة الأزهر.

وحول التيار الأول كتب الشناوى رسالته للدكتوراه " السخرة فى حفر قناة السويس" وفيها تعرض لتاريخ السخرة فى حفر القناة فى عصر سعيد وبواعث معارضة اسماعيل لهذا النظام، ورفض الشركة لذلك، وتدخل الحكومة الفرنسية وتحكيم الامبراطور نابليون الثالث بإلغاء السخرة فى حفرة القناة فى نظير ان تدفع مصر للشركة أموالا طائلة، واستكمالا لهذا الموضوع كتب الشناوى بحثا بعنوان: " ما تكلفته مصر فى انشاء قناة السويس، ونشرته المجلة التاريخية فى عام ١٩٥٧ كما كتب دراسة مستفيضة بعنوان: " قناة السويس والتيارات السياسية التى احاطت بإنشائها، وقام معهد البحوث والدراسات العربية بنشرها فى عام ١٩٧١.

ومع أن الاتجاه السائد بين أساتذة الجامعات المصرية فى ذلك الوقت هو التركيز على الدراسات الخاصة بتاريخ مصر والعالم العربى فقد اهتم الدكتور الشناوى بدراسة تاريخ أوربا منذ مطلع العصور الحديثة بحجة أن تاريخ اوربا الحديث لا يزال يحتل مكانا بارزا فى خطط الدراسة باقسام التاريخ فى الجامعات وانه من غير المقبول ان

يترك الطلاب يعتمدون اعتمادا أساسيا فى دراسة التاريخ الأوربى الحديث على مؤلفات أساتذة أجانب غير مبرئين من عوامل التعصب أو التحيز أو النظرة الاستعلائية. [1]

وفى هذا الاتجاه ايضا كتب الشناوى " حادث جريدة البوسفور اجيبسيان- أزمة سياسية بين مصر وفرنسا فى أوائل عهد الاحتلال البريطانى[2]، وفيه صور احوال مصر فى السنوات الأولى للاحتلال، وعدم ركون الشعب المصرى إلى الاستكانة والخضوع، وانطلاق العديد من الصحف المصرية فى التنديد بالاحتلال وتعرضها لشتى صنوف الاضطهاد على يد نوبار ولما كان الفرنسيون فى مصر أكثر الأجانب سخطا على الاحتلال فقد انطلقت الصحافة الفرنسية المحلية فى مصر تعبر عن هذا السخط وتثير المتاعب أمام الاحتلال وعملائه، وكانت جريدة البوسفور إجبسيان فى مقدمة هذا الصحف، ونتيجة لذلك امرت الحكومة المصرية بإلغاء الجريدة وإغلاق مطبعتها مما آثار أزمة سياسية حادة وأدى إلى تدخل الحكومة الفرنسية فى الأمر ومطالبتها بترضية مناسبة مما دفع الحكومة المصرية للجوء إلى الباب العالى خلال الأزمة.

وفى النهاية أذعن نوبار للنصيحة البريطانية فتوجه فى الثالث من مايو ١٨٨٥ إلى دار القنصلية الفرنسية بالقاهرة ، وقدم اعتذارا رسميا ، كما أمر رجال الشرطة بإزالة الاختام عن باب المطبعة ، وتسليم المبنى إلى مندوب قنصلية فرنسا وعلى هذا الأساس عادت الجريدة إلى الظهور.

والواقع أن جريدة البوسفور لم تكن سوى مظهرا من مظاهر الصراع بين بريطانيا وفرنسا بهدف العمل على عودة النفوذ الفرنسى إلى مصر، وإقامة نظام دولى يكفل مصالح أوربا فى مصر.

هذا نموذج من كتابات الشناوى التىساير فيها كتابات المدرسة الألمانية من حيث الاهتمام بتقصى الحقائق وإبرازها وتدعيمها بالأسانيد التاريخية.

---

[1] انظر كتابه "اوربا فى مطلع العصور الحديثة"، جـ١، القاهرة، الانجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٠، ص ١٣- ١٤.

[2] انظر المجلة التاريخية المصرية، المجلد التاسع، ١٩٦٢، ص ١١٧- ٢١٣.

والجدير بالذكر أن أبرز تلاميذ الشناوى الذين سايروا هذا المنهج هو الدكتور محمود صالح منسى، فقد اشرف الدكتور الشناوى على رسالته للدكتوراه وكانت موضوعها " الشرق العربى أبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩٢٠".

وبالنسبة للتيار الثانى فيبرز فى المؤلفات التالية:

١- دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى:

وفى هذه الدراسة أوضح الشناوى أن دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى كان نتاج عدة عوامل تضافرت معا فى الابقاء على الوجه العربى لمصر[١]، منها عوامل ذاتية انبثقت من الأزهر نفسه، ومن رسوخ مركزه فى الحياة المصرية بحيث طبعها بطابع خاص، وغدا الأزهر جزءا لا يتجزأ من الحياة العامة فى مصر سواء فى النواحى السياسية أو الدينية أو العلمية أو الاجتماعية، ومنها عوامل اخرى تتصل بما يمكن ان نطلق عليه فلسفة الحكم العثمانى فى إهمال اللغة العربية، فقد كان الأزهر الحصن الحصين للغة العربية، وكان علماؤه ومجاوروه هم حراس هذا المعقل، حافظوا على التراث الحضارى الفكرى الاسلامى، وبخاصة اللغة العربية لسانا وأدبا وسط ظروف متناهية فى قسوتها وظلامها وعسفها ، واستطاعوا طوال ثلاثة قرون رد اللغة التركية عن التسلل إلى المجتمع المصرى.

٢- صور من دور الأزهر فى مقاومة الحملة الفرنسية على مصر:

وفى هذه الدراسة تطرق الشناوى إلى فترة الترابط العربى والاسلامى بين الشعوب العربية حيث تطوع مجاهدون من الحجاز وطرابلس وغيرها للجهاد ضد الفرنسيين.

واستكمالا لهذا الاتجاه صدر الدكتور الشناوى فى يوليو ١٩٦٧ كتاب بعنوان عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية[٢]، وفيه وصف عمر مكرم بأنه "زعيم ينتمى إلى الدوحة

---

[١] انظر دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربي لمصر، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٧١، ص ٥٠- ٥١.

[٢] انظر العدد ٦٧ من سلسلة اعلام العرب.

النبوية الشريفة" وبأنه " كان مسلما فى عقيدته، أزهريا فى ثقافته، عربيا فى اصالته، عثمانيا فى نزعته".

وعلى ضوء ذلك تعرض الشناوى لكفاح عمر مكرم ونضاله بعد جلاء الفرنسيين عن مصر، ووقوفه بجانب الشعب المصرى كلما اشتدت عليه مظالم الحكام ومساندته لمحمد علـى خـلال توليته حكم مصر، ودوره الواضح فى مقاومة حملة فريزر، ومعارضته لمحمد على بعد ذلك عندما حاد- من وجهة نظره – عن جادة الصواب وخرج على ما اتفق عليه.

وفى بداية الثمانينات من القرن الماضى أصدر الشناوى كتابه الشهير " الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها" وهو عبارة عن موسوعة فى أربعة أجزاء[1]، شملت ٢٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط، وفيها تغنى بأمجاد الدولة العثمانية التى اجتاحت جيوشها الاسلامية اقاليم شاسعة فى جنوبى شرق أوربا ووسطها وأحرزت باسم الاسلام انتصارات خاطفة وباهرة.

وعلى الرغم من أن المؤلف ذكر فى مقدمة كتابه ان دراسته عبارة عن دراسة علمية موضوعية محايدة[2]، فنحن نرى أن دراسته بعيدة عن الحياد خاصة وان عنوان الكتاب نفسه يؤكد ذلك، وقد كان يمكنه ان يضع فى خاتمة كتابه ما توصل إليه من ان الدولة العثمانية مفترى عليها أم لا بدلا من أن يضع ذلك عنوانا لدراسته وعلى غلاف كتابه وعلى أى حال فقد شملت هذه الدراسة جوانب عديدة ومكثفة تطرق فيها صاحبها إلى التاريخ الحديث والمعاصر فى الشرق والغرب، وإلى التاريخ الاسلامى فى العصور الوسطى، وإلى النظريات والنظم السياسية وإلى القانون الدولى العام والعلاقات الدولية فضلا عن قواعد الشريعة الاسلامية من حيث تعدد الزوجات واقتناء الجوارى، وعمليات الخصاء وغيرها وإلى جانب ذلك فللدكتور الشناوى دراسة بعنوان: " الأزهر جامعا وجامعة" فى جزئين من ٨٨٠ صفحة وفيها أوضح الدور العلمى والسياسى للأزهر منذ إنشائه حتى ثورة ١٩٥٢ فوصفه بأنه قلعة اسلامية وقفت فى وجه الحملة الفرنسية التى

---

[1] اصدرت مكتبة الانجلو المصرية الجزءان الأول والثانى فى عام ١٩٨٠ والجزء الثالث فى عام ١٩٨٣ اما الجزء الرابع والأخير فقد صدر فى عام ١٩٨٦ بعد ان وافاه الأجل بقليل.

[2] انظر ، جـ١، المقدمة ، ص ٦.

كانت بمثابة أول غزو عسكرى مسيحى أوربى فى التاريخ الحديث لولاية عربية اسلامية ووقف فى مواجهة الحملة الانجليزية على مصر فى عام ١٨٠٧ ووقف علماؤه إلى جانب الثورة العرابية[١]، كما وقفوا إلى جانب المشاركين فى ثورة ١٩١٩ وافسدوا كل محاولات الانجليز للتفرقة بين المسلمين والأقباط.

وهكذا كان للدكتور عبد العزيز الشناوى الأثر الكبير فى امداد المكتبة التاريخية المصرية بالعديد من المؤلفات الهامة التى تعد تراثا زاخرا للأجيال القادمة، استطاع من خلالها أن يترك بصماته على مسار الدراسات التاريخية حتى توفاه الله فى الشهر السابع من عام ١٩٨٦ وكانت أغلى امنياته ان يظهر الجزء الرابع من كتابه الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها إلا أن إرادة الله سبقت ولا راد لمشيئته.

٤-الدكتور عبد العزيز سليمان نوار ١٩٢٩- ٢٠٠٢

كانت حياة الدكتور عبد العزيز نوار العلمية خالصة للبحث والدرس الملئ بالتأمل والتفكير والاستنتاج، وكانت أقرب مهنة إلى نفسه وقلبه هى مهنة الأستاذ الجامعى الذى يعشق المدرج وقاعات الدرس والقاء المحاضرات التى يسدى خلالها إلى تلاميذه فكره وثقافته الغنية المتعددة الروافد، فغرس بذلك فى عقول طلابه محبة التاريخ، وقدروا تشجيعه لهم ورعايته إياهم وحرصه على فائدتهم، لذلك فلا غرو إذا أحاطه تلاميذه بهالة مضيئة من مشاعر الحب والتقدير، سواء فى ذلك من تلقوا عنه، ومن أفادوا منه عن قرب فى محاضراته او عن بعد فى كتبه وابحاثه.

ولد عبد العزيز نوار بالقاهرة فى يناير ١٩٢٩ فى أسرة من اصول ريفية تحيطها هالة دينية خاصة وان والده الشيخ سليمان نوار كان من علماء الأزهر المعروفين، وواصل عبد العزيز نوار دراسته حتى حصل على ليسانس الآداب من كلية الآداب جامعة عين شمس فى عام ١٩٥٤ وكان أول دفعته مما جعل أستاذه الدكتور احمد

---

[١] فى الحقيقة ان علماء الأزهر خلال الثورة العرابية لم يقف جميعهم بجانب رجالات الثورة بل ان منهم من انضم إلى الخديو توفيق ، ومنهم من لازم الحياد.

للتفاصيل : انظر كتابنا الثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية ص ٩٣- ١١٢ تحت عنوان: "موقف علماء الأزهر من الثورة العرابية".

عزت عبد الكريم يشجعه على الالتحاق بالدراسات العليا، ولم يكن ذلك يدور في خلده حيث كان يعد العدة للعمل مدرسا في وزارة التربية والتعليم.

وكانت نصيحة أستاذه له ان العمل في مهنة التدريس تقتضي التعرف على بعض علوم التربية، وانه إذا أراد العمل في حقل التربية والتعليم ينبغي عليه الحصول على دبلوم في التربية أولا ثم بعد أن يتم تعيينه ، ويتمكن من اكتساب رزقه بنفسه وتحسين وضعه يمكنه الالتحاق بالدراسات العليا في التاريخ، ومن هذه المقابلة وضع عبد العزيز نوار اللمسات الأولى لمستقبل حياته العلمي، فحصل على دبلوم التربية وبذلك استطاع ان يزاوج بين دراسة التاريخ والتربية مما كان له الأثر الفعال في تكوين منهجه الفكري.

وعمل عبد العزيز نوار مدرسا بالتربية والتعليم ثم التحق بالدراسات العليا في قسم التاريخ، وألقى بنفسه في خضم الحياة العلمية يخوض أمواجها بذكاء واقتدار، وتبناه الدكتور عزت عبد الكريم وتعهده منذ البداية بالرعاية والإرشاد كما تبنى زميلاه جمال زكريا وعبد العزيز رفاعي وبدأ بهم أولى جلسات السمنار التي كان يعقدها بمنزله في منشية البكري ، كما بدأ بهم تكوين مدرسة التاريخ الحديث بجامعة عين شمس والتي أرادها متخصصة لمختلف البلدان العربية في القرن التاسع عشر بصفة خاصة.

وكان لتلمذة عبد العزيز نوار وصحبته الطويلة للدكتور عزت عبد الكريم أثرها الكبير في إذكاء روح البحث والاطلاع عنده، فضلا عن اكتسابه لبعض الصفات منه فقد أخذ عنه ايمانه بوحدة المعرفة والانفتاح على فكر الآخر، بروح الفهم والتعاطف، وبدافع الرغبة في ترسيخ أسلوب الحوار وتغليبه على دعوات التعصب والاستعلاء، وتعلم منه أن يرفض القبول بالمسلمات ولا يأخذ فكره من الأفكار حتى يفحصها فحصا دقيقا ويردها إلى أصولها، وان يسعى باستمرار لتقديم رؤية مستقبلية تتبلور حول النظرة إلى الإمام وليس الخلف.

ولما كانت مدرسة التاريخ الحديث بجامعة عين شمس تشجع طلابها في ذلك الوقت على التخصص في دراسة تاريخ البلدان العربية في القرن التاسع عشر فقد اختار عبد العزيز نوار العراق حقلا لدراسته فكتب رسالته التي نال بها الماجستير في عام ١٩٥٨ تحت عنوان: " داود باشا والي بغداد ١٨١٧- ١٨٣١" وفيها عالج فترة هامة من

تاريخ العراق الحديث فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وأبرز صورة العراق كاملة فى العصر العثمانى الأول ثم استكمل دراسة هذا القرن برسالته التى نال بها درجة الدكتوراه فى عام ١٩٦٣ وكان موضوعها: " تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا" وبذلك استطاع أن يخدم تاريخ العراق الحديث وان يقدم للباحثين فى تاريخ العرب الحديث دراسة أصيلة ممتعة اعتمدت على الوثائق العثمانية والمصرية والأوربية[١]، وفى أعقاب ذلك عمل الدكتور عبد العزيز نوار مدرسا بكلية الآداب جامعة عين شمس، وتدرج فى وظائف هيئة التدريس حتى عين أستاذا فى عام ١٩٧٥ ثم عميدا للكلية فى عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٨٩، وخلال ذلك تابع دراسته التى تتسم بالعمق والاصالة فى تاريخ العراق الحديث بصفة خاصة وتاريخ العرب بصفة عامة حتى اصبح خبيرا فى الدراسات التاريخية العراقية والعربية ومرجعا لها.

لقد كانت حياة الدكتور نوار العلمية خالصة للبحث وكانت أقرب مهنة إلى نفسه وقلبه هى مهنة الأستاذ الجامعى الذى يعشق قاعات الدرس وإلقاء المحاضرات[٢] التى يسدى خلالها إلى تلاميذه فكره وثقافته الغنية المتعددة الروافد، فغرس فى عقول طلابه محبة التاريخ، وأحاطهم بهالة مضيئة من مشاعر الحب والتقدير وإلى جانب ذلك فقد تابع نشاط سيمنار التاريخ الحديث للدراسات العليا بكلية الآداب جامعة عين شمس وأصبح مقررا له فى أعقاب وفاة مؤسسه الدكتور أحمد عزت عبد الكريم وظل مواظبا على تنظيم اعماله حتى تخرج على يديه العديد من المؤرخين والباحثين الذين يشغلون حاليا وظائف التدريس فى العديد من الجامعات المصرية والعربية كما ساهم الدكتور نوار فى أنشطة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وشغل منصب أمينها العام لفترات عديدة كما تولى رئاسة قسم التاريخ بآداب عين شمس فى الفترة من عام ١٩٨٠- ١٩٨٣ وكذلك منصب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط فى الفترة من عام ١٩٧٧ إلى ١٩٨٩ وأضاف إلى مكتبته العديد من الوثائق البريطانية التى تعد مصدرا أساسيا فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر، كما قام بالإشراف على عمل دليل ببليوجرافى عن العراق والخليج العربى من عام ١٩٥٨- ١٩٧٥ وخلال ذلك قام الدكتور نوار بتنظيم العديد من

---

(١) لتفاصيل ذلك انظر كتابنا حركة التأليف التاريخى فى مصر الحديثة والمعاصرة، ص ٢٠٠- ٢٠٣.

(٢) حول ذلك الموضوع انظر : عبد المنعم الجميعى : المدرسة العلمية للدكتور عبد العزيز نوار، الكتاب التذكارى الأول بكلية الآداب هؤلاء علمونا ، ص ٢١٧- ٢٤٨.

الندوات الناجحة منها ندوة العلاقات المصرية الألمانية ١٨٧١- ١٩١٨ فى عام ١٩٨٠، وندوة الثورة العرابية فى عام ١٩٨١ وندوة على مبارك ١٩٨١ وندوة قناة السويس فى مارس ١٩٨٥.

يضاف إلى ذلك أنه تولى العديد من المناصب الادارية كان أبرزها توليه منصب وكيل كلية الآداب للدراسات العليا جامعة عين شمس فى الفترة ما بين أعوام ١٩٨٠- ١٩٨٥ ثم عمادة الكلية من ١٩٨٥ إلى ١٩٨٩ حتى بلوغه سن المعاش، ولم يقتصر نشاط الدكتور نوار على ذلك بل كانت له بصمات واضحة خلال عمله بمعهد البحوث والدراسات العربية حيث تولى رئاسة قسم التاريخ به فى الفترة من ١٩٧٨ – ١٩٨٩ كم عمل بمنظمة اليونسكو التى استعانت به كخبير فى الدراسات التاريخية ومستشارا لها.

أما عن أهم مؤلفات وبحوث الدكتور عبد العزيز نوار فتشمل:

- داود باشا والى بغداد ١٨١٧- ١٨٣١ دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٨.
- تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربى، ١٩٦٨.
- تاريخ الشعوب الاسلامية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٣.
- المصالح البريطانية فى العراق ١٦٠٠- ١٩١٤ الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨.
- تاريخ العرب الحديث – الجزء الأول (العراق)، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٨٣.
- وثائق أساسية فى تاريخ لبنان الحديث، ١٥١٧- ١٩٢٠، بيروت، ١٩٧٤.
- تاريخ الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠١.
- مؤتمر كامب ديفيد – رؤية علمية ، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨.

يضاف إلى ذلك ان للدكتور نوار العديد من البحوث التى نشرت فى بعض الدوريات المتخصصة منها دور العراق العثمانى فى حرب القرم، والحركة العربية فو جنوب العراق، ومواقف سياسية لأبى الثناء الألوسى، وعبد العزيز آل سعود دراسة فو

الزعامة، وآل محمد بيت الرئاسة فى عشائر الجربا – دراسة فى الزعامة العشائرية العراقية فى القرن التاسع عشر، والحركة العربية فى جنوب العراق، ومصر والخليج العربى فى القرن التاسع عشر وعبد الرحمن الجبرتى وعلماء زمانه.

لقد ترك الدكتور نوار فراغا كبيرا فى قلوب تلاميذه ومقدرى علمه، كما ترك فراغا كبيرا فى ميدان الدراسات التاريخية والبحث العلمى خاصة وانه كان من الأساتذة الذين شقوا طريقهم بفكرهم ، وتركوا بصماتهم الواضحة فى ميدان الدراسات التاريخية العربية خاصة وانه يعد وبحق من المؤرخين المصريين القلائل الذين بذلوا جهودا كبيرة فى خدمة التاريخ العربى بصفة عامة، وتاريخ العراق بصفة خاصة واستطاع بذلك ان يمهد الطريق لجيل من المؤرخين الذين شقوا طريقهم فى دراسة هذه الموضوعات.

لقد كان عبد العزيز نوار فيما كتب والقى من بحوث وفيما اسدى إلى تلاميذه من غذاء روحى وفكر علمى انسانا كبير القلب ، سمح النفس ، رهيف الشعور لذلك فلا غرو أن احاطه تلاميذه بهالة مضيئة من مشاعر الحب والتقدير سواء فى ذلك من تلقوا عنه ، ومن قرأوا له، ومن اتصلت أسبابهم بأسبابه خاصة وانه كان يحس بمشاكل تلاميذه ويعمل على إيجاد حلولا لها.

وبهذه الروح العلمية رسم عبد العزيز نوار لنفسه طريقا علميا رفيعا فظل ملتصقا بقاعات الدرس، معتزا بأستاذيته قبل كل شئ، وظل كذلك حتى غلبه من لا غالب له واسلم روحه إلى بارئها فى ابريل ٢٠٠٢ وهذا طويت سيرة عالم ضليع كرس حياته لخدمة الحركة التاريخية تأليفا وتدريسا، فخسرت الجامعات المصرية والعربية بوفاته خسارة جسيمة.

٥-الدكتور صلاح العقاد ١٩٢٩- ١٩٩٤

من المؤرخين المصرين الذين حرموا من نعمة البصر من استطاع قهر الظلام، وتمرس على ان تكون بصيرته عوضا عن بصره فوهبته رحمة الرحمن قدرا أكبر مما حرمه القدر فاعطاه الله ذلك الضوء الفكرى لبصيرته، وأغناه بذاكراته حتى تحقق فيه المثل الشائع "العين تسمع والأذن ترى" فشق رحلة حياته متحديا الصعاب والعقبات حتى

استطاع ان يحفر لنفسه بذلك موضعا بين كبار مؤرخى جيله ، وأصبح علامة بارزة، وشاهدا على عصر ثقافى جديد هو احد صناعه.

وما أشبه الليلة بالبارحة لقد ركب طه حسين المكفوف البحر فى عام ١٩١٤ فى طريقه إلى فرنسا ليعود بعدها إلى مصر زاخر النفس بأفكار ومبادئ عمل على نشرها لتكون نبراسا أمام الأجيال المصرية كذلك فان صلاح العقاد قد سلك نفس الطريق فركب البحر فى عام ١٩٥٠ إلى فرنسا ليعود بعدها إلى مصر حاملا، ومبشرا بحرية الفكر والتطور.

وعلى الرغم من ان صلاح العقاد كرس حياته الجامعية الأولى فى دراسة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول فانه لم يساير هذا التخصص خلال رحلته إلى باريس بل قام فى بداية الأمر بدراسة علم الأديان ثم تحول بعد ذلك إلى دراسة العلوم السياسية والتاريخ.

ينتسب صلاح العقاد إلى أسرة مغربية وفدت إلى مصر واستقرت بها منذ زمن، وقد ولد بمدينة القاهرة فى السابع من نوفمبر ١٩٢٩ مبصرا شأن كل الأطفال وذلك من أسرة ميسورة الحال ، فوالده احمد سالم العقاد كان من تجار الأصواف المعروفين فى شارع جوهر القائد بالقاهرة الفاطمية. وفقد صلاح العقاد فى طفولته بصره بعلاج خاطئ غير أن ذلك لم يفت فى عضده، ولم يمنعه من مواصلة الدراسة فالتحق بالمدارس الأزهرية ومدارس المكفوفين، ثم تلقى دراسته الجامعية فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وحصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية بتقدير جيد جدا.

وما كاد القرن العشرين يقترب من منتصفه حتى سافر صلاح العقاد إلى فرنسا على نفقة والده وتحت إشراف بعثة التعليم المصرية هناك لدراسة الدكتوراه فى علم الأديان وقد تعهد والده بأن يرسل إلى نجله بانتظام النقود اللازمة لنفقات معيشته، ودراسته بالخارج فى حدود خمسين جنيها شهريا، كما دفع للوزارة مبلغ ثلاثمائة جنيه تحت حساب الصرف منها على نجله.

ونظرا لغلاء المعيشة فى باريس، والنفقات الباهظة التى يتحملها طالب العلم إذا سافر على نفقة اسرته فقد حاول صلاح العقاد الإنضمام إلى احدى بعثات وزارة

المعارف حتى يوفر على والده هذه النفقات وساعده فى ذلك وجود الدكتور طه حسين على رأس هذه الوزارة[1]، والذى كانت تربطهما عقبة الحرمان من نعمة البصر، كما ساعده على ذلك ايضا انه كان على صلة بالدكتورة سهير القلماوى تلميذة الدكتور طه حسين الأثيرة إلى نفسه ، ولتحقيق ذلك كلف صلاح العقاد زوجته السيدة زينب موسى كامل المصاحبة له فى باريس، والتى كانت خير معين له فى تحضير رسالته خاصة وانها كانت تصحبه غالبا إلى الكلية وإلى المكتبة كلفها بالسفر إلى مصر لمقابلة الدكتور طه حسين وزير المعارف وتسليمه رسالة كان نصها الاتى:

حضره صاحب المعالى العالم الجليل طه حسين باشا وزير المعارف العمومية..

تحية إجلال وإكبار، وتهنئة صادقة بما نلتم من تكريم أنتم أهل له ، وبعد: فانى شاب مصرى مكفوف فى العشرين حصلت على ليسانس الآداب بدرجة جيد جداً من قسم اللغة العربية من جامعة فؤاد الأول عام ١٩٥٠ وكان ترتيبى الأول ، وقد سبق ان تحدثت إلى معاليكم فى شأنى الدكتورة سهير القلماوى راجية أن أرسل فى بعثة أو أن أضم إليها بعد سفرى وأنا الآن فى السربون على نفقتى. أرجو أن اضم إلى البعثة فى أول فرصة تتاح لمعاليكم. ولقد اتصلت بالأستاذ ماسينيون فأحالنى على الأستاذ ماسون أورسيل وأنا أقوم الان بإعداد رسالة عن المذاهب الاسلامية فى الهند بإشرافه. وأنا دائب التحصيل يشد أزرى أمل فى واهب العلم . ارجو ألا يطول ترقبى له فقد أرهقنى تكاليف العيش أنا وزوجتى فى باريس.

تحمل هذا إلى معاليكم زوجى، وقد جاءت لتترك إبنتنا فى مصر لأننا لم نستطع ابقاءها معنا.

والله يحفظ معاليكم ويزيدكم رفعة فوق رفعه وحبا فوق حب

صلاح العقاد

---

[1] تولى طه حسين وزارة المعارف فى الفترة من ١٢ يناير ١٩٥٠ إلى ٢٧ يناير ١٩٥٢.

انظر: المركز القومى للبحوث التربوية: وزراء التعليم فى مصر وابرز انجازاتهم ١٨٣٧-١٨٧٩ ، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١١٥ ، وما بعدها.

ومن هذا الخطاب يتضح ان صلاح العقاد كان شديد الاعجاب بالدكتور طه حسين ربما لما بينهما من أوجه الشبه مثل بدايتهما الأزهرية وإعاقة البصر والدراسة فى السربون، وأنه كان فى نيته ان يذهب فى البداية إلى باريس على نفقة والده ثم يحاول بعد ذلك الالتحاق بأى بعثة من بعثات وزارة المعارف، ويبدو انه كان هناك اتفاق على ذلك مع الدكتورة سهير القلماوى. يضاف إلى ذلك أن نية صلاح العقاد كانت متجهة إلى دراسة علم الأديان ، وليس التخصص فى التاريخ الحديث، وعلى أى حال ففى اعقاب تسلم الدكتور طه حسين للخطاب وبتزكية منه اقترحت وزارة المعارف ضم صلاح العقاد لبعثة الوقفية الفهمية[1] ابتداء من ١٣ يناير ١٩٥١ ولما كانت شروط هذه البعثة لا تنطبق على صلاح العقاد حيث انها كانت مخصصة للمحتاجين فقط، ومن أخنى عليهم الدهر، كما أن والده تعهد مسبقا بالإنفاق عليه خلال دراسته فى باريس، فقد استلزم الأمر تدخل الدكتور طه حسين شخصيا لإقناع اللجنة الاستشارية للبعثات بالموافقة على ضم صلاح العقاد إليها.

وحاول صلاح العقاد الاستمرار فى تخصصه فى تاريخ الديانات ولكن نظرا لتعثره فى جمع المادة الخاصة برسالته عن المذاهب الاسلامية فى الهند، ولانشغال الاستاذ "ماسون اورسيل" المشرف على الرسالة عنه فقد اضطر صلاح العقاد إلى تغيير الموضوع ليصبح عنوانه: الأسس الدينية والسياسية فى عهد الوهابيين" تحت إشراف الاستاذ " هنرى لاوست" الاستاذ بجامعة ليون كما تحدد موضوع رسالته الفرعية بترجمة كتاب من العربية إلى الفرنسية.

وخلال جمع صلاح العقاد لمادة بحثه وافق استاذه على إرساله فى اجازة دراسية إلى مصر لمدة ستة أشهر للاطلاع على المراجع الموجودة فى دور الكتب المصرية، كما نصح بسفره إلى المملكة العربية السعودية لاستكمال المادة العلمية الخاصة برسالته.

---

[1] اوقف على فهمى كامل أحد كبار الملاك خمسمائة فدان من املاكه للانفاق منها على الطلاب المحتاجين مع اعطاء الأولوية للذين اخنى عليهم الدهر. وقد قتلته زوجته اثناء تواجدهما بلندن لخلاف بينهما.

ضمن لقاء مع د. صلاح العقاد بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ١٩٩٢/١٢/٢٧.

وقد حضر العقاد إلى مصر فى التاسع من سبتمبر ١٩٥٢ ولكنه لم يتمكن من السفر إلى السعودية تلافيا للرحلة إلى هذه البلاد كما يذكر واستعاض عن ذلك بأن أرسل إلى الرياض فى طلب بعض المصادر.

ونظرا لاحتياج العقاد إلى قارئ يقرأ له المراجع خلال تواجده بمصر فقد طلب من إدارة البعثات صرف مبلغ عشرة جنيهات لإعانته على إحضار هذا القارئ خاصة وانه يتكبد صرف هذا المبلغ من جيبه الخاص ، كما طالب برد المبلغ المتبقى من الثلاثمائة جنيه التى سبق لوالده ان دفعها لوزارة المعارف للصرف عليه فى شئون تعليمه ومعيشته قبل انضمامه للبعثة الفهمية . ولم يوافق مدير حسابات البعثات على ذلك لتعارض طلبه مع شروط الواقف على البعثة الفهمية.

وبعد انقضاء مدة الأشهر الستة المحددة لتواجد صلاح العقاد فى مصر عاد إلى باريس موضحا لاستاذه انه رجع إلى المؤلفات الخاصة بموضوع بحثه، وبعضها مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية، واشار إلى أنه انجز القسم الخاص بالحالة الدينية فى العالم الاسلامى فى القرن الثامن عشر معتمدا على كتب التصوف مثل كتب الشعرانى والنابلسى وكتب الحنابلة المتأخرين. كما ذكر صلاح العقاد انه قد تناول بالدراسة والتحليل حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومذهبه ، كما تناول افكار الوهابيين من خلال كتب علماء ذلك المذهب منذ ظهورهم إلى عهد الملك عبد العزيز، اما عن دراسة تاريخ الوهابيين منذ قيام دولتهم فى عام ١٧٧٤ إلى انتهاء عصرهم الاول على يد ابراهيم باشا ابن محمد على فى عام ١٨١٨ فقد اوضح العقاد أنه رجع إلى العديد من المصادر الأصلية التى تناولت تلك الفترة.

وبعد أن استغرق صلاح العقاد مدة اربع سنوات ونصف فى بعثته قام بتغيير موضوع رسالته للمرة الثانية من الأسس الدينية والسياسية فى عهد الوهابيين إلى الدولة السعودية الأولى ١٧٤٤- ١٨١٨ وبذلك يكون قد غير موضوع تخصصه من تاريخ الديانات إلى تاريخ العرب الحديث كما اختار عنوان رسالته التكميلية " تنازع النفوذ بين فرنسا وبريطانيا فى منطقة الخليج الفارسى". وإلى جانب ذلك فقد قام صلاح العقاد بدراسة موضوع فى تاريخ الاستعمار وحصل شهادة فى ذلك فى الخامس من يوليو ١٩٥٤ بتقدير جيد جدا.

ونتيجة لاعتذار الاستاذ ليفى بروفنسال عن الاشراف على رسالة العقاد بحجة ضيق وقته فقد وافق الاستاذ شارل اندريه جوليان أستاذ مادة تاريخ الاستعمار وصاحب المؤلفات العديدة عن شمال افريقيا على الاشراف على هذه الرسالة كما تبنى جهود صلاح العقاد فى اتمام رسالته وشجعه على اتمام ما تبقى منها.

وعلى الرغم من التعديلات الجوهرية فى التخصص الذى كان صلاح العقاد قد اختاره من دراسة الديانات إلى دراسة التاريخ الحديث فانه اخفى ذلك عن وزارة المعارف ولم يبلغها بذلك التغيير حتى شهر مايو ١٩٥٥ مما جعل إدارة البعثات تفكر فى طلب انهاء بعثته ، ولكن استاذه ومكتب البعثة المصرية بباريس طلبا ان تتاح له الفرصة فى مواصلة البحث.

ونظرا لأن هذا التغيير كان يستلزم مد البعثة لمدة عام على الأقل خاصة وان الأستاذ جوليان أشار بضرورة قيام صلاح العقاد بزيارة إلى انجلترا للرجوع إلى الوثائق بدار المحفوظات هناك وجمع المستندات التى تكون ذات فائدة لبحثه.

ونتيجة لذلك وافقت إدارة البعثات على مد بعثته لمدة سنة تنتهى فى يوليو ١٩٥٦ وخلال تلك الفترة تمكن صلاح العقاد من انهاء رسالتيه وتمت مناقشته فى ١٩ من مارس ١٩٥٦ وحصل على لقب دكتور فى الآداب من جامعة باريس بدرجة مشرف جدا.

ومن الجدير بالذكر ان المستشار الثقافى بالسفارة المصرية فى باريس والذى حضر المناقشة كتب تقريرا تضمن ثناء الأساتذة المناقشين على الطالب ومجهوداته والنتائج المبتكرة التى توصل إليها فى بحوثه ، وأوصى بأن تستفيد الجامعة من علمه بعد عودته إلى مصر بتعيينه فى احدى وظائف التدريس بها.

وبعد انتهاء مهمة صلاح العقاد فى جامعة السربون ابحر من مارسيليا إلى مصر فوصلها فى الرابع من يوليو ١٩٥٦ وكله أمله فى الانضمام للعمل باحدى الجامعات المصرية وعلى الرغم من محاولات الإدارة العامة للبعثات لمساعدته فى التعيين باحدى الجامعات المصرية فان جهودها ذهبت هباء.

ولاقى الدكتور صلاح العقاد الكثير من الصعاب التى حالت دون تحقيق أمله فى أول الأمر لدرجة أنه تقدم بشكوى إلى كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم فى ذلك

الوقت (١٩٥٦) اوضح له فيها انه تقدم بعدة طلبات إلى الجامعات المصرية للتعيين بها ولكن دون جدوى، وانه من غير المعقول ان تضييع مجهوداته سدى رغم ان الحاصلين على دكتوراه الدولة فى التاريخ الحديث لا يتجاوز عدهم اثنان كما اشار فى شكواه إلى أن كلية البنات التابعة لجامعة عين شمس لم تستكمل هيئة التدريس بها، وتضطر إلى انتداب العديد من الأساتذة . وفى نهاية شكواه طالب صلاح العقاد بمقابلة الوزير. ونتيجة لتأخر وزارة التربية والتعليم فى النظر إلى هذه الشكوى فقد تردد الدكتور صلاح العقاد على المسجد الذى كان يصلى فيه الوزير صلاة الجمعة املا فى التحدث معه لبحث موضوعه. وبعد أن نجحت احدى هذه المحاولات أوصى الوزير مدير البعثات باستدعاء صلاح العقاد لتفهم مشكلته، والاتصال بالجامعات الأربع لالحاقه باحدى وظائف التدريس بها او تعيينه بكلية المعلمين أو غيرها من المعاهد العليا التابعة للوزارة بصفة مؤقتة إلى أن يمكن تدبير وظيفة له فى احدى الجامعات.

ونتيجة لذلك أرسلت إدارة البعثات إلى الجامعات تطلب رأيها فى تعيين الدكتور صلاح العقاد. وقد اعتذرت جامعة القاهرة لأن الدرجة الجامعية الأولى له ليست من قسم التاريخ ولم يجر العرف العلمى على تعيين مدرس لم يتخرج من القسم الذى سيعين فيه وانه إذا كان قد حصل على الدكتوراه فى التاريخ فليس معنى ذلك انه ملم بفروع التاريخ الذى لابد أن تتوافر لمن سيقوم بتدريس التاريخ لطلبة الليسانس خاصة وان تخصصه ضيق ولا يتعدى موضوع رسالتيه .

كما اعتذرت جامعة عين شمس لأن الأمر يحتاج إلى إعلان ليتقدم فيه الدكتور صلاح العقاد وهذا ما لم يتم، وتأسفت جامعة اسيوط لعدم وجود درجات بها اما جامعة الاسكندرية فقد أوضحت انها ليست فى حاجة إلى تخصصه.

ونتيجة لذلك قررت وزارة التربية والتعليم تعيين الدكتور صلاح العقاد بكلية المعلمين بالعباسية بصفة مؤقتة إلى أن يتم تدبير مكان له باحدى الكليات الجامعية كما تم انتدابه للعمل بمعهد العلوم السياسية التابع لكلية الحقوق بجامعة القاهرة فى الفترة من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٠ ثم انتقل بعد ذلك إلى كلية البنات بجامعة عين شمس حيث عين مدرسا بقسم التاريخ بها.

وزاول صلاح العقاد عمله بكلية البنات واستطاع أن يختط لنفسه منهجا مستقلا فى الدراسة التاريخية يقوم على اعطاء الأولوية لدراسة التاريخ المعاصر، فتناول القضايا العربية المعاصرة ورصد الأفكار السياسية، ويتضح ذلك من مؤلفاته وبحوثه سواء فى كتاباته عن تاريخ المشرق أو المغرب العربى والتى تعد وبحق اسهاما واضحا فى الدراسات التاريخية، وأداة نافعة من أدوات الدرس والبحث.

وقد أوضح الدكتور العقاد منهجه فى أنه كان اقرب إلى التجميع والسرد منه إلى التحليل فى بداية الأمر، وبعد أن اكتسب الخبرة اللازمة استخدم الطريقة التحليلية وتحرى الحياد التاريخى خاصة وان دراسته ركزت على التاريخ المعاصر الذى لابد أن يتسم كل من يتصدى له بالحياد.

ورغم اقتراب صلاح العقاد من بعض الماركسيين الفرنسيين اثناء تواجده بباريس فانه لم يقتنع بمذهب المادية الجدلية فى الدراسات التاريخية خاصة انه يصعب الالتزام بالحياد فى شخص يعتنق المذهب الماركسى لذلك فانه فضل الاتجاه الليبرالى.[1]

وحول اهتمام الدكتور العقاد المبكر بالدراسات التاريخية المعاصرة فقد أوضح ان ذلك يرجع إلى تأثره بأستاذه شارل اندريه جوليان الذى كان كثيرا ما يتطرق فى محاضراته إلى معالجة القضايا المعاصرة خاصة وانه كان بجانب عمله كمؤرخ كان عضوا فى الحزب الاشتراكى الفرنسى، ويمثل اتجاه يسار اليسار فى هذا الحزب الذى يعارض السياسة الاستعمارية القديمة[2]، يضاف إلى ذلك انه بعد عودة العقاد من البعثة عمل مدرسا بمعهد العلوم السياسية التابع لكلية الحقوق جامعة القاهرة مما جعله يكرس جهده فى الدراسات المعاصرة ، وانه على الرغم من تعرضه للنقد من بعض زملائه فى بداية عمله بالجامعة بحجة أن التاريخ لا يتناول الأحداث المعاصرة، فان الدكتور احمد عزت عبد الكريم شجعه على الاستمرار فى هذا الاتجاه.

وللدكتور صلاح مؤلفات عديدة نذكر منها: "المشرق العربى المعاصر"، و"التيارات السياسية فى الخليج العربى"، و"الاستعمار فى الخليج الفارسى" و "المغرب

---

(1) من لقاء معه بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ١٩٩٢/١٢/٢٧.

(2) من ابرز مقالاته فى هذا الاتجاه شمال افريقية تسير.

العربى من الاستعمار الفرنسى إلى التحرر القومى"، كما أن له بعض البحوث فى هذا المجال نذكر منها الأحوال الاجتماعية والنظم الادارية فى الجزائر قبيل الغزو الفرنسى.

وبالنسبة لعلاقة د. صلاح العقاد بطلابه فقد كان على صلة وثيقة بهم خاصة طلاب الدراسات العليا سواء أكانوا من المصريين او العرب حتى ولو اختلف معهم فى فكرهم ، فبالرغم من ليبراليته المعروفة فقد قبل الاشراف على رسالة زكريا سلميان الخاصة بالإخوان المسلمين والذى هاجم فيها الديمقراطية والتعددية الحزبية.

يبقى أخيرا دور الدكتور صلاح العقاد فى تأسيس سيمنار التاريخ الحديث بكلية البنات جامعة عين شمس ، وحول ذلك ذكر الدكتور العقاد انه عندما أسس السمنار كان أعرجا فى بداية الأمر فلم تكن مواعيد انعقاده ثابتة، وكان عدد أفراده والمترددين عليه ليسوا بالكثيرين. ومع المثابرة والاصرار والصبر نما السمنار، واستقر موعده ابتداء من عام ١٩٨٠[١]، حيث حرص الدكتور العقاد على ان تنعقد جلساته اسبوعيا فى مساء كل ثلاثاء، كما دعا إليه بجانب الأكاديميين العديد من الرموز الفكرية فى مصر على اختلاف اتجاهاتها لتدلو بدلوها كل فى مضماره.

واستمر الدكتور العقاد فى عطائه يستبين بعقله وذهنه المتوقد الذكاء علل الأشياء وحقائقها منبريا بشجاعة لمواجهة اعداء الفكر الحر، مطلا على كل نوافذ الثقافة الحديثة حتى لاقى ربه.

٦-الدكتور رءوف عباس حامد ١٩٣٩- ٢٠٠٨

المؤرخون نوعان نوع ينتمى انتماء مبهرا للوطن، ويحرص حرصا شديدا على خدمته، ولا ينطلق وراء الاغراءات التى تجذب البعض إلى أضوائها. وآخر ينظر إلى الأمور من ثقب مصالحه الخاصة، ورءوف عباس من النوع الأول لا يعيش الحاضر بعقل الماضى، ولا يترجم الواقع بلغة الوهم بل يحرص كل الحرص على إبراز الحقيقة مهما كانت مؤلمة، ويقف بجانب الحق مهما ترتب على ذلك من متاعب، ينحاز إلى الفقراء والضعفاء ويدافع عنهم مهما كلفه ذلك فلا يخشى فى الحق لومة لائم.

---

[١] من لقاء مع د. صلاح العقاد فى ١٢/٢٧/ ١٩٩٢.

شخصيته الشامخة عنصرها الأساسى هو العقل، بذل حياته فى المثابرة والجدية والعمل الصادق، والبعد عن الضجيج العام والزحام، وكان على الدوام مثلا عاليا للنفس الكريمة ، والتواضع المستند على إحساس عميق بالكرامة والكبرياء. لم يحد قيد أنملة عن صدقه مع نفسه ، ولم يتنكر لحظة لعقله.

ولد رءوف عباس فى بورسعيد[١] فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٩ وحصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة عين شمس عام ١٩٦١ وعلى الماجستير فى نوفمبر ١٩٦٦ وعلى الدكتوراه فى يناير ١٩٧١ وعمل فى حقل التدريس الجامعى منذ تعيينه معيدا بآداب القاهرة فى عام ١٩٦٧ ثم تدرج فى المناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الأستاذية فى عام ١٩٨١، كما عين رئيسا لقسم التاريخ من ابريل ١٩٨٢ وحتى ابريل ١٩٨٧ ثم وكيلا لكلية الآداب لشئون الدراسات العليا من سبتمبر ١٩٩٦ حتى خروجه إلى المعاش فى اغسطس ١٩٩٩.

ويرجع اهتمام الدكتور رءوف بالبحث فى تاريخ البناء الاجتماعى والاقتصادى فى مصر الحديثة والمعاصرة إلى عدة عوامل نذكر منها:

١- أنه نشأ فى اسرة كادحة ليس لها املاك أو عقارات فى الريف او المدن فكان والده موظفا بسيطا بالسكة الحديد، وكان جده لأبيه يعمل بالسكة الحديد ايضا أما جده لأمه فكان يعمل (بامبوطى) [٢].

٢- انه تأثر بجو الستينات من هذا القرن خاصة وانه عمل باحدى الشركات فى كفر الزيات خلال فترة الماجستير وأحس بالعمال ومشاكلهم، وآمالهم ولم يكن هناك فى ذلك الوقت كتابات علمية متخصصة كتبت بأقلام مصرية عن هذا الموضوع ويرتبط بذلك ايضا وجود الكتابات الماركسية المرتبطة بالحركة الاجتماعية والاستفادة منها فى كتاباته مع مراعاة التجربة المصرية ونتيجة لذلك اخذ فى إعداد رسالته للماجستير المعنونة " الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩- ١٩٥٢ تحت اشراف الدكتور احمد عزت عبد الكريم والتى حدد بدايتها بعام ١٨٩٩

---

[١] نزح جده لابيه حامد مبارك من جرجا إلى القاهرة فى غضون الثورة العرابية لأسباب غير معلومة، كما نزح جده لأمه عباس البسيونى من دمياط إلى بورسعيد حيث ولد رءوف.

[٢] بائع متجول فى زورق صغير يتعامل مع صغار التجار والعابرين (تجارة الخدمات فى الموانى).

وهو العام الذى شكل فيه العمال المصريون أول نقابة لهم ونهايتها بعام ١٩٥٢ وهو العام الذى قامت فيه ثورة يوليو ١٩٥٢ التى عملت على إعادة البناء الاجتماعى لمصر، وشهدت الحركة العمالية خلالها مرحلة هامة من تاريخها وفيها تتبع نشأة الحركة العمالية، ومواكبتها للنضال الوطنى، وظهور اتحادات النقابات وكفاحها من اجل إصدار تشريعات للعمل والعمال والمشاكل التى إعترضتها، وظهور حزب العمال المصرى من مجموعة من المثقفين كان أبرزهم سلامة موسى وبعض العمال من أعضاء مجلس الاتحاد العام، وواحد من كبار المزارعين والمشاكل التى اعترضت استمراره والتيارات اليسارية العمالية فى مصر بطريقة اتسمت بالتجرد والموضوعية والقدرة على العرض والتحليل. [1]

ولم تتوقف دراسات "رؤوف عباس" عن الحركة العمالية على هذه الدراسة فقد حاول بعد ذلك استكمال النقص الخطير فى المادة العلمية لهذه الحركة لصعوبة الاطلاع على أوراق القسم المخصوص والإدارة الأوربية بوزارة الداخلية وذلك عن طريق إطلاعه على الوثائق البريطانية الخاصة بالفترة من ١٩٢٤- ١٩٣٧ والتى تلقى أضواء على بعض جوانب الحركة النقابية والنشاط العمالى لم يتطرق إليها فى دراسته السابقة ومن هنا أخرج كتابه " الحركة العمالية فى ضوء الوثائق البريطانية ١٩٢٤- ١٩٣٧.

وفى رسالته للدكتوراه واصل رؤوف عباس دراساته فى مجال التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فكتب رسالته المعنونة " الملكيات الزراعية الكبرى وأثرها فى المجتمع المصرى ١٨٣٧- ١٩١٤ وفيها قام بتوصيف الملكيات الزراعية الكبيرة بأنها رأسمالية زراعية وعلى الرغم من انه لا يوجد فى النظرية الماركسية ما يحمل هذا الاسم فقد أوضح ان مصر شهدت فترة التحول الرأسمالى فى شكل زراعى خاصة وان الأموال المتراكمة عند أصحاب رؤوس الأموال استغلت فى الزراعة، وتحولت الأرض إلى سلعة تباع وتشترى وهذا احد مظاهر الرأسمالية.

---

[1] نشرت دار الكتاب العربى هذه الدراسة فى عام ١٩٦٧.

وفى هذه الدراسة تعرض رؤوف عباس لعوامل نمو الملكيات الزراعية الكبيرة فى مصر، والتركيب الاجتماعى لكبار الملاك الزراعيين، وسياسة الاحتلال الزراعية وأثرها على الملكية الزراعية، ودور الملكيات الزراعية الكبيرة فى الحياة الاقتصادية ودور كبار الملاك الزراعيين فى الحياة السياسية.

وإلى جانب ذلك فللدكتور رؤوف بعض الدراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى سواء منها ما كان فى مجال الترجمة أو التأليف بالعربية أو بالانجليزية ففى مجال الترجمة قام بتعريب كتاب مورس دوب Maurice Dobb دراسات فى تطور الرأسمالية[1]، Studies in the Development of capitalism كما قام بتعريب كتاب شارل عيسوى The fertile crescent , A Documentary Economic History , 1989 الهلال الخصيب – تاريخ اقتصادى وثائقى[2]، وفى مجال الدراسة بالعربية نذكر دراسته عن "حزب الفلاح الاشتراكى ١٩٣٨ – ١٩٥٢"[3]، ودراسته واشرافه على ترجمة اوراق هنرى كوربيل والحركة الشيوعية المصرية. [4]

أما عن مؤلفاته بالانجليزية فنذكر:

Guilds and Trade unions in Modern Egypt : A case Study of work organization and work Ethics (1990) [5]

ونذكر:

The Egyptian labour Movement between the world wars (1990)[6]

والجدير بالذكر أن كتابات الدكتور رؤوف لم تقتصر على التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فحسب بل تطرق بعضها إلى التاريخ السياسى وحول ذلك نذكر قيامه

---

(١) نشرت دار الكتاب الجامعى هذه الدراسة فى عام ١٩٧٨

(٢) نشر مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ترجمة هذا الكتاب فى عام ١٩٩٠

(٣) المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٩ لعام ١٩٧٢ ص ١٦٩ – ٢١٣.

(٤) نشرته دار سينا للنشر فى يناير ١٩٨٨.

(٥) Journal of Asian and African studies No 39 . (Tokyo)

(٦) Ibid

بتحقيق القسم الأول من مذكرات محمد فريد[1]، ودراسته عن " جماعة النهضة القومية"[2]، ودراسته عن "التطلعات الأمريكية تجاه المنطقة العربية إبان الحرب العالمية الثانية"[3]، ودراسته عن "اليهود والخروج الأخير من مصر". [4]

وإلى جانب ذلك قيامه بترجمة كتاب الكسندر شولش " مصر للمصريين ١٨٧٨-١٨٨٢ الذى يمثل رؤية مؤرخ أوربى لحقبة هامة من تاريخ مصر من زواياه السياسية والاجتماعية[5]، وبحثه الذى كتبه بالانجليزية بعنوان Factors behind the political Islamic Movement in Egypt. [6]

يضاف إلى ذلك ان الدكتور رؤوف يعد من المؤرخين المصريين القلائل الذين اهتموا بدراسة تاريخ اليابان الحديث فى القرن التاسع عشر، وتجلى ذلك الاهتمام فى عدد من البحوث التى نشر بعضها باللغة الانجليزية وبعضها الاخر بالعربية ومن الدراسات التى نشرت بالانجليزية نذكر

The Japanese and Egyptian Enlightenment . A comparative study of fukuzawa yukinchi and Rifa'ah al – Tahtawi. [7]

أما عن الدراسات التى نشرت بالعربية فنذكر:

١- المجتمع اليابانى فى عصر ما يجى ١٨٦٨- ١٩١٢[8]، وفيه اوضح ملامح المجتمع اليابانى فى ذلك العصر ولفت الانظار إلى أهمية دراسة تجارب شعوب

---

(1) مذكرات محمد فريد – القسم الأول تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ مسيحية ، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٥.

(2) سلسلة فكر رقم (٢)

(3) المجلة التاريخية المصرية ٢٧ لعام ١٩٨٠ ، ص ٣١١- ٣٤٠

(4) محاضرات القيت ضمن الموسم الثقافى للجمعية التاريخية فى ١٩٩٢/١٢/١٣

(5) نشرت دار الثقافة العربية هذه الترجمة فى عام ١٩٨٣

(6) Journal of Asian and African studies no 41.

(7) نشرت هذه الدراسة فى طوكيو عام ١٩٩٠ عن طريق Institute for the study of languages and cultures of Asia and Africa

(8) ساعدت مؤسسة التبادل الخارجى باليابان Kokusal koryu kikin على طبع هذا الكتاب ونشره دار الكتاب الجامعى فى عام ١٩٨٠

تجمعنا بها وشائج هامة ، وإن كان قد ألمح إلى ان تجربة التحديث فى اليابان لا تعد نموذجا تفيد به الشعوب النامية، وتتخذ منه مثلا يحتذى به.

٢- حركة المطالبة بالدستور فى اليابان ١٨٧٨- ١٨٩٠[١]، وفيه اوضح ان الدستور اليابانى كان مجرد محاولة للتوفيق بين اتجاه الحكومة الى مركزية السلطة، ورغبة الجماهير فى الديمقراطية، وانه نتيجة لتصفية حركة الحرية وحقوق الشعب لم ترتفع أصوات الليبراليين للمطالبة باعطاء الشعب المزيد من السلطة.

وحول دور الدكتور رءوف فى تنشيط تيار مدرسة التاريخ الاجتماعى والاقتصادى داخل قسم التاريخ فقد وجه تلاميذه إلى دراسة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لمصر فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين وذلك عن طريق القراءة المستمرة، وتكوين قدر من الثقافة التى تؤهلهم لعمل بناء نظرى لموضوعاتهم ونتيجة لذلك تعرض بعضهم للتجارة والزراعة والاحتكار وحيازة الملكيات الصغيرة والصناعة وموضوعات السخرة، ودور الموظفين الاجانب فى تحديث الادارة، واثر السكك الحديدية فى تطورات مصر الاقتصادية والاجتماعية. [٢]

أما عن الكتاب المشكلة والذى أثار العديد من الزوابع فكان مذكراته التى كتبها بعنوان "مشيناها خطى" والذى صدر عن مؤسسة دار الهلال فى ديسمبر ٢٠٠٤ ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات خاصة وانه لاقى اهتماما واسعا نظرا إلى جديته العلمية فى معالجة قضية التعليم الجامعى، وتراجع الجامعة المصرية عن الاضطلاع بدورها المنوط بها هذا إلى جانب انه تناول قصة كفاح مشرفة فى حياة رءوف عباس خلال بحثه عن معنى الكفاح فى سبيل الوصول إلى الهدف.

وإلى جانب ذلك فقد شارك الدكتور رءوف فى تأسيس سمنار قسم التاريخ واختير مقررا له، ومن خلال ذلك أقيمت ندوات علمية هامة ساهم فيها المؤرخون المصريون ببحوثهم وكان موضوع أولى هذه الندوات " مصر وعالم البحر المتوسط

---

(١) المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٢ لعام ١٩٧٥ ص ٢٤٩- ٢٧٦

(٢) ضمن لقاء مع الدكتور رؤوف بقسم التاريخ فى مساء الاربعاء ١٩٩٢/١٢/٣٠.

(١٩٨٥) ثم تبعه " ندوة العرب في افريقيا (١٩٨٧) والعرب في آسيا (١٩٨٩) والمسلمون في أوربا (١٩٩١) ومصر والجزيرة العربية (١٩٩٣).

هذا بالإضافة إلى الاشراف على مجلة المؤرخ المصرى التى تصدر عن القسم اما عن دور الدكتور رءوف خارج قسم التاريخ فقد شارك فى تنشيط الدراسات التاريخية بوحدة الدراسات بالأهرام منذ عام ١٩٨٠ فأشرف وساهم فى اخراج المؤلف الجماعى الذى شارك فيه مجموعة من المؤرخين المصرين والذى ظهر فى مناسبة مرور مائة عام على الثورة العرابية فى عام ١٨٨١ تحت عنوان مصر للمصريين كما اشرف وساهم ايضا فى اخراج المؤلف الجماعى الذى صدر بمناسبة مرور اربعين عاما على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وإلى جانب ذلك فقد انتدب الدكتور رؤوف للتدريس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة منذ عام ١٩٨٠ واعير للتدريس فى مركز الدراسات العربية بنفس الجامعة فى العامين الدراسيين ٩٢- ١٩٩٣ ، ٩٣ / ١٩٩٤ ومن انشطته ايضا عضويته باللجنة المصرية للتضامن الأسيوى الأفريقى، وعضويته بجمعية دراسات الشرق الأوسط بامريكا الشمالية.

أما عن علاقة رؤوف عباس بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية التى كانت ربيبته فقد استطاع ان يترك بصمة واضحة فيها، وكان له دوره المؤثر فى النهوض بها والأخذ بيدها إلى بر الأمان منذ أن تولى رئاستها فى عام ١٩٩٩، فلم يأل جهدا فى سبيل أعلاء شأنها حتى أخذت مكانتها اللائقة بها، وأصبحت احدى المنارات الثقافية الهامة فى مصر.

إن ما تركه رءوف عباس من تراث فكرى ، وعطاء انسانى هو رصيد هائل نعتز به ، وسيبقى مثالا مشرفا للأجيال الشابة التى تكافح من أجل تحقيق آمالها وتكوين أفكارها ، ونتيجة لهذه الجهود المثمرة قامت الدولة بتقديره فمنحته رئاسة الجمهورية وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى فبراير ١٩٨٣، كما حصل على جائزة الدولة التقديرية.

لقد كان رءوف عباس ظاهرة مضيئة فى حياتنا العلمية التى حاول ان يرتفع بها فوق البيئة الثقافية الجدباء التى حاولت ان تعشش على حياتنا العلمية فكان كالدوحة الوارفة التى يستظل بها طلاب العلم والمعرفة حتى وافاه القدر المحتوم فى صباح الخميس ٢٦ يونيو من العام ٢٠٠٨ ففقدت المدرسة المصرية التاريخية احد رموزها الكبار.

٧-الدكتور عاصم احمد الدسوقى ١٩٣٩

الدكتور عاصم الدسوقى مؤرخ يحترم فكره ، ويصون نفسه من الامتهان وله اهتمامات واضحة بما يدور وراء الأحداث التاريخية، فهو يغوص فى أعماق المادة التاريخية ليستخرج منها الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تحدد مسار التاريخ وتوضح مراميه، ويتقصى البنيان التحتى لأوضاع مصر، ويدرس من خلاله الطبقات الاجتماعية المصرية، وعلاقات الانتاج فى المجتمع المصرى.

وقد ولد عاصم دسوقى بالمحلة الكبرى فى ٣١ أغسطس عام ١٩٣٩ وكان والده من اسرة ريفية تنتمى إلى صغار الملاك الزراعيين فى وسط الدلتا ووالدته من اسرة تنتمى إلى مجتمع التجار فى المدينة.

وتلقى الدكتور عاصم تعليمه الأولى والثانوى فى منطقة شبرا بالقاهرة وبعد أن حصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة عين شمس فى عام ١٩٦١ التحق بالدراسات العليا فحصل على الماجستير من معهد البحوث والدراسات العربية فى عام ١٩٧٠ وعلى الدكتوراه من آداب عين شمس فى عام ١٩٧٣؛[1]، وبعدها التحق بسلك التدريس الجامعى فى جامعة اسيوط وتولى عمادة كلية الآداب بها ثلاثة فترات من ١٩٨٤ إلى ١٩٨٧ ومن ١٩٨٧ إلى ١٩٩٠ ومن ١٩٩٢ إلى ١٩٩٤، ثم انتقل إلى جامعة حلوان لتأسيس كلية الآداب بها ثم أصبح عميدا لها فى الفترة من ٣٠/١/ ١٩٩٥ إلى ٥/١/ ١٩٩٩ وإلى جانب ذلك فقد تولى رئاسة قسم البحوث والدراسات التاريخية بمعهد البحوث والدراسات العربية اعتبارا من ١/٩/٢٠٠٨ وحتى الان كما تولى منصب

(١) عمل الدكتور عاصم قبيل انضمامه للسلك الجامعى بإدارة التدريب المهنى بالمؤسسة المصرية العامة للمصانع الحربية من ٦٢ إلى ١٩٦٦ وبالمؤسسة الثقافية بالاتحاد الاشتراكى العربى من ٦٦ إلى ١٩٦٩ ثم عمل مدرسا للمواد القومية بالمعهد الفنى العالى للمصانع الحربية من ٧٠ إلى ١٩٧٤.

المستشار الأكاديمى بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بقسم بحوث المجتمعات الريفية والصحراوية اعتبارا من ١٩٩٨/١٠/١٧ وحتى الآن.

ومن أبرز مؤلفاته " كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤- ١٩٥٢ وفى هذه الدراسة تتبع ملكيات كبار الملاك فى مكلفات الأطيان الزراعية، وبحث عن دورهم الاقتصادى والسياسى ووضعهم فى الحركة الوطنية وفى المؤسسات البرلمانية مثل الجمعية التشريعية ومجلس النواب والشيوخ، ومجالس المديريات، وفى الأحزاب السياسية التى انضموا إليها[١]، ودورهم فى ثورة ١٩١٩ ومسئوليتهم عن تصفيتها ، والمكاسب التى حصلوا عليها من العمل السياسى بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ومعاهدة ١٩٣٦ وغيرها.

وقد استطاع عاصم دسوقى فى هذه الدراسة ان يثبت عدة نتائج هامة منها انه اوضح على عكس ما ذكرته معظم الدراسات السابقة على بحثه انه كان هناك مزاوجة واندماج بين رأس المال الزراعى المستثمر فى الأرض ورأس المال الصناعى والتجارى خاصة وان صفوة كبار الملاك الزراعيين امتلكوا اسهما فى الشركات التجارية الصناعية بل قام بعضهم بتأسيس شركات خاصة من هذا النوع كما امتلك بعض أصحاب الشركات ارضا زراعية، ومنها ان الأرض الزراعية كانت سلعة تباع وتشترى بأسلوب رأسمالى بحت هدفه الحصول على الفوائد الناتجة من انخفاض وارتفاع أسعار الأرض بين أونة وأخرى، ومنها أن العلاقة بين الملاك والفلاحين لم تكن علاقة اقطاعية كما كان متبعا فى أوربا بل كانت علاقة تعاقدية انتاجية تقوم عن طريق تأجير أراضيهم للفلاحين فى نظير مبلغ معين أو بالمزايدة والممارسة او الزراعة، كما تعرض لعلاقة كبار الملاك بالقوى الاقتصادية والمسألة الزراعية، وأفكارهم ورؤيتهم للمشكلة الاجتماعية.

وعلى هذا المنوال سار عاصم دسوقى فى كتاباته فكتب " نحو فهم تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى" (١٩٨١) ومجتمع علماء الأزهر – دراسة فى البناء التنظيمى والأصول الاجتماعية، ومن أرشيف الحركة اليسارية فى مصر ١٩١٩ – ١٩٢٥.[٢]

---

[١] انظر المقدمة.

[٢] المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٧- ٢٩ لعام ١٩٨٣ ، ص ٤٣٧ - ٤٨٩

وليس معنى ذلك ان دراسات عاصم دسوقى توقفت عند دراسة التاريخ الاجتماعى فله دراسات هامة امتزج فيها التاريخ السياسى بتاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى منها على سبيل المثال ثورة ١٩١٩ فى الأقاليم[١]، ومصر فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥[٢]، وفكرة القومية عند الأخوان المسلمين ٢٨-١٩٥٤.[٣]

وفى الدراسة الأولى تعرض لثورة ١٩١٩ بالدراسة فى ضوء زوايا مختلفة بعد أن عثر على بعض الوثائق البريطانية المتعلقة بهذه الثورة، والتى تتضمن مواقف كانت غير معلنة للسياسة البريطانية، ومواقف السياسيين المصريين ومواقف للأهالى وزعماء المظاهرات فى الأقاليم.

وفى الدراسة الثانية "مصر فى الحرب الثانية" أوضح عاصم دسوقى ان هذه الحرب كانت نقطة تحول بارزة فى تطور مصر المعاصر من حيث تأثيرها فى البنيان الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للبلاد، وظهور فئات اجتماعية جديدة استطاعت أن تجمع أموالا عديدة خلال الحرب، وفرضت نفسها على الحياة العامة فى البلاد مما ساعد على بروز التناقضات الطبقية فى المجتمع المصرى بشكل واضح، وهيأ الجو لانتشار الأفكار اليسارية والشيوعية التى تنادى بتحسين أحوال العمال وايجاد علاقات انتاجية، ووقوف الجماعات الليبرالية فى مواجهة هذه الأفكار، أما الدراسة الثالثة فقد تعرض فيها لموقف جماعة الأخوان المسلمين من تحديد شخصية مصر القومية، والتى استندت إلى فلسفة الدين الاسلامى كدين عالمى لا يعترف بالحدود والجغرافية بين البشر.

ولم تتوقف مؤلفات عاصم السوقى على تاريخ مصر بل تطرقت إلى تاريخ العالم العربى، وعلاقاته بالعالم الخارجى فكتب "الصهيونية والقضية الفلسطينية فى الكونجرس الأمريكى ١٩٤٣- ١٩٤٥" و"القومية والوحدة العربية فى الصحف القطرية" وغير ذلك من المؤلفات الهامة.

---

[١] نشرها دار الكتاب الجامعى فى عام ١٩٨١

[٢] صدرت تفى طبعتين الأولى عن طريق معهد البحوث والدراسات العربية

[٣] الكتاب التذكارى المقدم للدكتور احمد عزت عبد الكريم بحوث فى التاريخ الحديث، جامعة عين شمس ١٩٧٦، ص ١٥٣- ١٦٧.

أما عن المقالات التى نشرها د. عاصم الدسوقى فى الدوريات العربية والأجنبية فهى عديدة زادت على الخمسين مقالا.

وبالنسبة للمؤلفات الأجنبية التى قام د. عاصم بترجمتها فأبرزها أصول اليسار الأمريكى، وأوربا العثمانية، وتفكيك أوربا العثمانية وإنشاء دولة البلقان القومية.

يضاف إلى ذلك ان مشاركة د. عاصم فى المؤتمرات والندوات فهى متعددة، ففى داخل مصر شارك فى أكثر من ١٢٠ ندوة ومؤتمر نظمتها جامعات ومؤسسات ثقافية اعتبارا من مايو ١٩٧٧ وفى خارج مصر شارك فى ١١ ندوة علمية وحلقات بحثية فى كل من شيكاغو والجامعة الأمريكية ببيروت، وجامعة اليرموك بالأردن وجامعة بغداد والبصرة ودمشق وصنعاء وجمهورية مالى.

ونظرا للدور المتميز الذى قام به الدكتور عاصم الدسوقى فى خدمة البحوث والدراسات التاريخية، ولجهوده المخلصة فى تخريج مجموعات من الباحثين يتولون حاليا التدريس فى العديد من الجامعات المصرية والعربية وإشرافه على عشرات الرسائل العلمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى تاريخ مصر الحديث بوجه عام وتاريخ مصر الاجتماعى بوجه خاص فقد حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ٢٠١٣ ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى ١٢ ديسمبر من نفس العام.

وفى النهاية يمكن القول أنه بفضل هؤلاء الرواد وغيرهم نجحت المدرسة التاريخية المصرية فى تطوير نفسها وفتح العديد من آفاق المعرفة لدى أفرادها، ومواكبة المدارس التاريخية العالمية سواء كانت الأوربية أو الأمريكية أو غيرها ومن هنا فنصيحتنا للجيل الجديد من الباحثين والمؤرخين الإقتداء بهم والسير على منوالهم والابتعاد عن الأنانية والنفعية والوصولية خاصة وإننا فى عصر قل فيه الوفاء وندر الإنتماء.

الخاتمـــة

وهكذا يتضح ان مصر تعد من الدول التى كتب الكثيرون فى تاريخها سواء أكان هؤلاء من الأوربيين أو الأمريكيين أو العرب أو من المصريين انفسهم، وسواء أكانوا من الهواة فى الكتابة التاريخية أو من الأكاديميين، وبمعنى آخر فهى دولة وجدت من يتعرضون لتاريخها ويكتبون عن حوادثها وأخبارها من النازلين بها أو من أبنائها وقد تناول بعض هؤلاء تاريخ مصر بطريقة تحامل فيها عليها وعلى شعبها او تعاطف معها وبعضهم كتبه وتناوله بمنهج علمى وحيدة تاريخية، وطبق عليه الدراسة العلمية الصحيحة وبعضهم الآخر كتبه بطريقة لا ترقى إلى هذا المستوى بل هى من قبيل القص واللصق.

والجدير بالذكر أنه على الرغم من تقسيمنا لكتابات المؤرخين الأكاديميين إلى اتجاهات مختلفة فانه يصعب فى بعض الأحيان فصل هذه الاتجاهات عن بعضها فصلا تاما لتداخل بعضها مع الآخر.

يبقى لنا أن نتعرض لخمس مسائل لابد من الوقوف عندهم والاجابة عليهم وهـــــم:

١- هل يمكن إيجاد مدرسة تاريخية وطنية لحما ودما تنبع أفكارها وتتميز أوصافها بعمق وجودنا المصرى ودورنا الحضارى بدلا من استيراد تيارات ونظريات المدارس الأجنبية ومسايرتها ونقل أفكارها؟ وهل يمكن العمل على بروز نظرية تاريخية مصرية تعتمد على نفسها وتتميز بخصالها وأوصافها التى تنفرد بها عن غيرها من النظريات، وتجعلنا نتصل اتصالا عميقا بوجودنا المصرى فى ماضيه وحاضره وتطبع دراستنا التاريخية بالطابع المصرى الأصيل الذى يجمع بين الأصالة والتجديد.

قد يقول البعض أن العلم لا وطن له. وان الحضارة الانسانية ممتزجة الثقافات، وان الدراسة التاريخية لا يجب ان تكون نابعة من نظريات اقليمية بل يتحتم مزجها بالمدارس الأخرى التى استقرت مفاهيمها وأصبحت كاللغة المتداولة بين المؤرخين.

وقد يقول بعض آخر ان جيل الرواد من المؤرخين المصريين تلقى دراسته فى أوربا، ونهل من علومها، ودرس على أيدى بعض أصحاب المدارس التاريخية الأوربية،

ولما عاد إلى مصر نقل ما نهله من علوم إلى مناهجنا وجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية مما يصعب تغييره، وهذا حقيقى إلى حد كبير ولكنه لا يمنع من أن يكون للمدرسة التاريخية المصرية شخصية متفردة فى اتجاهاتها بحيث يستمد المؤرخ المصرى اتجاهه وفلسفته من واقع فهم مصرى للتاريخ، ومن واقع البيئة المصرية حتى يكون لما نكتبه نظرة مميزة ليست بالحتم بعيدة عن المدارس الأوربية ولكنها قريبة من وجودنا ومن ثقافتنا ، ومتصلة اتصالا عميقا بنفوسنا المصرية ولكن كيف نصل إلى ذلك؟ هذا ما يجب على المؤرخين المصريين الانكباب على دراسته والوصول إليه.

٢-هل كل من يعمل بالدراسات التاريخية يعد مؤرخا؟

الواقع ان للمؤرخ مواصفات قد لا تتوافر فى الكثير من يعملون فى حقل الدراسات التاريخية ويعتبرون اطلاق لفظ مؤرخ عليهم من حقوقهم المشروعة التى لا يجب المساس بها بل يجب ان تطلق هذه الكلمة فقط على كل ما يستطع إضافة نظرية او رؤية جديدة لعلم التاريخ والمدرسة التاريخية.

٣-هل آن الأوان لاعادة النظر فى تحديد بداية جديدة لتاريخ مصر الحديث غير الفتح العثمانى (١٥١٧) الذى يحمل فى طياته ملامح العصور الوسطى فنبحث عن نقطة تحول واضحة ومؤثرة فى أوضاع مصر من كافة مناحيها كى تكون بداية منطقية لهذا التاريخ.

الواقع ان ذلك يقتضى وقفة جادة من المؤرخين المصريين والجمعية المصرية للدراسات التاريخية بصفة خاصة حتى يتم الاتفاق على تحديد واضح لهذا التاريخ.

٤-هل يمكن النظر فى المطالبة إلى إعادة وظيفة أستاذ الكرسى حتى يعاد الانضباط إلى المناهج التاريخية التى تدرس لطلاب الجامعات وتضبط الأمور بشكل علمى بدلا مما هو حاصل الآن من تحديد المناهج حسب أهواء البعض أو مصالحهم.

٥-المطالبة بإنشاء كلية للدراسات العليا تضم كبار الأساتذة حتى تتوقف عملية تكرار الرسائل الجامعية بين الجامعات، وتنضبط امور تسجيل هذه الرسائل، وان يقتصر الاشراف على هذه الرسائل للأساتذة المشهود لهم بالعلم والمعرفة والقدرة على معرفة الجديد.

فهرست

رقم الايداع
٢٠١٤ / ٥٣٩٩
دار الهانى للطباعة والنشر
٠٢٤٤٤٤٢٠٥٥